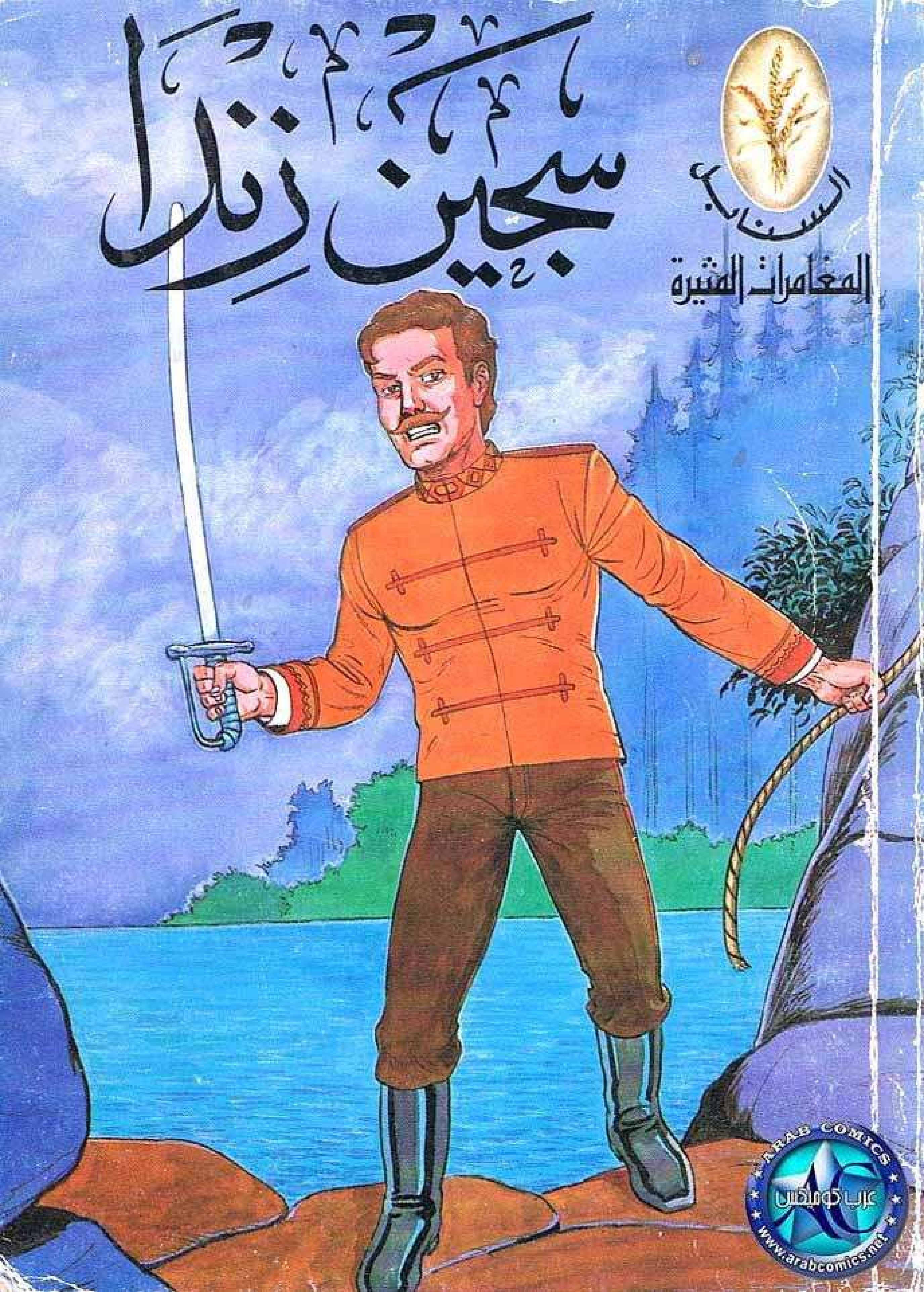
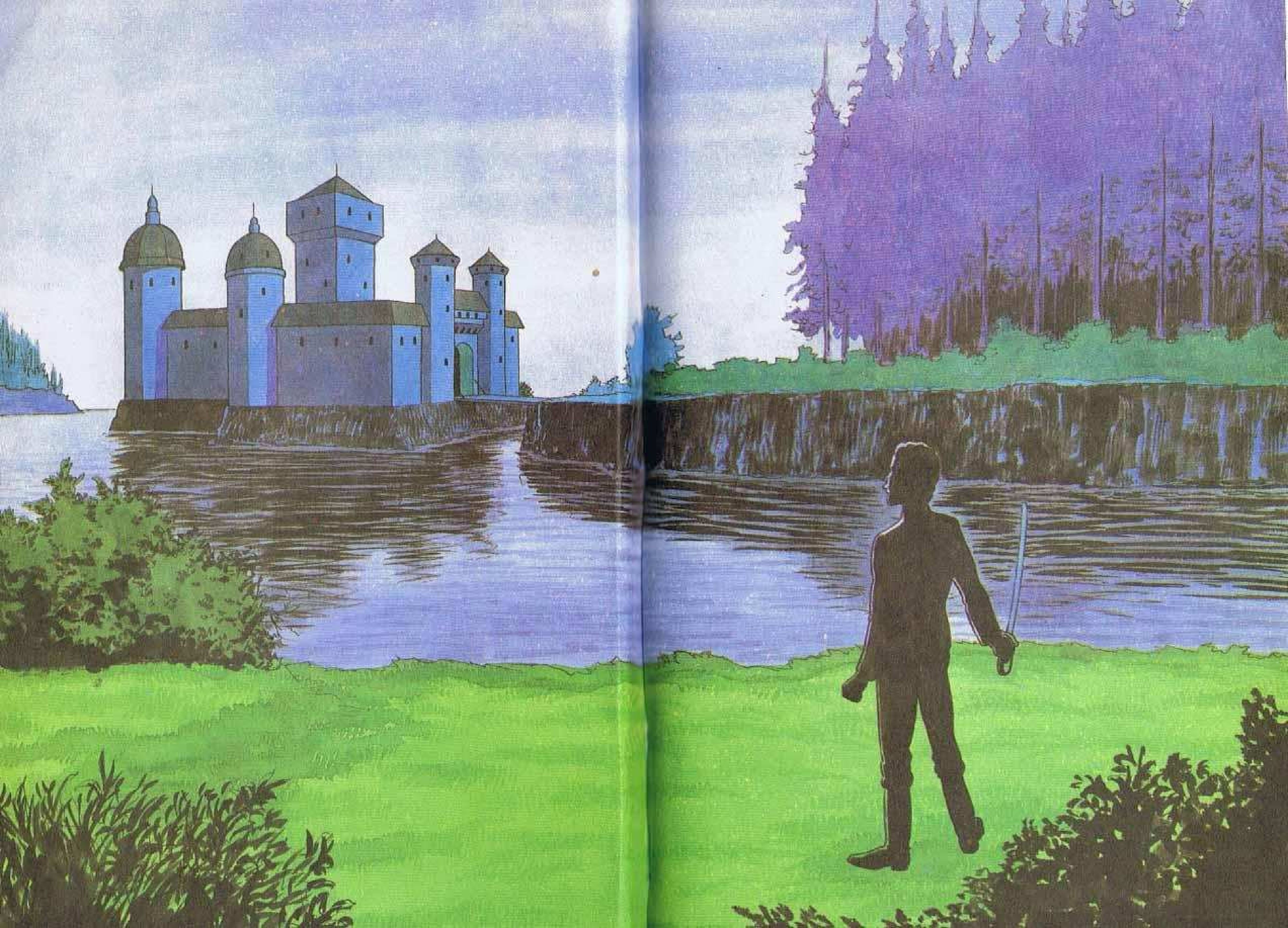


سجين زندا
السنابل
المغامرات المثيرة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

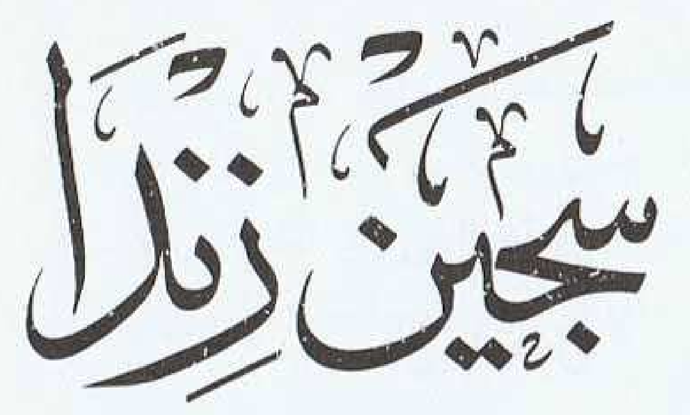
مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب : ٩٢٣٢ - ١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

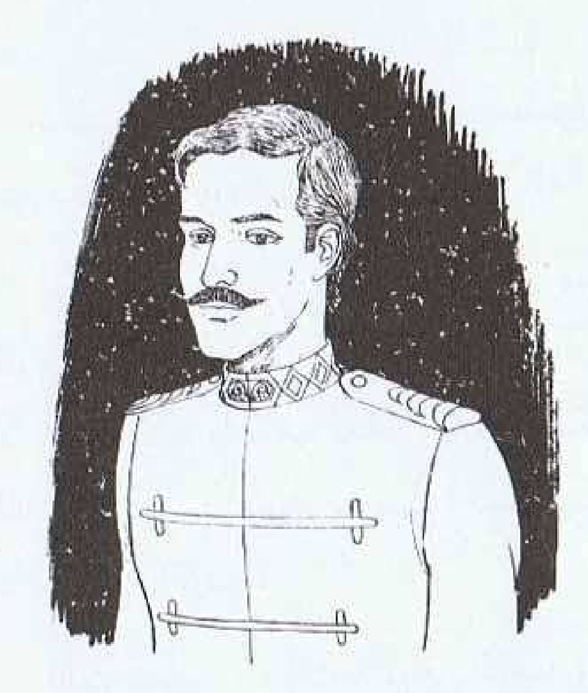
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة - مصر

رقم الإيداع : ٥٦٠٤ / ١٩٩٣ الطبعة الأولى ١٩٩٤
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠١٠٠ - ٨
طبع في دار نوبار للطباعة بالقاهرة



المغامرات المثيرة





تأليف : أنتوني هوب

نقلها إلى العربية : وجدي رزق غالي

رسوم : ممدوح الفرماوي

مكتبة لبنان ناشرون

الفصل الأول

آلُ راسَنْدِل

سَألَتْني زَوْجَةُ أخي ، ذاتَ صَباحٍ ، وَنَحْنُ نَتَناوَلُ إفْطارَنا : « إلى مَتى سَتَظَلُّ ، يا رُودُلْف ، لا تُزاوِلُ عَمَلاً ؟ »

أجَبْتُها : « يا عَزيزَتي روز ، لِماذا أزاوِلُ عَمَلاً ؟ إنَّ وَضْعي مُريحٌ ؛ فَلَدَيَّ مِنَ المالِ ما يَكْفي ، أوْ يَكادُ يَكْفي احْتِياجاتي . فَأنْتِ تَعْلَمينَ أنْ لا أحَدَ لَدَيْهِ ما يَكْفيهِ تَماماً . وَأتَمَتَّعُ بِمَكانَةٍ اجْتِماعِيَّةٍ مَرْموقَةٍ ، فَأنا شَقيقُ لُورْد بِرْلِسْدون ، وَصِهْرُ أجْمَلِ سَيِّدَةٍ – زَوْجَتِهِ . وَفي هذا ما يَكْفي بِالتَّأكيدِ !»

قالَتْ تُنَبِّهُني : « إنَّكَ الآنَ في التَّاسِعَةِ وَالعِشْرينَ وَلَيْسَ أمامَكَ سِوى أنْ ...»

« أنْ أجولَ بِالبِلادِ ؟ هذا صَحيحٌ ؛ فَأسْرَتُنا لَيْسَتْ بِحاجَةٍ إلى أنْ نَعْمَلَ .»

وَقَدْ ضايَقَتْ مُلاحَظَتي هَذِهِ روز ؛ لأنَّ كُلَّ واحِدٍ كانَ يَعْلَمُ أنَّ مَكانَةَ أسْرَتِها ، رغْمَ جَمالِ روز نَفْسِها ، لَمْ تَكُنْ تُضارِعُ مَكانَةَ آلِ راسَنْدِل. وَكانَتْ إلى جانِبِ جَمالِها الفَتَّانِ تَمْلِكُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً . وَكانَ أخي رُوبرْت ، أيْ لُورْد بِرْلِسْدون ، أحْكَمَ مِنْ أنْ يَهْتَمَّ بِمَدى عَراقَةِ أسْرَتِها .

وَإذا كانَتْ حَياتي لا قيمَةَ لَها في نَظَرِ روز ، فَإنَّها كانَتْ حافِلَةً بِالمَسَرّاتِ وَالمَعْرِفَةِ ؛ فَقَدْ تَلَقَّيْتُ تَعْليمي في مَدْرَسَةٍ ألْمانِيَّةٍ ، ثُمَّ تَخَرَّجْتُ في جامِعَةٍ ألْمانِيَّةٍ ، وَأجيدُ الحَديثَ بِالألْمانِيَّةِ ، مِثْلَ الإنْجليزِيَّةِ تَماماً ؛ وَأجيدُ كَذَلِكَ الحَديثَ بِالفَرَنْسِيَّةِ ، وَأعْتَقِدُ أنَّني بارِعٌ في المُبارَزَةِ بِالسَّيْفِ ، وَماهِرٌ في الرِّمايَةِ ، وَأسْتَطيعُ أنْ أرْكَبَ أيَّ جَوادٍ ، وَطَبْعي هادِئٌ لِلْغايَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ شَعْرِ رأسي الأحْمَرِ المُلْتَهِبِ.

قالَتْ زَوْجَةُ أخي : « إنَّ الفَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رُوبرْت أنَّهُ يَعْرِفُ واجِباتِ مَرْكَزِهِ ، أمّا أنْتَ فَلا تَرى سِوى الفُرَصِ الَّتي يُتيحُها لَكَ مَرْكَزُكَ .»

أجَبْتُها : « يا عَزيزَتي روز ، إنَّ الفُرَصَ بِالنِّسْبَةِ لِرَجُلٍ شَهْمٍ هِيَ واجِباتٌ .»

قالَتْ وَهِيَ تُلْقي بِرَأسِها إلى الخَلْفِ : « هُراءٌ !» وَأضافَتْ قائِلَةً

بَعْدَ لَحْظَةٍ : « ها هُوَ ذا سِير جاكوب بورونديل يُقَدِّمُ لَكَ ما يُناسِبُكَ تَمامًا .»

قُلْتُ « أَلْفُ شُكْرٍ !»

« سَوْفَ يُعَيَّنُ سِير جاكوب سَفيرًا بَعْدَ سِتَّةِ شُهورٍ ، وَيَقولُ رُوبِرْت إِنَّ سِير جاكوب سَيَأْخُذُكَ مَعَهُ مُلْحَقًا . فَأَرْجوكَ، يا رُودُلْف ، أَنْ تَقْبَلَ هَذِهِ الوَظيفَةَ إِرْضاءً لي .»

وَعِنْدَما تَطْرَحُ زَوْجَةُ أَخي المَسْأَلَةَ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ ، عاقِدَةً ما بَيْنَ حاجِبَيْها الجَميلَيْنِ ، شابِكَةً يَدَيْها الصَّغيرَتَيْنِ ، مِنْ أَجْلِ إِنْسانٍ بِلا عَمَلٍ مِثْلي هِيَ لَيْسَتْ مَسْئولَةً عَنْهُ ، فَإِنَّ صَوْتَ الضَّميرِ يَصْحو في أَعْماقي . وَبالإِضافَةِ إِلى ذَلِكَ فَإِنَّني فَكَّرْتُ أَنَّهُ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِوَقْتي أَثْناءَ قِيامي بِأَعْباءِ الوَظيفَةِ المُقْتَرَحَةِ ؛ لِذا قُلْتُ :

« يا زَوْجَةَ أَخي العَزيزَةَ ، إِذا لَمْ يَحْدُثْ خِلالَ الشُّهورِ السِّتَّةِ هَذِهِ ما يَمْنَعُني ، وَدَعاني سِير جاكوب لِتَوَلّي هَذا المَنْصِبِ ، فَكَيْفَ لا أَذْهَبُ مَعَهُ ؟»

قالَتْ : « أَحْسَنْتَ ، يا رُودُلْف ! كَمْ أَنا مَسْرورَةٌ !»

وَهَكَذا أَعْطَيْتُ وَعْدي ؛ إِلا أَنَّ سِتَّةَ شُهورٍ مُدَّةٌ طَويلَةٌ ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَجِدَ شَيْئًا مُثيرًا لِلاهْتِمامِ أَفْعَلُهُ أَثْناءَ هَذِهِ المُدَّةِ . وَخَطَرَ لي فَجْأَةً أَنْ

أَزورَ مَمْلَكَةَ رُوريتانْيا ؛ فَقَدْ قَرَأْتُ في الصُّحُفِ أَنَّ رُودُلْف الخامِسَ سَيُتَوَّجُ مَلِكًا في مَدينَةِ سْتِرلْساو خِلالَ الأَسابيعِ الثَّلاثَةِ القادِمَةِ ، في احْتِفالٍ مَهيبٍ .

وَلَمْ أَكُنْ ، لِأَسْبابٍ كَثيرَةٍ ، قَدْ زُرْتُ هَذِهِ المَمْلَكَةَ الَّتي تَبْعَثُ عَلى الاهْتِمامِ بِها وَالمُهِمَّةَ لِلْغايَةِ ، وَالَّتي رَغْمَ صِغَرِ حَجْمِها لَعِبَتْ دَوْرًا لَيْسَ بِالضَّئيلِ في تاريخِ أوروبّا ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَلْعَبَ مَرَّةً أُخْرى مِثْلَ هَذا الدَّوْرِ ، تَحْتَ سُلْطانِ حاكِمٍ شابٍّ قَوِيٍّ مِثْلِ هَذا المَلِكِ الجَديدِ. وَاسْتَقَرَّ رَأْيي – عَلى الفَوْرِ – عَلى أَنْ أَزورَها ، وَبَدَأْتُ أُعِدُّ العُدَّةَ لِلسَّفَرِ .

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دَيْدَني أَنْ أُخْبِرَ أَقارِبي بِمَقْصِدي في رِحْلاتي العَديدَةِ . وَلَمّا كُنْتُ لا أُريدُ لِأَحَدٍ أَنْ يُعارِضَني في قِيامي بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ ؛ لِذا قُلْتُ لَهُمْ إِنَّني قائِمٌ بِجَوْلَةٍ في جِبالِ الأَلْبِ . وَلَمْ تَكُنْ روز مَسْرورَةً كَثيرًا بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ ، وَلَكِنَّ سُرورَها اشْتَدَّ عِنْدَما أَوْضَحْتُ لَها أَنَّني ذاهِبٌ لِتَأْليفِ كِتابٍ ، عَنِ المُشْكِلاتِ السِّياسِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّةِ في تِلْكَ المِنْطَقَةِ . صاحَتْ : « إِنَّ هَذا لَرائِعٌ ، أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ، يا رُوبِرْت ؟»

قالَ رُوبِرْت وَكانَ قَدْ أَلَّفَ بِنَفْسِهِ عَدَدًا مِنَ الكُتُبِ : « هَذِهِ مِنْ أَفْضَلِ الطُّرُقِ لِتَقْديمِ نَفْسِكَ إِلى الحَياةِ السِّياسِيَّةِ في أَيّامِنا هَذِهِ .»

قالَتْ روز بِجِدٍّ : « وَالآنَ ، عِدْنا بِأنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ .»

قُلْتُ : « لا ، لَنْ أعِدَ . وَلكِنْ إذا وَجَدْتُ المادَّةَ العِلْمِيَّةَ الكافِيَةَ ؛ فَسأكْتُبُ الكِتابَ .»

قالَ رُوبِرت : « هَذا عَيْنُ الصَّوابِ .»

قالَتْ رُوز : « إنَّ المادَّةَ لَيْسَتْ مُهِمَّةً .»

وَلكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تَنالَ مِنّي أكْثَرَ مِنْ نِصْفِ وَعْدٍ . وَالحَقيقَةُ أنّني لَمْ أفَكِّرْ لَحْظَةً في أنَّ قِصَّةَ رِحْلَتي ذَلِكَ الصَّيْفَ سَوْفَ تُسَجَّلُ في صَفْحَةٍ أوْ تَسْتَنْفِدُ قَلَماً . وَهَذا دَليلٌ عَلى ضَآلَةِ ما نَعْلَمُهُ عَمّا يُخَبِّئُهُ لَنا المُسْتَقْبَلُ . فَهَأنَذا أبِرُّ بِنِصْفِ وَعْدي وَأضَعُ كِتاباً ، وَلَمْ أفَكِّرْ قَطُّ في الكِتابَةِ ، وَإذا كانَ الكِتابُ سَيُسْتَخْدَمُ كَمُقَدِّمَةٍ لِلْحَياةِ السِّياسِيَّةِ ، فَإنَّهُ لا عَلاقَةَ لَهُ بِجِبالِ الألْبِ .

وَأخْشى فَضْلاً عَنْ هذا ، ألا يُرْضِيَ روز الكِتابُ إذا أعْطَيْتُها إيّاهُ لِتَقْرَأهُ ، وَهَذا ما لا أنْوي أنْ أفْعَلَهُ .

في طَريقي مارًّا بِباريس ، جاءَ أحَدُ أصْدِقائي لِلِقائي بِمَحَطَّةِ القِطارِ . وَبَيْنَما كُنّا واقِفَيْنِ بِجِوارِ القِطارِ نَتَحَدَّثُ ، تَرَكَني فَجْأةً لِيَتَحَدَّثَ إلى سَيِّدَةٍ ، وَتَتَبَّعْتُهُ بِعَيْنَيَّ فَرَأيْتُهُ يَرْفَعُ قُبَّعَتَهُ لامْرَأةٍ بارِعَةِ الجَمالِ تَرْتَدي مَلابِسَ أنيقَةً راقِيَةً ، تَبْلُغُ الثَّلاثينَ مِنَ العُمْرِ تَقْريبًا ،

طَويلَةَ القَوامِ سَوْداءَ الشَّعْرِ . وَعادَ إلَيَّ بَعْدَ دَقيقَةٍ أوْ دَقيقَتَيْنِ قائِلاً : « سَتَكونُ لَكَ رَفيقَةُ سَفَرٍ فاتِنَةٌ ! إنَّها أنْطوانيت دي موبان . وَيُقالُ إنَّ دُوق سْتِرِلْساو ، وَهُوَ شَقيقُ المَلِكِ رُودُلْف كَما تَعْلَمُ ، يَخُصُّها بِاهْتِمامِهِ . وَهِيَ أرْمَلَةٌ وَثَرِيَّةٌ وَطَموحٌ . تُرى مَنْ ذا الَّذي يَعْلَمُ ما تَرْمي إلَيْهِ ؟»

غَيْرَ أنَّهُ لَمْ يَبْدُ أنَّ الأرْمَلَةَ الحَسْناءَ كانَتْ حَريصَةً عَلى مَعْرِفَتي ، لأنّني لَمْ أرَها بَعْدَ ذَلِكَ رَغْمَ أنَّنا كُنّا نَرْكَبُ قِطاراً واحِداً .

وَعِنْدَما وَصَلْتُ إلى حُدودِ روريتانيا – حَيْثُ نَظَرَ إلَيَّ الضّابِطُ المَسْئولُ نَظْرَةَ مَنْ يَرى شَبَحاً – ابْتَعْتُ بَعْضَ الصُّحُفِ ، قَرَأتُ فيها نَبَأً لَهُ تَأثيرُهُ عَلى تَحَرُّكاتي ؛ فَقَدْ قَرَأتُ أنَّ مَوْعِدَ حَفْلِ التَّتْويجِ قَدْ قُدِّمَ فَجْأةً لِسَبَبٍ لَمْ يُعْلَنْ ، وَأنَّهُ سَيَتِمُّ بَعْدَ غَدٍ ، فَأثارَ هَذا مَشاعِرَ البَلَدِ كُلِّها . وَعَلِمْتُ أنَّ سْتِرِلْساو مُزْدَحِمَةٌ ، وَأنَّ جَميعَ الشُّقَقِ مُؤَجَّرَةٌ ، وَالفَنادِقَ مَحْجوزَةٌ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَإنَّ الفُرْصَةَ أمامي أصْبَحَتْ ضَئيلَةً جِدًّا لِلْحُصولِ عَلى مَكانٍ أقيمُ فيهِ دونَ أنْ أدْفَعَ مَبالِغَ باهِظَةً .

وَمِنْ ثَمَّ قَرَّرْتُ أنْ أتَوَقَّفَ في زِنْدا ، وَهِيَ بَلْدَةٌ صَغيرَةٌ تَبْعُدُ ثَمانينَ كيلومِتْراً عَنِ العاصِمَةِ ، وَحَوالَى سِتَّةَ عَشَرَ كيلومِتْراً عَنِ الحُدودِ ، وَقَدْ وَصَلَها القِطارُ مَساءً . وَرَأيْتُ أنْ أقْضِيَ بِها الغَدَ ، الثُّلاثاءَ ،

أَمْشي فَوْقَ التِّلالِ ، وَأَتفَرَّجُ على قَلْعَتِها المَشْهورَةِ ، ثُمَّ أَذْهَبَ إلى سْترِلْساو بِالقِطارِ صَباحَ يَوْمِ الأَرْبِعاءِ ، وَأَعودَ مَساءً لأَبيتَ في زِنْدا .

وَهكَذا خَرَجْتُ إلى مَحَطَّةِ القِطارِ في زِنْدا ، وَعِنْدَما مَرَّ بِي القِطارُ ، وَأَنا واقِفٌ ، رَأَيْتُ لِسَيِّدَةَ أَنْطوانيت دي موبان جالِسَةً في مَقْعَدِها ، وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّها ذاهِبَةٌ إلى سْترِلْساو ، وَكانَتْ أَبْعَدَ نَظَراً مِنّي فَحَجَزَتْ مَكاناً لإقامَتِها هُناكَ .

وَقَدْ أَحْسَنوا اسْتِقْبالي في الفُنْدُقِ الصَّغيرِ ، الَّذي لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ نُزُلٍ ، وَكانَتْ تُديرُهُ سَيِّدَةٌ عَجوزٌ بَدينَةٌ ، وَابْنَتاها . وَكُنَّ طَيِّباتِ القَلْبِ هادِئاتٍ . وَكانَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ مولَعَةً بِالدُّوقِ ، الَّذي أَصْبَحَ مُنْذُ وَفاةِ المَلِكِ السّابِقِ سَيِّداً على أَراضي زِنْدا ، وَالقَلْعَةِ الَّتي كانَتْ تُطِلُّ شامِخَةً على تَلٍّ مُنْحَدِرٍ في نِهايَةِ الوادي ، على بُعْدِ أَكْثَرَ مِنْ كيلومِتْرٍ مِنَ النُّزُلِ . وَكانَتِ العَجوزُ آسِفَةً لأَنَّ الدُّوقَ لَنْ يَعْتَلِيَ العَرْشَ بَدَلاً مِنْ أَخيهِ .

قالَتْ : « إنَّنا نَعْرِفُ الدُّوقَ مايكِل ، فَقَدْ عاشَ بَيْنَنا دائِماً ، وَكُلُّ مُواطِنٍ في روريتانْيا يَعْرِفُ الدُّوقَ مايكِل . أَمّا المَلِكُ فَيَكادُ يَكونُ غَريباً ؛ لأَنَّهُ دائِماً خارِجَ البِلادِ ، وَلا تَجِدُ مِنْ بَيْنَ كُلِّ عَشَرَةٍ واحِداً يَعْرِفُهُ بِالشَّكْلِ .»

قالَتْ إحْدى الشّابَّتَيْنِ : « وَيَقولونَ الآنَ إنَّهُ حَلَقَ لِحْيَتَهُ ، وَبِذلِكَ لا يَعرِفُهُ أَحَدٌ على الإطْلاقِ .»

صاحَتْ أُمُّها : « حَلَقَ لِحْيَتَهُ ! مَنْ قالَ ذلِكَ ؟»

« يوهان حارِسُ غابَةِ الدُّوقِ ؛ فَقَدْ رَأى المَلِكَ .»

« نَعَمْ ، يا سَيِّدي ، فَإنَّ المَلِكَ يَنْزِلُ الآنَ في كوخِ صَيْدِ الدُّوقِ في الغابَةِ . وَمِنْ هُناكَ سَيَتَوَجَّهُ إلى سْترِلْساو لِيُتَوَّجَ صَباحَ الأَرْبِعاءِ .»

أَثارَ اهْتِمامي سَماعُ ذلِكَ ، فَعَزَمْتُ على أَنْ أَسيرَ في اليَوْمِ التّالي في اتِّجاهِ الكوخِ ؛ لَعَلَّ الفُرْصَةَ تَسْنَحُ لي فَأُقابِلَ المَلِكَ .

وَمَضَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ تَقولُ: « كَمْ أَتَمَنّى أَنْ يَمكُثَ في كوخِ الصَّيْدِ ، وَيَدَعَ دوقَنا يُتَوَّجُ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ .»

قالَتِ الفَتاةُ الأَصْغَرُ وَالأَجْمَلُ : « بِالنِّسْبَةِ لي ، فَإنَّني أَكْرَهُ مايكِلَ الأَسْوَدَ . وَيُناسِبُني ، يا أُمّي ، الشَّعْرُ الأَحْمَرُ الَّذي تَتَميَّزُ بِهِ أُسْرَةُ إلْفِبْرغ . وَيَقولونَ إنَّ شَعْرَ المَلِكِ أَحْمَرُ مِثْلُ ... مِثْلُ ...» وَضَحِكَتْ وَهِيَ تَنْظُرُ إلَيَّ .

قالَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ : « لَقَدْ صَبَّ الكَثيرونَ مِنَ الرِّجالِ مِنْ قَبْلِكِ لَعَناتِهِمْ على شَعْرِهِ الأَحْمَرِ .»

صاحَتِ الفَتاةُ : « وَلكِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ امْرَأَةٌ قَطُّ !»

ورَأيْتُ أنّهُ حانَ الوَقْتُ لأمْنَعَهُما مِنَ المُشاجَرَةِ ، فَسَألْتُ : « كَيْفَ أمْكَنَ أنْ يَكونَ المَلِكُ هُنا ؟ فَهَذِهِ أرْضُ الدُّوقِ ، كَما تَقولونَ .»

« لَقَدْ دَعاهُ الدُّوقُ ، يا سَيِّدي ، لِيَسْتَريحَ هُنا حَتّى يَوْمِ الأرْبِعاءِ . وَالدُّوقُ نَفْسُهُ في سْتِرِلْساو يُعِدُّ تَرْتيباتِ اسْتِقْبالِ المَلِكِ .»

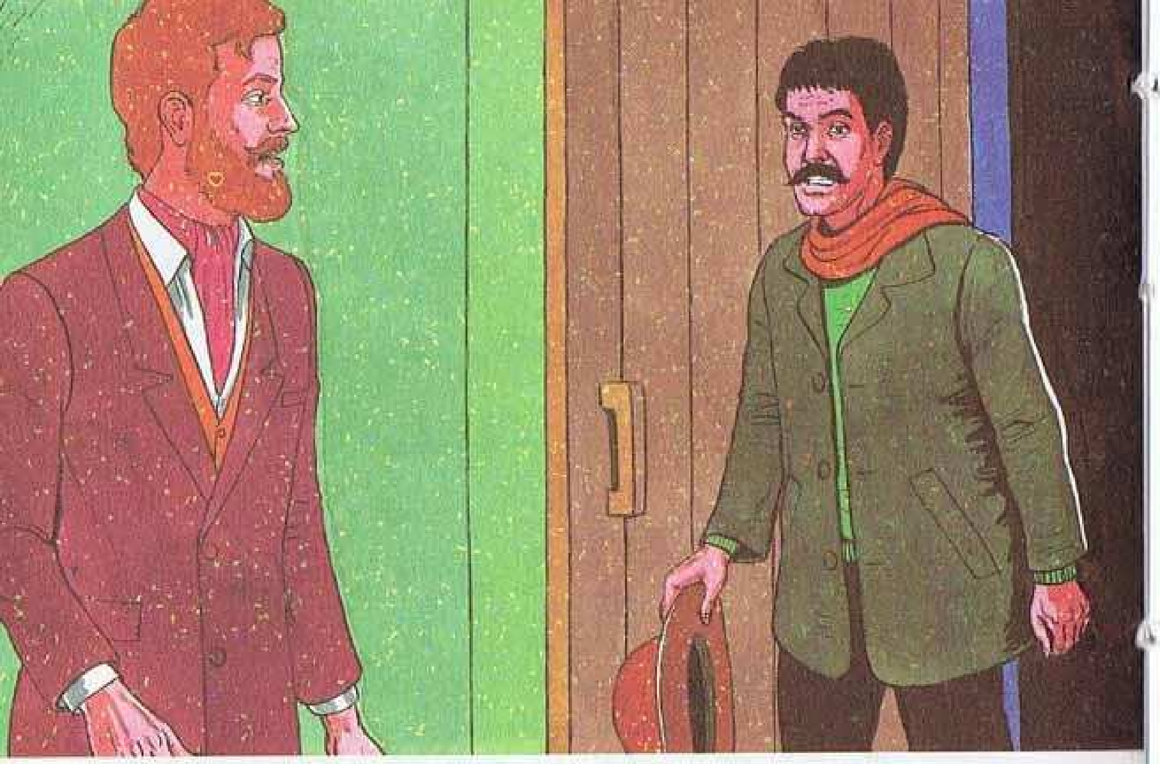
« إذاً فَهُما صَديقانِ ؟»

أمالَتِ الفَتاةُ الصُّغْرى رَأسَها إلى الخَلْفِ قائِلَةً : « نَعَمْ ، فَكُلٌّ مِنْهُما يُحِبُّ الآخَرَ كَما يُحِبُّ الرَّجُلُ مَنْ يُناوِئُهُ عَلى المَنْزِلَةِ نَفْسِها وَالزَّوْجَةِ نَفْسِها !»

بَدا عَلى السَّيِّدَةِ العَجوزِ الغَضَبُ ، فَسارَعْتُ أسْأَلُ: « المَنْزِلَةُ نَفْسُها ! تَقْصِدينَ العَرْشَ فيما أعْتَقِدُ . وَلَكِنْ مَنْ هِيَ الزَّوْجَةُ نَفْسُها ؟ كَيْفَ ذَلِكَ ، يا سَيِّدَتي الشّابَّةَ ؟»

« إنَّ العالَمَ كُلَّهُ يَعْرِفُ أنَّ مايكِل الأسْوَدَ ؛ أي الدُّوقَ يا أمّي ، عَلى اسْتِعْدادٍ لأنْ يَجودَ بِروحِهِ لِيَتَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ الأميرَةَ فلاڤيا ، الّتي سَتُصْبِحُ المَلِكَةَ .»

قُلْتُ : « حَسَناً ! لَقَدْ بَدَأتُ أشْعُرُ بِالأسَفِ مِنْ أجْلِ الدُّوقِ . وَلَكِنْ عَلى الابْنِ الأصْغَرِ أنْ يَقْبَلَ ما يَتْرُكُهُ لَهُ الابْنُ الأكْبَرُ ، وَأنْ



يَكونَ شاكِراً لَهُ بِقَدْرِ ما يَسْتَطيعُ .» وَضَحِكْتُ وَأنا أفَكِّرُ في السَّيِّدَةِ دي مُوبان وَرِحْلَتِها إلى سْتِرِلْساو .

وَسَمِعْتُ وَقْعَ أقْدامٍ ثَقيلَةٍ عِنْدَ البابِ ، وَدَخَلَ رَجُلٌ ، فَقالَتْ لَهُ صاحِبَةُ الفُنْدُقِ العَجوزُ : « لَدَيْنا ضَيْفٌ ، يا يوهان .» فَخَلَعَ الرَّجُلُ قُبَّعَتَهُ تَحِيَّةً لي . وَفي اللَّحْظَةِ الّتي نَظَرَ فيها إلَيَّ تَراجَعَ إلى الوَراءِ خُطْوَةً ، مِثْلَما فَعَلَ ضابِطُ الحُدودِ ، وَكَأنَّهُ رَأى شَيْئاً عَجيباً .

وَسَألَتْهُ الفَتاةُ الكُبْرى : « ما الخَطْبُ ، يا يوهان ؟ هَذا سَيِّدٌ مُسافِرٌ أتى لِمُشاهَدَةِ حَفْلِ التَّتْويجِ .»

وَتَمالَكَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ ، وَلَكِنَّهُ أخَذَ يَنْظُرُ إلَيَّ نَظَراتٍ غَريبَةً لا

تَخلو مِنْ بُغْضٍ .

قُلْتُ لَهُ : « مَساءُ الخَيْرِ .»

أجابَني بِصَوْتٍ خَفيضٍ : « مَساءُ الخَيْرِ ، يا سَيِّدي .»

وَطَفِقَتِ الفَتاةُ الصُّغْرى تَضْحَكُ ، ثُمَّ قالَتْ: « اُنْظُرْ ، يا يوهان ، إنَّهُ لَوْنُكَ المُفَضَّلُ . لَقَدْ دَهِشَ ، يا سَيِّدي ، بِسَبَبِ لَوْنِ شَعْرِكَ ، فَهُوَ لَوْنٌ لا نَراهُ كَثيراً هُنا في زِنْدا .»

وَأَلْقَيْتُ بِتَحِيَّةِ المَساءِ عَلى الجَميعِ ، وَنَهَضْتُ واقِفاً . وَهُرِعَتِ الفَتاةُ الصُّغْرى لِتُنيرَ لِيَ الطَّريقَ إلى غُرْفَتي ، عَلى حينِ ظَلَّ يوهان يَنْظُرُ إليَّ بِغَرابَةٍ وَأَنا أَمُرُّ بِهِ .

قالَتِ الفَتاةُ وَهِيَ تَصْعَدُ الدَّرَجَ أمامي : « إنَّ لَوْنَ شَعْرِكَ لا يَروقُ السَّيِّدَ يوهان ، يا سَيِّدي .»

قُلْتُ : « لَعَلَّهُ يُفَضِّلُ لَوْنَ شَعْرِكِ أَنْتِ .»

« كُنْتُ أَقْصِدُ لَوْنَ الشَّعْرِ بِالنِّسْبَةِ لِلرِّجالِ .»

سَأَلْتُها : « ماذا يُهِمُّ اللَّوْنُ في الرَّجُلِ ؟»

« لا أَعْرِفُ ، يا سَيِّدي ، وَلكِنّي أُحِبُّ لَوْنَ شَعْرِكَ ؛ فَهُوَ أَحْمَرُ مِثْلُ شَعْرِ أُسْرَةِ إلْفِبِرْغ .»

قُلْتُ : « لَوْنُ الشَّعْرِ في الرَّجُلِ مَسْأَلَةٌ لا أَهَمِّيَّةَ لَها .»

وَتَرَكْتُها إلى غُرْفَتي . وَالحَقُّ أَنّني عَرَفْتُ ، بَعْدَ ذلِكَ ، أَنَّ لِلَوْنِ الشَّعْرِ أَحْياناً أَهَمِّيَّةً كُبْرى بِالنِّسْبَةِ لِلرَّجُلِ .

الفصل الثاني

ليْلة مَرِحَة مَعَ قريبٍ جديدٍ

اكْتشفْتُ ، في اليوْمِ التّالي ، أنّني إذا مَشَيْتُ ستّةَ عشَرَ كيلومتْرًا في الغابَةِ ، أمْكنني أنْ أصِلَ إلى السّكّةِ الحديديّةِ مرّةً أخْرى عِنْدَ محطّةٍ جانبيّةٍ . وبعْدَ أنْ ودّعْتُ مُضيفاتي الرّقيقاتِ ، شَرعْتُ أتسلّقُ التّلَّ المؤدّيَ إلى القلْعَةِ ، ومِنْ هُناكَ إلى غابَةِ زِنْدا .

كانَتِ القَلْعَةُ حِصْنًا فيما مَضى مِنْ زَمَنٍ ، وكانَ الجُزْءُ القَديمُ مِنْها لا يَزالُ مَحْفوظًا في حالَةٍ جَيِّدَةٍ . وكانَ يَحُفُّ بِها خَنْدَقٌ عَميقٌ وعَريضٌ تَغْمُرُهُ المِياهُ ، وعلى الجانِبِ الآخَرِ كانَ ثَمَّ بِناءٌ رَفيعٌ حَديثٌ شَيَّدَهُ المَلِكُ السّابِقُ ، ويُعَدُّ الآنَ المَقَرَّ الرّيفِيَّ لِدوقِ سْتِرِلْساو.

وعِنْدَما اقْتَرَبْتُ رَأَيْتُ أنَّ الجُزْأيْنِ القَديمَ والجَديدَ مُتَّصِلانِ بِجِسْرٍ مُتَحَرِّكٍ ، وهُوَ السَّبيلُ الوَحيدُ الّذي يُؤَدّي إلى القَلْعَةِ القَديمَةِ ،

على حينِ كانَ يُؤَدّي إلى المَبْنى الجَديدِ مَمَرٌّ عَريضٌ .

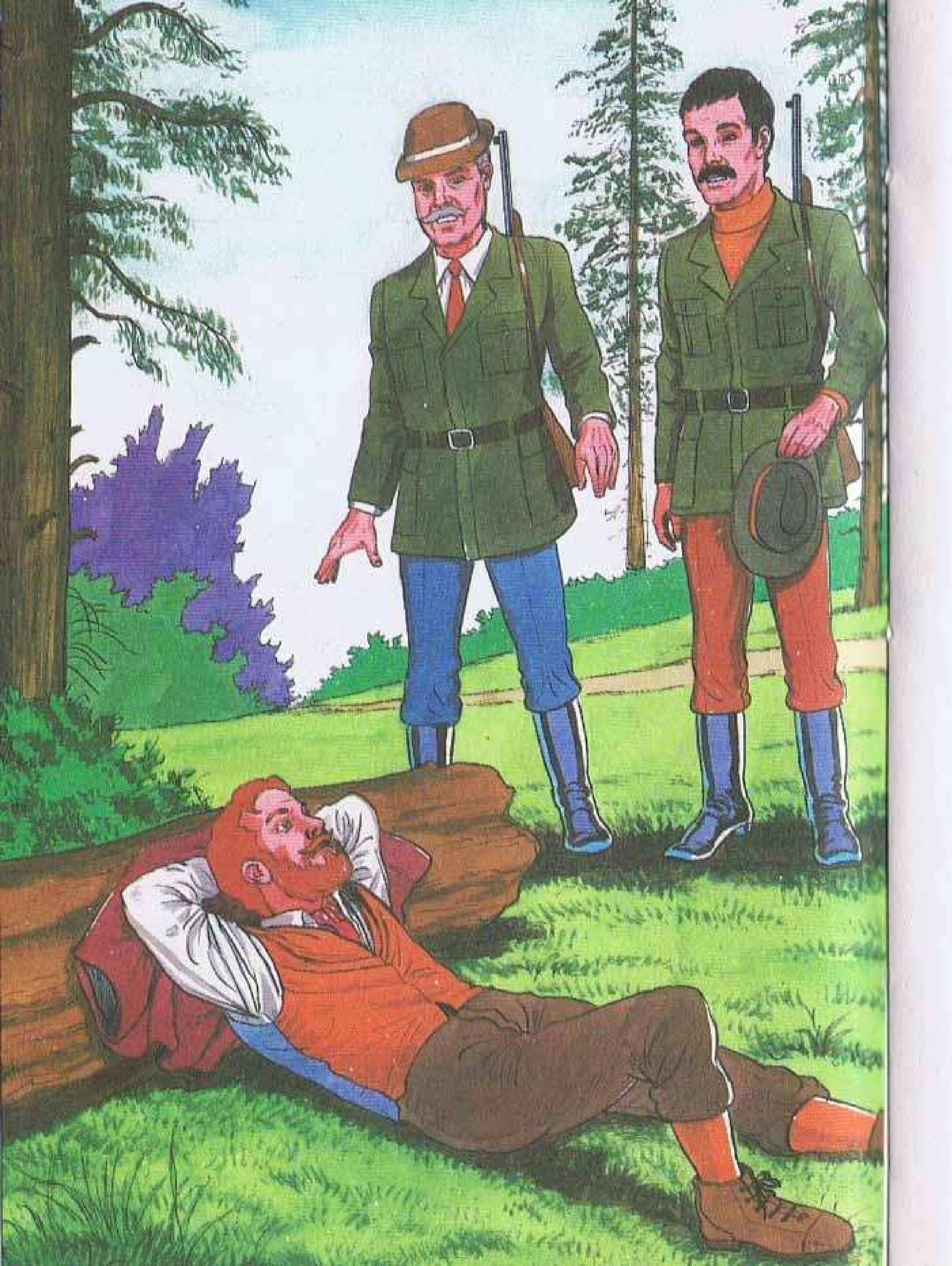
وأدْرَكْتُ كَمْ هُوَ سَهْلٌ على الدّوقِ مايكِلِ ، إذا رَغِبَ ألّا يَلْقى أحَدًا ، أنْ يَعْبُرَ الجِسْرَ ويَرْفَعَهُ وَراءَهُ ، لأنَّهُ كانَ يَتَحَرَّكُ على عَجَلاتٍ ، وعِنْدَئِذٍ لا يَسْتَطيعُ إخْراجَهُ سِوى فَريقٍ مِنَ الجُنْدِ مُزَوَّدٍ بالمَدافِعِ الثَّقيلَةِ .

مَرَرْتُ بِالقَلْعَةِ ، وسَرْعانَ ما وَجَدْتُني داخِلَ الغابَةِ ، وأخَذْتُ في السَّيْرِ حَوالى ساعَةٍ أوْ أكْثَرَ تَحْتَ ظِلالِها البارِدَةِ . وكانَ المَكانُ لَطيفًا ؛ فَأغْصانُ الأشْجارِ الضَّخْمَةِ تَتَلامَسُ فَوْقَ رَأْسي ، وأشِعَّةُ الشَّمْسِ تَتَسَلَّلُ مِنْ بَيْنِها لِتَنْتَشِرَ هُنا وهُناكَ .

وبَعْدَ فَتْرَةٍ جَلَسْتُ بِجِوارِ جِذْعِ شَجَرَةٍ هاوِيَةٍ لأدَخِّنَ غَلْيوني ، ولأسْتَمْتِعَ بِجَمالِ المَكانِ. وبَعْدَ أنْ فَرَغْتُ مِنَ التَّدْخينِ رُحْتُ في سُباتٍ عَميقٍ ، دونَ أنْ أعيرَ اهْتِمامًا لِوُجودي داخِلَ أمْلاكِ دوقِ مايكِلِ الخاصَّةِ .

وأيْقَظَني صَوْتٌ خَشِنٌ عالٍ .

« يا لَلْغَرابَةِ ! احْلِقْ لِحْيَتَهُ يُصْبِحِ المَلِكَ ! »



فَتَحتُ عينَيَّ فأبْصَرْتُ رَجُلَين يُحدِّقانِ إليَّ بِفُضولٍ شَديد . وَكانا كِلاهُما يَرْتَدِيانِ مَلابِسَ الصَّيْدِ ، وَيَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً . كانَ أَحَدُهُما يَميلُ إلى القِصَرِ ، وَكانَ قَوِيَّ البُنْيانِ ، ذا رَأْسٍ مُرَبَّعٍ ضَخْمٍ ، وَشارِبٍ رَمادِيٍّ ، وَعَيْنَيْنِ صَغيرَتَيْنِ لَوْنُهُما أَزْرَقُ فاتِحٌ . وَكانَ الآخَرُ نَحيفاً ، مُتَوَسِّطَ القامَةِ ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ ، يَميلُ إلى الرَّشاقَةِ . وَخَمَّنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ الأَوَّلَ جُنْدِيٌّ ، وَأَنَّ الثّاني رَجُلٌ نَبيلٌ يَأْلَفُ المُجْتَمَعاتِ الرّاقِيَةَ وَلكِنَّ فيهِ سِماتٍ عَسْكَرِيَّةً أَيْضاً . وَقَدْ تَبَيَّنَ لي فيما بَعْدُ صِدْقُ حَدْسي .

أَقْبَلَ نَحْوي أَكْبَرُهُما سِنّاً يَتْبَعُهُ الرَّجُلُ الآخَرُ ، الَّذي رَفَعَ قُبَّعَتَهُ لي بِأَدَبٍ ، فَنَهَضْتُ بِبُطْءٍ واقِفاً على قَدَمَيَّ .

« إِنَّهُ بِالطّولِ نَفْسِهِ أَيْضاً ! » هَمْهَمَ بِذَلِكَ الرَّجُلُ الأَكْبَرُ سِنّاً ، وَهُوَ يَتَفَحَّصُ بِنَظَرِهِ طولِيَ البالِغَ مِئَةً وَخَمْسَةً وَثَمانينَ سَنْتيمِتْراً . ثُمَّ قالَ لي ، وَهُوَ يَلْمِسُني بِقُبَّعَتِهِ بِلا اكْتِراثٍ : « هَلّا أَخْبَرْتَني بِاسْمِكَ ؟ »

أَجَبْتُهُ مُبْتَسِماً : « بِما أَنَّكُما أَخَذْتُما الخُطْوَةَ الأُولى ، أَيُّها السَّيِّدانِ ، فَالمَفْروضُ أَنْ تُعَرِّفاني بِنَفْسَيْكُما . »

اِبْتَسَمَ الرَّجُلُ الثّاني ، الأَصْغَرُ سِنّاً ، اِبْتِسامَةً لَطيفَةً وَقالَ : « هَذا

هُوَ العَقيدُ سابْت ، وَأنا أدْعى فريتز ڤون تارلينْهايْم . وَكِلانا يَعْمَلُ في خِدْمَةِ مَلِكِ روريتانْيا .»

اِنْحَنيْتُ وَخَلَعْتُ قُبَّعَتي قائِلاً : « أنا رُودُلْف راسَنْدِل ، رَحّالَةٌ مِنْ إنْجِلْترا . وَقَدْ كُنْتُ مُنْذُ عامَيْنِ أوْ ثَلاثَةِ أعْوامٍ ضابِطًا في جَيْشِ جَلالَةِ المَلِكَةِ ڤيكتوريا .»

قالَ تارْلينْهايْم : « إذًا نَحْنُ رُفْقَةُ السِّلاحِ .» وَمَدَّ يَدَهُ نَحْوي ، فَصافَحْتُهُ في الحالِ .

قالَ سابْت بِصَوْتِهِ العَميقِ : « لَعَلَّكَ لا تَعْلَمُ ، يا سَيِّدُ راسَنْدِل ، أنَّكَ تُشْبِهُ مَلِيكَنا تَمامَ الشَّبَهِ .»

وَشَعَرْتُ بِعَدَمِ الارْتِياحِ ، وَتَذَكَّرْتُ نَظَراتِ ضابِطِ الحُدودِ ، وَنَظَراتِ يوهان في اليَوْمِ السّابِقِ . وَلَوْ كُنْتُ أعْلَمُ هذا لَفَكَّرْتُ طَويلاً قَبْلَ أنْ أقومَ بِزِيارَةِ روريتانْيا ، وَلكِنْ فاتَ الأوانُ .

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَرَدَّدَ وَراءَنا صَوتٌ مُدَوٍّ قائِلاً : « فريتز ، فريتز ! أيْنَ أنْتَ ، يا فريتز ؟ »

اِلْتَفَتَ فريتز قائِلاً بِسُرْعَةٍ : « إنَّهُ المَلِكُ !»

وَضَحِكَ سابْت ، الأكْبَرُ سِنًّا ، عِنْدَما قَفَزَ شابٌّ مِنْ وَراءِ جِذْعِ شَجَرَةٍ وَ وَقَفَ بِجانِبِنا . وَعِنْدَما نَظَرْتُ إلَيْهِ أطْلَقْتُ صَيْحَةَ دَهْشَةٍ ،

وَعِنْدَما رَآني تَراجَعَ مَأخوذًا . وَلَوْلا شَعْرُ لِحْيَتي ، وَإدْراكُهُ لِمَنْزِلَتِهِ لأصْبَحَ مَلِكُ روريتانْيا رُودُلْف راسَنْدِل ، وَلأصْبَحْتُ أنا ، رُودُلْف راسَنْدِل ، المَلِكَ .

وَتَكَلَّمَ المَلِكُ أوّلاً ، فَقالَ: « مَنْ هذا السَّيِّدُ ، أيُّها العَقيدُ فريتز ؟»

قالَ سابْت بِغِلْظَةٍ : « يَبْدو أنَّ لَكَ بَديلاً ، يا مَوْلايَ !»

نَظَرَ إلَيَّ المَلِكُ ثانِيَةً ، بَعْدَ أنْ زالَتْ دَهْشَتُهُ ، ثُمَّ انْفَجَرَ في ضِحْكَةٍ تَتَّسِمُ بِالبَهْجَةِ ، وَصاحَ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ نَحْوي وَيَشُدُّ عَلى يَدي : « سَعِدْتُ بِلِقائِكَ ، يا أخي ! وَيَجِبُ ألا تُؤاخِذَني لِدَهْشَتي . أخْبِرْني مَنْ أنْتَ ، وَما هِيَ وِجْهَتُكَ ؟»

وَأخْبَرْتُهُ ، غَيْرَ أنَّهُ بَدا عَلَيْهِ الارْتِيابُ عِنْدَما قُلْتُ لَهُ إنّي ذاهِبٌ إلى سْترِلْساو في اليَوْمِ التّالي ، ثُمَّ عادَ إلى الضَّحِكِ ثانِيَةً وَصاحَ : « فريتز ، فريتز ! كَمْ يَطيبُ لي أنْ أدْفَعَ ألْفَ جُنَيْهٍ لِقاءَ مُشاهَدَتي مَلامِحَ وَجْهِ أخي مايكل عِنْدَما يَرانا كِلَيْنا مَعًا !»

قالَ فريتز يُبْدي مُلاحَظَةً : « لكِنْ جادّينَ ، يا مَوْلايَ ! فَأنا أرى أنَّهُ مِنَ الحِكْمَةِ ألا يَزورَ السَّيِّدُ راسَنْدِل سْترِلْساو في الوَقْتِ الحالِيِّ .»

أشْعَلَ المَلِكُ سيجارَةً ، وَسَأَلَ : « ماذا تَرى ، يا سابْت ؟»

زَمْجَرَ سابْت العَجوزُ قائِلاً : « يَجِبُ ألا يَذْهَبَ ! »

« أ تَقْصِدُ ، أيُّها العَقيدُ ، أنَّ السَّيِّدَ راسْنْدِل سَيكونُ لَهُ الفَضْلُ عَلَيَّ إذا ... »

قالَ سابْت : « اُنْظُرْ إلى الأمْرِ مِنْ زاوِيَتِهِ الصَّحيحَةِ . »

قُلْتُ : « كَفى ، يا مَوْلايَ ! سأغادِرُ رُوريتانْيا اللَّيْلَةَ . »

قالَ المَلِكُ : « لا ! إنَّكَ بِالتَّأكيدِ لَنْ تَرْحَلَ . وَأقولُ بِوُضوحٍ ، كَما يُحِبُّ سابْت ، إنَّكَ سَتَتَعَشّى مَعِي اللَّيْلَةَ مَهْما كانَ الثَّمَنُ . تَعالَ أيُّها الرَّجُلُ ، فَالمَرْءُ لا يَلْقى كُلَّ يَوْمٍ أخًا جَديداً . »

وَ وافَقَ سابْت وَفريتْز ، فَانْطَلَقْنا نَسيرُ في الغابَةِ . وَأخَذَ المَلِكُ يُدَخِّنُ سيجارَةً إثْرَ سيجارَةٍ دونَ أنْ يَكُفَّ عَنِ الحَديثِ . وَكانَ رَفيقاً مَرِحاً وَمُسَلِّياً . وَخَرَجْنا مِنَ الغابَةِ بَعْدَ نِصْفِ ساعَةٍ تَقْريباً لِنَجِدَ أنْفُسَنا أمامَ كوخٍ خَشَبِيٍّ بَسيطٍ لِلصَّيْدِ ، يَتَألَّفُ مِنْ طابَقٍ واحِدٍ . وَخَرَجَ خادِمٌ لِمُلاقاتِنا ، وَشاهَدْتُ أيْضاً امْرَأةً عَجوزاً بَدينَةً ، وَعَلِمْتُ فيما بَعْدُ أنَّها أمُّ يوهان حارِسِ الغابَةِ .

سَألَ المَلِكُ : « حَسَنًا ، يا جُوزيف ، هَلِ العَشاءُ جاهِزٌ ؟ »

أجابَ الخادِمُ : « نَعَمْ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ . »

وَسُرْعانَ ما جَلَسْنا إلى مائِدَةٍ عامِرَةٍ بِالطَّعامِ ، وَصاحَ المَلِكُ

يَطْلُبُ عصيراً .

قالَ فريتز : « تَذَكَّرْ ، يا مَوْلايَ ، أنَّهُ عَلَيْنا أنْ نَرْحَلَ غَداً مُبَكِّرينَ . »

ضَحِكَ سابْت العَجوزُ قائِلاً : « نَعَمْ ، غَداً ! »

وَشَرِبَ المَلِكُ العَصيرَ وَهُوَ يَدْعونَني أخاهُ الجَديدَ ، وَأجَبْتُهُ قائِلاً : « عاشَ آلُ إلْفبرْغ ! »

كانَ الطَّعامُ وَفيراً وَشَهِيًّا ، وَالعَصيرُ لَذيذاً ؛ فَرُحْنا نَأكُلُ وَنَشْرَبُ بِشَغَفٍ . وَأخْفَقَتْ جُهودُ فريتْز في إيقافِ المَلِكِ عَنِ الأكْلِ . وَالحَقيقَةُ أنَّ فريتْز ذاتَهُ اسْتَجابَ بِسُهولَةٍ لإغْراءِ الأكْلِ . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى شَبِعْنا تَماماً ، وَأُصِبْنا بِالكَسَلِ . وَراحَ المَلِكُ يُحَدِّثُنا عَمّا يَنْوي أنْ يَفْعَلَهُ في المُسْتَقْبَلِ ؛ عَلى حينَ تَحَدَّثَ سابْت العَجوزُ عَمّا فَعَلَهُ في ماضيهِ ؛ وَحَدَّثَنا فريتْز عَنْ حَسْناءَ كانَتْ في حَياتِهِ وَغَيْرِها ؛ وَتَحَدَّثْتُ أنا عَنْ عَظَمَةِ رُوريتانْيا . كُنّا نَتَكَلَّمُ جَميعاً في وَقْتٍ واحِدٍ وَنَسينا أمْرَ الغَدِ .

وَأخيراً اسْتَوى المَلِكُ جالِساً في كُرْسِيِّهِ ، وَقالَ إنَّهُ أكَلَ بِما فيهِ الكِفايَةُ ، وَعِنْدَئِذٍ وَضَعَ جُوزيف أمامَنا إبْريقاً رائِعاً مِنْ عَصيرِ التُّفّاحِ ، وَقالَ : « إنَّ سُمُوَّ دُوقِ سْتْرِلْساو قَدْ أبْلَغَني أنْ أقَدِّمَ هذا العَصيرِ

لِلْمَلِكِ عِنْدَما يَفْرُغُ مِنْ تناوُلِ طَعامِهِ .»

صاحَ المَلِكُ : « لَقَدْ أَحْسَنَ أخي صُنْعاً ! صُبَّ العَصيرَ ، يا جُوزيف . »

وَرَفَعَ المَلِكُ كوبَهُ، وتَذَوَّقَ العَصيرَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنا قائِلاً : « أَيُّها السّادَةُ ، يا أَصْدِقائي ، أخي رودُلْف ؛ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ ، خُذوا نِصْفَ رُوريتانيا ، عَلى ألا تَطْلُبوا مِنّي قَطْرَةً واحِدَةً مِنْ هَذا العَصيرِ الرّائِعِ . إِنّني أَشْرَبُ هَذا العَصيرَ في صِحَّةِ ذَلِكَ ... ذَلِكَ الوَغْدِ ، مايكِلِ الأَسْوَدِ .»

وَأَمْسَكَ المَلِكُ بِالإِبْريقِ ، وَ وَضَعَ حافَتَهُ عَلى فَمِهِ ، وَتَجَرَّعَ ما فيهِ حَتّى الثُّمالَةِ ، ثُمَّ أَلْقى بِالإِبْريقِ عَلى الحائِطِ فَتَحَطَّمَ . وَكانَ صَوْتُ تَحَطُّمِ الإِبْريقِ الزُّجاجِيِّ آخِرَ ما سَمِعْتُهُ لِساعاتٍ عَديدَةٍ ، فَقَدْ رُحْنا بَعْدَ ذَلِكَ في سُباتٍ عَميقٍ .

* * *

وَأَفَقْتُ فَجْأَةً لأَجِدَ نَفْسي مُبَلَّلاً تَماماً ، وَرَأَيْتُ سابْت العَجوزَ مُمْسِكاً بِدَلْوٍ بِيَدِهِ ، وَكانَ بِجانِبِهِ فريتْز جالِساً فَوْقَ المِنْضَدَةِ وَيَبْدو شاحِباً مِثْلَ الشَّبَحِ . وَ وَثَبْتُ واقِفاً على قَدَمَيَّ غاضِباً ، وَصِحْتُ وأَنا أَمْسَحُ الماءَ عَنْ عَيْنَيَّ وَشَعْري : « لَقَدْ تَجاوَزَتْ دُعابَتُكَ الحُدودَ .»

أجابني سابْت : « لَيْسَ لَدَيْنا وَقْتٌ لِلْعِراكِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ يوقِظُكَ . إِنَّ السّاعَةَ الآنَ الخامِسَةُ .»

سَأَلْتُهُ بِحِدَّةٍ : « ماذا يَعْني ذَلِكَ لي ؟»

قاطَعَني فريتْز وَهُوَ يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِ المِنْضَدَةِ ، وَيُمْسِكُ بِذِراعي : « راسَنْدِل ، انْظُرْ هُناكَ !»

كانَ المَلِكُ مُمَدَّداً عَلى الأَرْضِ ، وَقَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ احْمِرارَ لَوْنِ شَعْرِهِ ، وَكانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعوبَةٍ . وَرَكَلَهُ سابْت بِوَقاحَةٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبْدِ حَراكاً . وَرَأَيْتُ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ مُبْتَلَّيْنِ بِالماءِ مِثْلَما كانَ وَجْهي وَرَأْسي.

قالَ فريتْز : « لَقَدْ أَمْضَيْنا نِصْفَ ساعَةٍ نُحاوِلُ إِفاقَتَهُ .»

وَانْحَنَيْتُ وَجَسَسْتُ نَبْضَهُ ، فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ بَطيءٌ لِلْغايَةِ ، فَأَلْمَحْتُ إِلى السَّبَبِ قائِلاً : « لا بُدَّ أَنَّهُ كانَ بِعَصيرِ التُّفّاحِ الأَخيرِ مُخَدِّرٌ ، وَعَلَيْنا أَنْ نَسْتَدْعِيَ طَبيباً .»

قالَ سابْت مُزَمْجِراً : « لَيْسَ ثَمَّ طَبيبٌ حَتّى مَسافَةِ سِتَّةَ عَشَرَ كيلومِتْراً ، وَلَيْسَ في مَقْدورِ أَلْفِ طَبيبٍ أَنْ يُفيقوهُ لِيَصِلَ إِلى سْتْرِلْساو اليَوْمَ .»

صِحْتُ : « وَلَكِنْ ماذا عَنِ التَّتْويجِ ؟»

قالَ فريتز : « يُمْكِنُنا أنْ نُعْلِنَ أنّهُ مَريضٌ .»

ضَحِكَ سابْت العَجوزُ هازِئًا وَقالَ : « إذا لَمْ يُتَوَّجِ اليَوْمَ ، فَلَنْ يُتَوَّجَ أبَدًا .»

سَأَلْتُهُ : « وَلكِنْ لِماذا ؟»

« إنَّ الأمَّةَ بِأسْرِها هُناكَ لِلِقائِهِ ، كَذَلِكَ نِصْفُ الجَيْشِ بِقِيادَةِ مايْكِلِ الأسْوَدِ ؛ فَهَلْ نَبْعَثُ نُبَلِّغُهُمْ بِأنَّ المَلِكَ فاقِدُ الوَعْيِ لِدَرَجَةٍ لا يَسْتَطيعُ مَعَها أنْ يَذْهَبَ إلَيْهِمْ ؟»

قُلْتُ مُصَحِّحًا : « بَلْ مَريضٌ .»

رَدَّدَ سابْت بِضِحْكَةٍ أخْرى هازِئَةٍ : « مَريضٌ ! إنَّهُمْ يَعْرِفونَ مَرَضَهُ جَيِّدًا ، فَقَدْ أصيبَ مِنْ قَبْلُ بِالمَرَضِ ذاتِهِ .»

قالَ فريتز : « يَجِبُ أنْ نُجازِفَ بِما يَعْتَقِدونَ .»

سَألَني سابْت: « تَقولُ إنَّكَ تَعْتَقِدُ أنَّ المَلِكَ خُدِّرَ ؟ »

« بِالتَّأكيدِ .»

« مَنِ الَّذي خَدَّرَهُ إذًا؟ إنَّهُ بِالطَّبْعِ مايْكِلِ الأسْوَدُ .»

« وَما دافِعُهُ لِهَذا ؟»

« أنْ يَحولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحُضورِ لِيُتَوَّجَ .»

وَالْتَفَتَ إلَيَّ فريتز مُكَمِّلاً حَديثَهُ : « إنَّكَ تَعْلَمُ أنَّ نِصْفَ سْتْرِلْساو يُفَضِّلونَ مايْكِل مَلِكًا ، وَأقولُ لَكَ إنْ لَمْ يُتَوَّجْ رُودُلْف الخامِسُ اليَوْمَ ؛ فَإنَّ مايْكِلِ الأوَّلَ سَيَحُلُّ مَحَلَّهُ .»

وَصَمَتْنا جَميعًا دَقيقَةً أوْ دَقيقَتَيْنِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيَّ سابْت قائِلاً : « إنَّ الإنْسانَ كُلَّما تَقَدَّمَ بِهِ العُمْرُ ازْدادَ إيمانُهُ بِالقَدَرِ ، وَقَدْ بَعَثَ بِكَ القَدَرُ إلى هُنا ، وَسَوْفَ يَبْعَثُ بِكَ القَدَرُ الآنَ إلى سْتْرِلْساو .»

قَفَزْتُ صائِحًا : « يا إلَهي !»

وَتَطَلَّعَ إلَيَّ فريتز ، وَقَدْ بَدَتْ على وَجْهِهِ عَلامَةُ تَحَمُّسٍ مُفاجِئٍ .

قُلْتُ: « مُسْتَحيلٌ ! سَيَكْتَشِفونَ أمْري ! »

قالَ سابْت : « إنَّها مُخاطَرَةٌ ، وَلَكِنَّها مِنْ ناحِيَةٍ أخْرى مَضْمونَةٌ ، ولَنْ يَنْكَشِفَ أمْرُكَ إذا حَلَقْتَ لِحْيَتَكَ . أ خائِفٌ أنْتَ ؟»

« سَيِّدي ! »

« تَعالَ ، يا فَتى ، وَاغْفِرْ لي . وَلَكِنْ أنْتَ تَعْلَمُ أنَّ الثَّمَنَ ، إذا اكْتُشِفَ أمْرُكَ ، هو حَياتُكَ وَحَياتي وَحياةُ فريتز . إنَّني أقْسِمُ لَكَ ، إنْ لَمْ تَذْهَبْ ، فَإنَّ مايْكِلِ الأسوَدَ سَوْفَ يَعْتَلي اللَّيْلَةَ العَرْشَ، وَسَوْفَ يَرْقُدُ المَلِكُ في السِّجْنِ أوْ في قَبْرِهِ !»

قُلْتُ : « إنَّ المَلِكَ لَنْ يَغْفِرَ لَنا أبداً هَذِهِ الفَعْلَةَ .»

« ألَسْنا رِجالاً؟ مَنْ ذا الَّذي يُبالي بِغُفْرانِهِ ؟»

وَمَرَّتِ الثَّواني : خَمْسونَ ، فَستّونَ ، فَسَبْعونَ ... وَأعْتَقِدُ أنَّ تَعبيراً ما كَسا وَجْهي ؛ فَقَدْ أمْسَكَ سابْت العَجوزُ بِيَدي صائِحاً : « أ ذاهِبٌ أنْتَ ؟»

أجَبْتُ وَأنا أنْظُرُ إلى جِسْمِ المَلِكِ المُمَدَّدِ عَلى الأرْضِ : « نَعَمْ ، سَأذْهَبُ .»

الفصل الثالث

رَحيلُ المَلِكِ إلى سْترِلْساو

اِنْقَضَتِ السّاعَتانِ التّالِيَتانِ مِثْلَ الحُلْمِ . وَكانَ مِنْ حُسْنِ الحَظِّ أنْ يُلازِمَني سابْت لِيُفَكِّرَ لي وَلِفريتْز أيْضاً . لَقَدْ كانَ سابْت العَجوزُ يُفَكِّرُ في كُلِّ شَيْءٍ . وَأرْسَلَ في طَلَبِ جُوزيف ، وَجَعَلَهُ يَحْلِقُ لي لِحْيَتي ، وَنَقَلَ المَلِكَ إلى القَبْوِ أسْفَلَ الكوخِ . أمّا المَرْأةُ البَدينَةُ ، أمُّ يوهان ، فَقَدْ شَكَّ سابْت في أنَّها كانَتْ تَتَنَصَّتُ عَلَيْنا عِنْدَ البابِ ؛ لِذا قَيَّدَها وَكَمَّمَ فَمَها بِمِنْديلٍ ، وَحَبَسَها في إحْدى غُرَفِ القَبْوِ .

صاحَ فريتْز : « الحَرَسُ ! ماذا سَيَفْعَلونَ بِنا ؟ سَيَكْشِفونَ الأمْرَ .»

وَشَرَحَ لي سابْت المَوْقِفَ قائِلاً : « سَوْفَ يُرْسِلُ مايكل حَرَساً لِيُرافِقَ المَلِكَ ، وَسَوْفَ نَذْهَبُ دونَهُمْ وَنَأخُذُ القِطارَ مِنْ هُوفْباو بَدَلاً مِنْ زِنْدا ، وَعِنْدَما يَأتونَ سَيَكونُ الصَّيْدُ قَدْ أفْلَتَ .»

قُلْتُ : « إذا كانوا يَدْرونَ بِخُطَطِ مايكِل ، فَإنَّهُمْ سَيَظُنّونَ أنّنا

شَكَكْنا في شَيْءٍ .»

وَعِنْدَئِذٍ ارْتَدَيْتُ زِيَّ المَلِكِ الأَبْيَضَ ، كَما ارْتَدى كُلٌّ مِنْ سابْت وَفريتز زِيَّهُ . وَبَقِيَ جُوزيف بَعْدَ أنْ تَلَقّى أوامِرَ مُشَدَّدَةً بِحِراسَةِ القَبْوِ حَتّى نَعودَ . وَاعْتَلَيْنا ظُهورَ جِيادِنا ، أَعْني جِيادَ المَلِكِ ، وَسِرْنا في الغابَةِ .

وَشَرَحَ لي سابْت في الطَّريقِ ، بِقَدْرِ ما أَمْكَنَهُ ، كُلَّ شَيْءٍ عَنْ تاريخِ حَياةِ المَلِكِ وَأُسْرَتِهِ ، وَما يُحِبُّ وَما لا يُحِبُّ ، وَأَصْدِقائِهِ ، وَرِفاقِهِ ، وَخَدَمِهِ . وَأَخْبَرَني بِقَواعِدِ السُّلوكِ في بَلاطِ رورِيتانْيا ، وَ وَعَدَني بِأَنْ يَظَلَّ إلى جِواري كُلَّ لَحْظَةٍ طَوالَ اليَوْمِ . وَلَمْ يَتَحَدَّثْ فريتز سِوى قَليلٍ ، وَكانَ يَسيرُ بِجَوادِهِ أَشْبَهَ بِالحالِمِ .

وَبَلَغْنا مَحَطَّةَ السِّكَّةِ الحَديدِيَّةِ . وَكانَ فريتز قَدِ اسْتَرَدَّ وَعْيَهُ بِدَرَجَةٍ مَكَّنَتْهُ مِنْ أَنْ يَشْرَحَ لِناظِرِ المَحَطَّةِ المَدْهوشِ التَّغْييرَ الَّذي طَرَأَ عَلى خُطَطِ المَلِكِ . وَظَهَرَ القِطارُ يُطْلِقُ بُخارَهُ ، فَقَدْ وَصَلْنا في الوَقْتِ المُناسِبِ . وَما إنِ اسْتَقَرَّ بِنا المُقامُ في إحْدى عَرَباتِ الدَّرَجَةِ الأُولى ، حَتّى واصَلَ سابْت دُروسَهُ . وَنَظَرْتُ إلى ساعَتي ، أَقْصِدُ ساعَةَ المَلِكِ ، فَرَأَيْتُ أَنَّها تَجاوَزَتِ الثّامِنَةَ بِقَليلٍ .

قُلْتُ وَأَنا أُفَكِّرُ بِقَلَقٍ فيما قَدْ يَحْدُثُ في الكوخِ : « لا أَدْري ما

إذا كانوا قَدْ خَرَجوا في أَثَرِنا !»

قالَ سابْت : « لا فائِدَةَ مِنَ التَّفْكيرِ الآنَ ؛ إذْ عَلَيْكَ مِنَ اليَوْمِ أَلا تُفَكِّرَ سِوى في حَقيقَةٍ واحِدَةٍ – هِيَ أَنَّكَ المَلِكُ .»

وَفي السّاعَةِ التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ نَظَرْتُ مِنْ نافِذَةِ القِطارِ ، فَرَأَيْتُ أَبْراجَ وَمَنازِلَ مَدينَةٍ كَبيرَةٍ .

أَشارَ سابْت بِيَدِهِ ضاحِكًا وَقالَ : « إنَّها عاصِمَةُ مَمْلَكَتِكَ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ! » وَمالَ إلى الأَمامِ وَجَسَّ نَبْضي ، وَقالَ مُتَمْتِمًا : « يَميلُ إلى السُّرْعَةِ .»

صِحْتُ : « إنَّني لَسْتُ مِنْ حَجَرٍ !»

أَجابَ : « سَتَقومُ بِالمُهِمَّةِ . أَمّا أَنْتَ ، يا فريتز ، فَيَجِبُ أَنْ نَقولَ عَنْكَ إنَّكَ أُصِبْتَ بِالبَرْدِ ، وَإنَّكَ تَرْتَجِفُ مِثْلَ وَرَقَةِ شَجَرَةٍ .»

وَمَضى يَقولُ : « لَقَدْ وَصَلْنا مُبَكِّرينَ نِصْفَ ساعَةٍ عَمّا يَتَوَقَّعونَ . سَوْفَ أُبْلِغُهُمْ بِوُصولِكَ ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ ...»

قُلْتُ : « وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ يُريدُ المَلِكُ طَعامًا لِلإفْطارِ .»

ضَحِكَ سابْت العَجوزُ ، وَقالَ : « إنَّكَ تَتَكَلَّمُ كَأَحَدِ أَفْرادِ آلِ إلفبِرْغ .»

وَتَوَقَّفَ القِطارُ ، فَقَفَزَ مِنْهُ فريتز وَسابْت ، وَخَلَعا خُوذَتَيْهِما وَأَمْسَكا لِيَ البابَ . وَأَسْرَعْتُ أَبْتَلِعُ لُقْمَةً وَقَفَتْ في حَلْقي ، وَأَحْكَمْتُ وَضْعَ الخُوذَةِ على رَأسي ، ثُمَّ هَبَطْتُ مِنَ القِطارِ .

وَما هِيَ إلا لَحْظَةٌ حَتّى عَمَّتِ الفَوْضى المَكانَ ؛ فَمِنْ رِجالٍ يُقْبِلونَ ثُمَّ يُدْبِرونَ ، إلى آخَرينَ يَقودونَني إلى المَطْعَمِ ، إلى غَيْرِهِمْ يَمْتَطونَ جِيادَهُمْ وَيُسْرِعونَ بِها في اتِّجاهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ . وَبَيْنَما كُنْتُ أَرْشُفُ آخِرَ قَطْرَةٍ مِنْ قَدَحِ قَهْوَتي ، أَخَذَتْ أَجْراسُ المَدينَةِ تُجَلْجِلُ ، وَسَمِعْتُ صَوْتَ فِرْقَةٍ موسيقِيَّةٍ ، وَهُتافاتٍ عالِيَةٍ .

لَقَدْ كانَ المَلِكُ رودُلْف الخامِسُ في مَدينَتِهِ سْتِرِلْساو! وَسَمِعْتُ النّاسَ تَصيحُ : « لِيَحْفَظِ اللهُ المَلِكَ ! »

اِبْتَسَمَ سابْت ، وَهَمَسَ : « لِيَحْفَظِ اللهُ كِلَيْهِما . تَشَجَّعْ ، يا صَديقي . »

وَعِنْدَما خَرَجْتُ مِنَ المَطْعَمِ يَتْبَعُني فريتز وَسابْت ، كانَ ثَمَّةَ مَجْموعَةٌ مِنَ الضُّبّاطِ وَكِبارِ الشَّخْصِيّاتِ في انْتِظاري ، وَكانَ على رَأسِهِمْ رَجُلٌ مَديدُ القامَةِ يَرْتَدي زِيًّا رَسْمِيًّا .

وَهَمَسَ سابْت : « مارْشال شْتراكِنْتس . »

وَأَدْرَكْتُ أَنَّني في حَضْرَةِ قائِدِ جَيْشِ روريتانْيا . وَكانَ خَلْفَهُ رَجُلٌ

قَصيرٌ يَرْتَدي ثِيابًا طَويلَةً فَضْفاضَةً .

هَمَسَ سابْت : « المُسْتَشارُ . »

ها هُوَ ذا إذًا رَئيسُ وُزَرائي .

وَحَيّاني المارْشال شْتراكِنْتس بِكَلِماتٍ مُقْتَضَبَةٍ تَنُمُّ عَنِ الوَلاءِ ، وَاعْتَذَرَ عَنْ غِيابِ دوقِ سْتِرِلْساو الَّذي يَبْدو أَنَّ مَرَضًا مُفاجِئًا أَلَمَّ بِهِ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ المَجيءِ إلى المَحَطَّةِ . وَأَبْلَغْتُهُ بِأَسَفي لِسَماعِ ذَلِكَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ نَحْوي رِجالٌ آخَرونَ عَديدونَ، وَلَمّا لَمْ يَبْدُ على أَحَدٍ مِنْهُمْ أَيُّ ارْتِيابٍ فِيَّ بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِالثِّقَةِ . وَمَعَ ذَلِكَ ، كانَ فريتز لا يَزالُ شاحِبَ الوَجْهِ ، وَكانَتْ يَدُهُ تَرْتَعِشُ عِنْدَما مَدَّها لِلْمارْشال .

وَاتَّجَهْنا نَحْوَ مَدْخَلِ المَحَطَّةِ في مَوْكِبٍ . وَهُناكَ امْتَطَيْتُ جَوادي ، وَسِرْتُ وَالمارْشال عَنْ يَميني ، وَسابْت عَنْ يَساري. وَرَكِبَ بَقِيَّةُ المَسْئولينَ عَرَباتِهِمْ وَتَبِعونا .

إِنَّ مَدينَةَ سْتِرِلْساو لَهِيَ مَزيجٌ مِنَ القَديمِ وَالجَديدِ ؛ فَالطُّرُقُ العَريضَةُ الحَديثَةُ ، وَالمَنازِلُ الجَميلَةُ تُحيطُ بِالشَّوارِعِ الضَّيِّقَةِ المُلْتَوِيَةِ في المَدينَةِ القَديمَةِ . وَفي المَناطِقِ الخارِجِيَّةِ تَعيشُ الطَّبَقاتُ العُلْيا مِنَ السُّكّانِ ، وَفي المَناطِقِ الدّاخِلِيَّةِ تَقَعُ المَتاجِرُ ذاتُ الواجِهاتِ الغَنِيَّةِ. وَ وَراءَ هَذِهِ المَتاجِرِ شَوارِعُ ضَيِّقَةٌ بائِسَةٌ مُزْدَحِمَةٌ بِطَبَقاتِ الفُقَراءِ

وَغَيْرِ المُوالينَ لِلْمَلِكِ وَالمُجْرِمينَ . وَهَذِهِ التَّقْسيماتُ الاجْتِماعيَّةُ وَالمَحَلِّيَّةُ كانَتْ تُميزُ تَقْسيماً آخَرَ يُعَدُّ أَكْثَرَ أَهَمِّيَّةً لي . فَكَما عَرَفْتُ مِنْ سابْت ، كانَتِ المَدينَةُ الجَديدَةُ مُوالِيَةً لِلْمَلِكِ ، عَلى حين كانَتِ المَدينَةُ القَديمَةُ تُفَضِّلُ مايكِل سْترِلْساو ، وَلَمْ تَكُنْ تَخْشى أَنْ تُظْهِرَ ذَلِكَ .

وَكانَ مَشْهَدًا رائِعاً وَنَحْنُ نَجْتازُ الطَّريقَ الرَّئيسِيَّ إِلى المَيْدانِ الَّذي يَقَعُ فيهِ القَصْرُ المَلَكِيُّ ؛ فَفي هذا المَكانِ أَنا وَسْطَ شَعْبي . وَكانَتِ البُيوتُ مُزْدانَةً بِالأَعْلامِ ، وَعَلى طولِ الطَّريقِ ، احْتَشَدَتْ جُموعُ النَّاسِ عَلى الجانِبَيْنِ تَهْتِفُ وَتُلَوِّحُ بِأَيْديها . وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ أَنَّني - حَقيقَةً - المَلِكُ . وَفَجْأَةً رَفَعْتُ عَيْنَيَّ مُصادَفَةً نَحْوَ نافِذَةٍ فَرَأَيْتُ فيها أَنْطوانيت دي مُوبان ، المَرْأَةَ الَّتي سافَرَتْ مَعي مِنْ باريس . وَرَأَيْتُها تَميلُ إِلى الأَمامِ وَتُحَدِّقُ إِلَيَّ ، فَوَجَدْتُ نَفْسي أَتَحَسَّسُ مُسَدَّسي خَشْيَةَ أَنْ تَصيحَ : « هذا لَيْسَ المَلِكَ ؟»

وَمَضى الرَّكْبُ ، وَفي غُضونِ دَقائِقَ أَصْدَرَ المارْشال أَمْرًا ، فَتَحَلَّقَ حَوْلي الحَرَسُ مِنَ الفُرْسانِ ؛ فَقَدْ كُنَّا نوشِكُ أَنْ نَدْخُلَ الحَيَّ الفَقيرَ المُوالِيَ لِلدُّوقِ مايكِل . وَقَدْ أَوْضَحَ لي هذا التَّصَرُّفُ تَبايُنَ المَشاعِرِ في المَدينَةِ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَتْ كَلِماتُ سابْت .

سَأَلْتُ : « لِماذا هذا التَّغْييرُ في تَرْتيبِ سَيْرِنا ، أَيُّها المارْشال ؟»

وَعَضَّ المارْشال عَلى شارِبِهِ الأَبْيَضِ ، وَتَمْتَمَ : « هذا أَكْثَرُ أَمْنًا ، يا مَوْلايَ !»

وَأَوْقَفْتُ جَوادي قائِلاً : « دَعْ أُولَئِكَ الَّذينَ في المُقَدِّمَةِ يُواصِلونَ السَّيْرَ مَسافَةَ ثَلاثينَ مِتْرًا . وَأَنْتُمْ أَيُّها المارْشال وَسابْت وَأَصْدِقائي ، عَلَيْكُمْ بِالانْتِظارِ هُنا حَتَّى أَقْطَعَ أَنا مَسافَةَ ثَلاثينَ مِتْرًا ؛ فَسَوْفَ أُبَرْهِنُ لِلشَّعْبِ أَنَّ مَليكَهُمْ يَثِقُ بِهِمْ .»

وَ وَضَعَ سابْت يَدَهُ عَلى ذِراعي ، فَتَخَلَّصْتُ مِنْهُ . وَبَدا المارْشال مُتَرَدِّدًا ، فَصِحْتُ فيهِ : « أَلَيْسَ كَلامي مَفْهومًا ؟»

وَعَضَّ المارْشال عَلى شارِبِهِ ثانِيَةً ، وَأَصْدَرَ أَوامِرَهُ . وَرَأَيْتُ سابْت العَجوزَ يَبْتَسِمُ لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ لي : فَلَوْ قُتِلْتُ في وَضَحِ النَّهارِ في شَوارِعِ سْترِلْساو ، لَكانَ مَرْكَزُ سابْت حَرِجًا .

وَاسْتَمْتَعْتُ لِلْغايَةِ وَأَنا أَسيرُ وَحْدي ، فَقَدْ أَتاحَ لي هذا أَنْ أَسْمَعَ مُلاحَظاتِ الجُموعِ المُحْتَشِدَةِ ؛ فَفي بادِئِ الأَمْرِ كانَتْ ثَمَّةَ هَمْهَمَةٌ ، ثُمَّ هُتافٌ ، فَقَدْ كُنْتُ وَسيماً أَنيقًا في زِيِّي الأَبْيَضِ . وَسَمِعْتُ العَديدَ مِنَ النَّاسِ يَقولونَ عَنِّي أَشْياءَ سارَّةً ، لَكِنَّ الجانِبَ الأَكْبَرَ مِنْهُمْ لاذَ بِالصَّمْتِ . وَكانَتْ صورَةُ أَخي العَزيزِ تُشاهَدُ في مُعْظَمِ النَّوافِذِ .

وَأخيراً بَلَغنا المَيْدانَ الَّذي يَقَعُ فيهِ القصرُ الملكيُّ ، وَعِنْدَئِذٍ تَجلَّتْ لي مَعاني المُهِمَّةِ الَّتي أنا بِصَدَدِها . وَتَرَجَّلْتُ عَنْ جَوادي وَكأنَّني في حُلْمٍ ، فَقَدْ كانَتِ الأشْياءُ تَبْدو أمامي غَيْرَ واقِعيَّةٍ . وَسِرْتُ داخِلَ مَبْنى القَصْرِ الجَميلِ العَتيقِ بِعَيْنَيْنِ زائِغَتَيْنِ ، وَلَمَحْتُ القَليلَ مِنَ الجُموعِ الَّتي ارْتَدَتْ أفْخَرَ ثِيابِها وَاحْتَشَدَتْ في انْتِظاري . وَلَمْ أرَ بِوُضوحٍ سِوى وَجْهَيْنِ : الأوَّلُ وَجْهٌ شاحِبٌ لِفَتاةٍ جَميلَةٍ ذاتِ شَعْرٍ أحْمَرَ مِثْلِ شَعْرِ أفْرادِ أسْرَةِ إلْفبرْغ ، وَالوَجْهُ الآخَرُ لِرَجُلٍ لَهُ عَيْنانِ غائِرَتانِ داكِنَتانِ ، وَشَعْرٌ أسْوَدُ ، وَعَرَفْتُ أنَّهُ مايكِلِ الأسْوَدُ ، وَكانَ يَنْظُرُ إليَّ وَكأنَّني شَبَحٌ .

ولا أكادُ أذكُرُ شَيئًا مِنْ حَفْلِ التَّتْويجِ ، بِاسْتِثْناءِ اللَّحْظَةِ الَّتي أمْسَكْتُ فيها بِالتّاجِ ، وَ وَضَعْتُهُ على هامَتي ؛ وَعِنْدَئِذٍ صاحَ أحَدُ الرِّجالِ : « صاحِبَةُ السُّمُوِّ الأميرَةُ فلاڤيا ! » وَانْحَنَتْ لي بِشِدَّةٍ وَقَبَّلَتْ يَدي . وَقَبْلَ أنْ أعِيَ ماذا أفْعَلُ كانَ مايكِلِ الأسْوَدُ قَدْ وَقَفَ أمامي ، وَرَأيْتُ سابْت يَبْتَسِمُ لِنَفْسِهِ مَرَّةً أخْرى . وَكانَ أخي المُحِبُّ يَرْتَجِفُ مِثْلَ وَرَقَةِ شَجَرَةٍ تَعْصِفُ بِها الرّيحُ ؛ إلا أنَّني لَمْ ألْمَحْ عَلى وَجْهِهِ ، أوْ وَجْهِ الأميرَةِ ، أوْ وَجْهِ أيِّ فَرْدٍ آخَرَ ، أدْنى شَكٍّ في أنَّني المَلِكُ .

وَخَرَجْنا مِنَ القَصْرِ ، وَرَكِبْتُ عَرَبَةً وَإلى جِواري الأميرَةُ فلاڤيا . وَانْطَلَقْنا في شَوارِعِ المَدينَةِ ، وَإذا بِرَجُلٍ فَظٍّ يَصيحُ : « مَتى يُعْقَدُ القِرانُ ؟» فَلَطَمَهُ آخَرُ عَلى وَجْهِهِ ، وَصاحَ : « يَحْيا الدّوقُ مايكِل !» وَتَغَيَّرَ لَوْنُ وَجْهِ الأميرَةِ ، وَنَظَرَتْ أمامَها .

وَشَعَرْتُ بِالحَرَجِ ، فَقَدْ نَسيتُ أنْ أسْألَ سابْت عَنْ حَقيقَةِ مَشاعِري نَحْوَ الأميرَةِ ، وَمَدى ما وَصَلَتْ إلَيْهِ الأمورُ بَيْنَ الأميرَةِ وَبَيْني ، أوْ بِالأحرى ، بَيْنَ الأميرَةِ وَالمَلِكِ ؛ وَلِهَذا لُذْتُ بِالصَّمْتِ . ولكِنْ بَعْدَ لَحْظَةٍ الْتَفَتَتِ الأميرَةُ نَحْوي قائِلَةً : « أ تَعْرِفُ ، يا رودُلْف ، أنَّكَ تَبْدو اليَوْمَ مُخْتَلِفًا بَعْضَ الشَّيْءِ ؟»

وَلَمْ يُثِرِ الأمْرُ دَهْشَتي ، وَلكِنّي شَعَرْتُ بِالقَلَقِ .

وَ واصلَتِ الأميرَةُ حَديثَها : « إنَّكَ تَبْدو أكْثَرَ رَزانَةً ، وَأشَدَّ نَحافَةً ، فَهَلْ يُمْكِنُ أنْ تكونَ قَدْ بَدأْتَ أخيراً تَأخُذُ الحَياةَ على مَنْحًى جادٍّ ؟»

وَكانَ عَلَيَّ أنْ أجيبَ بِشَيْءٍ ؛ لِذا هَمَسْتُ بِرِفْقٍ : « أ يَسُرُّكِ ذَلِكَ ؟»

أجابَتْني وَهِيَ تُشيحُ بِوَجْهِها عَنّي : « إنَّكَ تَعْرِفُ آرائي .»

قُلْتُ : « إنَّني أحاوِلُ أنْ أفْعَلَ كُلَّ ما يَسُرُّكِ . » ولَمّا رَأيْتُ ابْتِسامَتَها وَتَوَرُّدَ وَجْنَتَيْها ثانِيَةً ، شَعَرْتُ أنَّني أقومُ بِدَوْرِ المَلِكِ بِنَجاحٍ ؛ وَلِهذا مَضَيْتُ أقولُ وَأنا صادِقٌ تَماماً هَذِهِ المَرَّةَ : « في الواقِعِ ، يا ابْنَةَ عَمِّيَ العَزيزَةَ ، أنَّهُ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيَّ شَيْءٌ طَوالَ حَياتي أكْثَرَ مِنْ أحْداثِ اليَوْمِ .»

اِبْتَسَمَتْ ثانِيَةً وَهَمَسَتْ بِجِدِّيَّةٍ : « أ لاحَظْتَ مايكِل ؟»

« نَعَمْ ، فَلَمْ يَكُنْ راضِيًا ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

وَ واصلَتْ كَلامَها قائِلَةً : «كُنْ حَريصاً وَلا تَغْفَلْ عَنْهُ ؛ كَما تَعْلَمُ !»

قُلْتُ : « أعْلَمُ أنَّهُ يُريدُ أنْ يَسْلُبَني ما نِلْتُ .» ثُمَّ أضَفْتُ ، دونَ أنْ يَحِقَّ لي قَوْلُ ما قُلْتُ على لِسانِ المَلِكِ : « وَيُريدُ أيْضاً أنْ يَنالَ

شَيْئًا لَمْ أنَلْهُ بَعْدُ ، وَلَكِنّي آمُلُ أنْ أظْفَرَ بِهِ يَوْماً ما .»

لَوْ كُنْتُ المَلِكَ ، لَرَأيْتُ رَدَّها مُشَجِّعاً ، فَقَدْ هَمَسَتْ : « أ لَيْسَ لَدَيْكَ مِنَ التَّبِعاتِ ما يَكْفي يَوْمَكَ ، يا ابْنَ العَمِّ ؟»

وَسَمِعْنا المَدافِعَ تُدَوّي تَحِيَّةً لَنا ، فَتَوَقَّفْنا وَعُدْنا أدْراجَنا إلى القَصْرِ. وَمَدَدْتُ يَدي لِلأميرَةِ وَهِيَ تَهْبِطُ مِنَ العَرَبَةِ ، وَصَعِدْنا مَعًا دَرَجاتِ السُّلَّمِ العَريضَةَ . وَكانَ الخَدَمُ قَدِ اصْطَفّوا في انْتِظارِنا وَنَحْنُ في طَريقِنا إلى قاعَةِ الطَّعامِ الرَّحيبَةِ . وَجَلَسْتُ إلى المائِدَةِ وَجَلَسَتِ الأميرَةُ عَنْ يَميني ، وَأخي عَنْ شِمالي ،كَما جَلَسَ أيْضاً كُلُّ المَسْئولينَ ذَوي المَكانَةِ ، أمّا سابْت فَقَدْ وَقَفَ خَلْفَ مَقْعَدي . وَرَأيْتُ فريتز عِنْدَ طَرَفِ المائِدَةِ الآخَرِ يَجْرَعُ كَأساً مِنَ العَصيرِ عَنْ آخِرِها .

وَتَساءَلْتُ في نَفْسي ، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، عَمّا كانَ يَفْعَلُهُ مَلِكُ رورِيتانْيا .

الفصل الرابع

سِرٌّ قبو

عِنْدَما أصبَحْنا في غُرْفَةِ مَلابِسِ المَلِكِ ، أنا وَفريتز ڤون تارلينهايم والعَقيدُ سابْت ، أَلْقَيْتُ بِنَفْسي عَلى مَقْعَدٍ بِمِسْنَدَيْنِ . وَأَشْعَلَ سابْت غَلْيونَهُ ، وَلَمْ يُهَنِّئْني عَلى نَجاحي ، وَلكِنَّ مَظْهَرَهُ كانَ يَنُمُّ عَنِ الرِّضا . وَبَدا فريتز شَخْصاً جَديداً .

قالَ : « يا لَهُ مِنْ يَومٍ سَنَذْكُرُهُ ! كَمْ أَوَدُّ أَنْ أَكونَ مَلِكاً لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً . وَلكِنْ أَ لَمْ يَبْدُ مايكِلُ الأَسْوَدُ أَكْثَرَ عُبوساً عَنْ ذي قَبْلُ حينَ رُحْتَ أَنْتَ وَالأَميرَةُ تَتَبادَلانِ الأَحاديثَ ؟ »

صِحْتُ مُبْدِياً إِعْجابي : « ما أَجْمَلَها ! »

زَمْجَرَ سابْت : « دَعْكَ مِنَ المَرْأَةِ . أَ مُسْتَعِدٌّ أَنْتَ لِلرَّحيلِ ؟ »

أَجَبْتُ وَأَنا أَتَنَهَّدُ : « نَعَمْ . »

كانَتِ السّاعَةُ الخامِسَةَ ، وَفي الثّانِيَةَ عَشْرَةَ لَنْ أَكونَ سِوى رُودُلْف راسِنْدِل . وَعَلَّقْتُ عَلى ذَلِكَ مازِحاً ؛ فَقالَ سابْت : « سَوْفَ يَكونُ مِنْ يُمْنِ طالِعِكَ إِذا لَمْ تَكُنِ المَأْسوفَ عَلَيهِ رُودُلْف راسِنْدِل ! إِنَّني أَشْعُرُ بِرَأْسي يَرْتَجِفُ فَوقَ كَتِفَيَّ في كُلِّ لَحْظَةٍ تَقْضيها في المَدينَةِ . لَقَدْ تَلَقّى مايكِل رِسالَةً مِنْ زِنْدا ، فَدَخَلَ غُرْفَةً لِيَقْرَأَها ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْها كالمَجْنونِ . »

حَفَزَتْني هَذِهِ الأَنْباءُ عَلى الإِسْراعِ في الذَّهابِ ، فَقُلْتُ : « أَنا مُسْتَعِدٌّ . »

قالَ سابْت : « وَالآنَ ، يا فريتز ، يَأْوي المَلِكُ إِلى فِراشِهِ ، فَهُوَ مُتْعَبٌ . وَلَنْ يَتَسَنّى لأَحَدٍ أَنْ يَراهُ حَتّى التّاسِعَةِ مِنْ صَباحِ الغَدِ . أَ فَهِمْتَ ؟ لَنْ يَتَسَنّى لأَحَدٍ . »

قالَ فريتز : « نَعَمْ ، أَيُّها العَقيدُ . »

أَضافَ سابْت : « وَلا حَتّى مايكِل الأَسْوَدُ . وَإِذا فُتِحَ بابُ هَذِهِ الحُجْرَةِ في غِيابِنا ، فَلَنْ يَطولَ بِكَ العُمْرُ لِتُخْبِرَنا بِذَلِكَ . »

قالَ فريتز بِضيقٍ : « لَسْتُ بِحاجَةٍ إِلى مَنْ يُعَلِّمُني واجِبي . »

فَرَغْتُ أَنا وَسابْت مِنَ التَّأَهُّبِ لِلرَّحيلِ ، وَارْتَدَيْتُ مَلابِسَ خادِمِهِ ، ثُمَّ خَرَجْنا مِنْ بابٍ سِرِّيٍّ إِلى مَمَرٍّ مُعْتِمٍ ، أَفْضى بِنا إِلى طَريقٍ

هادئ يُتاخِمُ حَدائِقَ القَصْرِ ، حَيْثُ كانَ في انْتِظارِنا رَجُلٌ مَعَهُ جَوادانِ رَشيقانِ امْتَطَيْناهُما وَانْطَلَقْنا بِهِما دونَ أَنْ نَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ . وَبَعْدَ أَنْ قَطَعْنا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسينَ كيلومِتْرًا تَوَقَّفَ سابْت فَجْأَةً ، وَقالَ : « أَصْغِ ! »

وَتَناهى إِلى سَمْعَيْنا وَقْعُ حَوافِرِ جِيادٍ مِنْ وَرائِنا ، وَكانَتِ الرّيحُ تَهُبُّ بِقُوَّةٍ مِنْ خَلْفِنا وَتَحْمِلُ إِلَيْنا الصَّوْتَ بِسُهولَةٍ .

قالَ سابْت : « أَسْرِعْ ! »

وَانْطَلَقْنا بِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُ لِجَوادَيْنا . وَفي المَرَّةِ الثّانِيَةِ الَّتي تَوَقَّفْنا فيها لِنُرْهِفَ السَّمْعَ ، وَضَعَ سابْت أُذُنَهُ عَلى الأَرْضِ ، وَقالَ : « ثَمَّ اثْنانِ مِنْهُمْ . أَ تَرى مُفْتَرَقَ الطُّرُقِ هَذا ؟ سَنَسْلُكُ الطَّريقَ الأَيْمَنَ ، أَمّا الطَّريقُ الآخَرُ فَيُؤَدّي إِلى القَلْعَةِ ، وَطولُ كُلٍّ مِنْهُما نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ كيلومِتْرًا . تَرَجَّلْ عَنْ جَوادِكَ . »

وَاعْتَرَضْتُ قائِلاً : « وَلَكِنَّهُما سَيُدْرِكانِنا . »

وَكَرَّرَ أَمْرَهُ لي : « تَرَجَّلْ عَنْ جَوادِكَ ! » فَأَطَعْتُ ، وَكُنّا قَدْ دَخَلْنا غابَةَ زِنْدا قَبْلَ ذَلِكَ بِقَليلٍ ، وَكانَتِ الأَشْجارُ الكَثيفَةُ تُحيطُ بِنا . وَأَبْعَدْنا الجَوادَيْنِ عَنِ الطَّريقِ ، وَاخْتَبَأْنا نَنْتَظِرُ .

هَمَسْتُ قائِلاً : « أَ تُريدُ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُما ؟ »

« نَعَمْ ، وَإِلى أَيْنَ هُما ذاهِبانِ . »

وَبَعْدَ لَحَظاتٍ ظَهَرَ الفارِسانِ ، وَكانَ القَمَرُ بَدْرًا ، فَشاهَدْناهُما بِوُضوحٍ .

قُلْتُ : « إِنَّهُ الدّوق . »

وَكانَ هُوَ الدّوق وَبِصُحْبَتِهِ رَجُلٌ ضَخْمُ الجِسْمِ قَوِيُّ البُنْيانِ ، أُتيحَ لي أَنْ أَعْرِفَهُ جَيِّدًا فيما بَعْدُ ، وَهُوَ ماكس هوف شَقيقُ يوهان حارِسِ الغابَةِ . وَ وَقَفَ الرَّجُلانِ عِنْدَ مُفْتَرَقِ الطَّريقِ .

سَأَلَ مايكِل الأَسْودُ : « أَيُّ الطَّريقَيْنِ نَتَّخِذُ ؟ »

« الطَّريقُ إِلى القَلْعَةِ ، يا صاحِبَ السُّمُوِّ . »

« لِمَ لا نَذْهَبُ إِلى كوخِ الصَّيْدِ ؟ »

« أَخْشى أَنْ يَكونَ بِهِ شَرَكٌ ! وَإِذا كانَتِ الأُمورُ تَسيرُ كَما يَنْبَغي ، فَلِماذا نَذْهَبُ إِلى كوخِ الصَّيْدِ ؟ وَإِذا لَمْ تَكُنْ كَما نَبْغي فَثَمَّ شَرَكٌ لِلإيقاعِ بِنا . »

قالَ الدّوقُ : « إِلى القَلْعَةِ إِذًا . »

وَفي لَحْظَةٍ كانَ الجَوادانِ قَدِ انْطَلَقا في الطَّريقِ الأَيْسَرِ . وَبَقينا في مَكانِنا بِضْعَ دَقائِقَ .

قالَ سابْت : « أ رَأَيْتَ ؟ لَقَدْ بَعَثوا إلَيْهِ يُخْبِرونَهُ أنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ .»

« ما الَّذي يَعْنيهِ هَذا ؟»

أجابَ سابْت حائراً : « اللهُ يَعْلَمُ ! وَلكِنَّ الأخْبارَ جاءَتْ بِهِ عَلى عَجَلٍ مِنْ سْتْرِلْساو .»

وامْتَطَيْنا جَوادَيْنا وَسِرْنا الكيلومِتْراتِ الثَّلاثَةَ عَشَرَ المُتَبَقِّيَةَ ، وَقَدْ تَمَلَّكَنا الخَوْفُ وَملأتْنا الدَّهْشَةُ : « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ .» ما مَعْنى ذَلِكَ ؟ وَلاحَ لنا كوخُ الصَّيْدِ أخيراً ، وَبَلَغْنا البَوّابَةَ . وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ ساكِناً وَهادِئاً ، وَلَمْ يَخْرُجْ لِمُلاقاتِنا أحَدٌ ، وَعِنْدَئِذٍ أمْسَكَ سابْت بِذِراعي قائِلاً : « أُنْظُرْ ! »

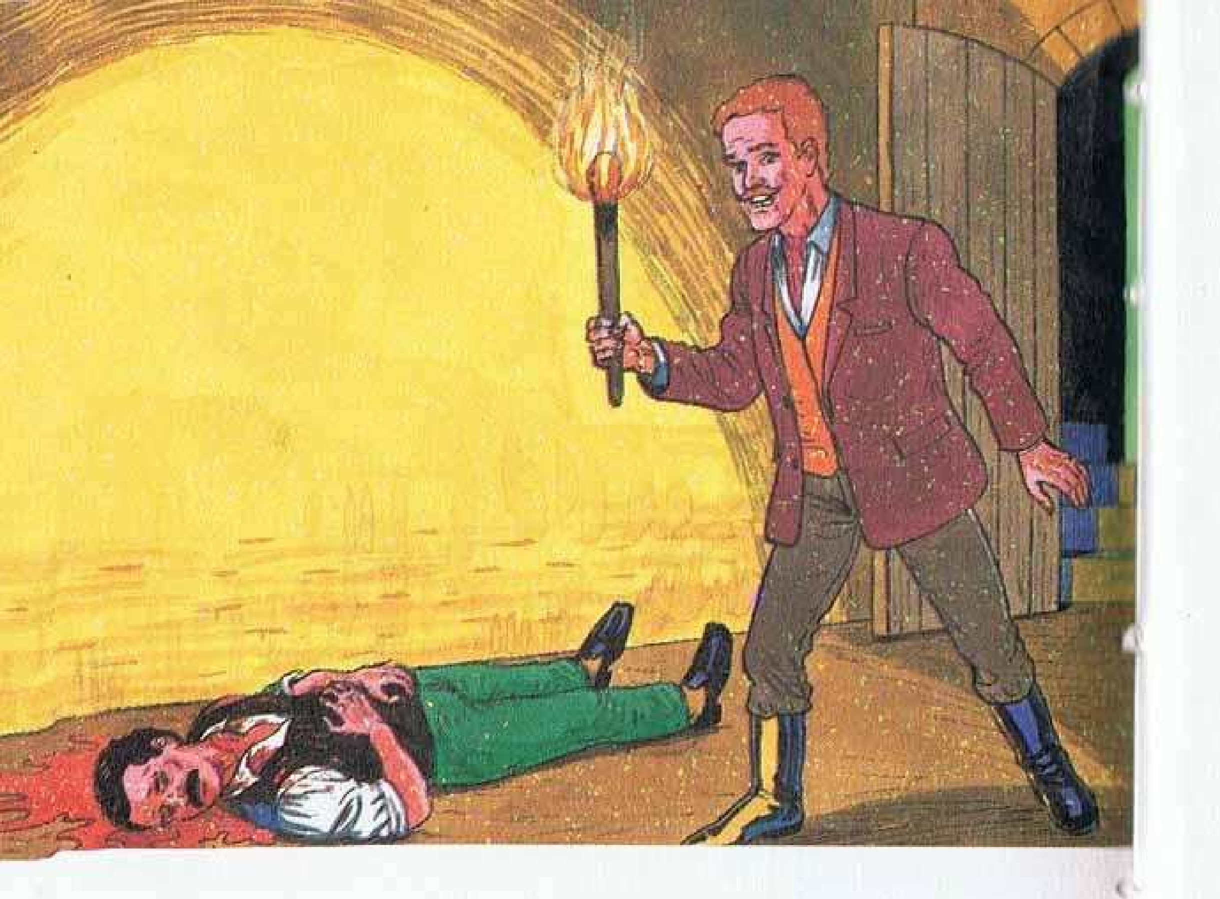
وَنَظَرْتُ ، فَأبْصَرْتُ عِنْدَ قَدَمَيَّ عِدَّةَ مَناديلَ مُمَزَّقَةٍ .

قالَ سابْت : « إنَّها المَناديلُ الَّتي قُيِّدَتْ بِها المَرْأةُ العَجوزُ .»

وَرَبَطْنا جَوادَيْنا ، وَأسْرَعْنا إلى الدّاخِلِ ، وَهَبَطْنا دَرَجَ القَبْوِ بِسُرْعَةٍ ، فَوَجَدْنا البابَ مَفْتوحاً على مِصْراعَيْهِ .

قُلْتُ : « لَقَدْ عَثَروا على المَرْأةِ العَجوزِ .»

أجابَ سابْت : « كانَ عَلَيْكَ أنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ مِنَ المَناديلِ المُمَزَّقَةِ . وَلكِنْ ماذا حَدَثَ لِجوزيف ؟ ماذا حَدَثَ لِلْمَلِكِ ؟»



وَلَمْ يَسْتَطِعْ سابْت دُخولَ الغُرْفَةِ ، لا خَوْفاً على نَفْسِهِ ، وَلكِنْ خَشْيَةً مِمّا قَدْ يَكْتَشِفُهُ في القَبْوِ المُظْلِمِ . وَأضأتُ مِشْعَلاً وَدَخَلْتُ قَبْلَهُ ، فَرَأَيْتُ في رُكْنٍ مِنَ القَبْوِ جُثَّةَ رَجُلٍ مُمَدَّدٍ على ظَهْرِهِ وَقَدْ قُطِعَ عُنُقُهُ، وَحَوْلَهُ فَيْضٌ مِنَ الدَّمِ المُتَجَمِّدِ .

وَاتَّجَهْتُ ، وَجَثَوْتُ بِجِوارِهِ . لَقَدْ كانَ جوزيف الوَفِيَّ ، وَ وَقَفَ سابْت وَرائي ، وَصَرَخَ بِصَوْتٍ غَريبٍ : « أ هُوَ المَلِكُ ؟ يا إلَهي ! أيْنَ المَلِكُ ؟»

أَلْقَيْتُ ضَوْءَ المِشْعَلِ على كُلِّ مَوْضِعٍ في القَبْوِ ، وَقُلْتَ : « إنَّ المَلِكَ لَيْسَ هُنا .»

* * *

أفاقَ سابْت بَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ . وَفي غُرْفَةِ الطَّعامِ الَّتي دَخَلَها سابْت ، دَقَّتِ السَّاعَةُ مُعْلِنَةً الواحِدَةَ .

قالَ بِصَوْتٍ مَكْتومٍ : « لَقَدْ أَمْسَكوا بِالمَلِكِ .»

أَجَبْتُهُ : « نَعَمْ ، وَهَذا يُفَسِّرُ رِسالَةَ مايكل الأسودِ « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ » وَيا لَها مِنْ لَحْظَةٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ ! وَلا عَجَبَ إذا كانَتْ أماراتُ الجُنونِ قَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ . وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَ فيما كانَ يُفَكِّرُ .»

« فيمَ يَهُمُّ ذَلِكَ ؟ ما هُوَ الَّذي يُفَكِّرُ فيهِ الآنَ ، يا فَتى ؟ »

وَقَفْتُ صائِحاً : « يَجِبُ أَنْ نَعودَ وَنَجْمَعَ كُلَّ جُنْدِيٍّ في سْتِرلْساو . يَجِبُ الإيقاعُ بِمايكِل .»

وَأَشْعَلَ سابْت العَجوزُ غَلْيونَهُ دونَ أَنْ يُحَرِّكَ ساكِناً .

قُلْتُ لَهُ أَسْتَحِثُّهُ : « قَدْ يُقْتَلُ المَلِكُ وَنَحْنُ هُنا جالِسانِ .»

قالَ : « تِلْكَ العَجوزُ المَلْعونَةُ ! لا بُدَّ أَنَّها لَفَتَتِ انْتِباهَهُمْ بِطَريقَةٍ ما . إِنَّني أَفْهَمُ الآنَ ما حَدَثَ : لَقَدْ جاءوا إلى هُنا لأَسْرِ المَلِكِ

مُفْتَرِضينَ أَنَّهُ مُخَدَّر . وَلَوْ لَمْ تَذْهَبْ أَنْتَ إلى سْتِرلْساو لَقُتِلْنا أَنْتَ وَأَنا وَفريتز .»

« والمَلِكُ ؟»

« مَنْ يَعْرِفُ أَينَ هُوَ الآنَ ؟»

صِحْتُ : « هَيَّا نَمْضِ .» وَدَهِشْتُ عِنْدَما رَأَيْتُ ابْتِسامَةً غَريبَةً تَكْسو وَجْهَ صَديقِيَ العَجوزِ .

قالَ : « نَعَمْ ، سَنَمْضي . وَسَوْفَ يَكونُ المَلِكُ في عاصِمَتِهِ غَداً .»

« المَلِكُ ؟»

« المَلِكُ المُتَوَّجُ !»

قُلْتُ : « إِنَّكَ لَمَجْنونٌ !»

« إذا رَجَعْنا وَأَخْبَرْنا النَّاسَ بِاللُّعْبَةِ الَّتي لَعِبْناها ، فَأَيُّ قَدْرٍ تُقيمُهُ لِحَياتِكَ وَحَياتي ؟»

« القَدْرُ الَّذي تَسْتَحِقَّانِهِ .»

مَضى يَقولُ : « وَعَرْشُ المَلِكِ ، أَ تَعْتَقِدُ أَنَّ النُّبَلاءَ والشَّعْبَ سَيَسْعَدونَ بِأَنَّنا خَدَعْناهُم ؟ أَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيَقْبَلونَ مَلِكاً حالَ سُكْرُهُ دونَ تَتْويجِهِ فَبَعَثَ خادِماً لِيَحُلَّ مَحَلَّهُ ؟»

قُلْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الغَيْظِ : « لَقَدْ كانَ مُخَدَّراً ، وأنا لَسْتُ خادِماً !»

« كُنْتُ أحْكي لَكَ القِصَّةَ كَما سَيَحْكيها مايكِل الأسْوَدُ . لَوْ أنَّكَ ، يا فتى ، تَلْعَبُ دَوْرَ الرَّجُلِ ، فَسَيُمْكِنُكَ أنْ تُنْقِذَ المَلِكَ . عُدْ وأبْقِ عَرْشَهُ دافِئاً مِنْ أجْلِهِ .»

« وَلكِنَّ الدّوقَ سَيَعْلَمُ ، وَسَيَعْلَمُ خَدَمُهُ أيْضاً .»

صاحَ : « أجَلْ ، ولكِنَّهُمْ لا يَسْتَطيعونَ أنْ يَتَكَلَّموا . كَيْفَ يَتَسَنّى لَهُمْ أنْ يَكْشِفوا أمْرَكَ دونَ أنْ يَفْضَحوا أنْفُسَهُمْ ؟ أ يُمْكِنُهُمْ أنْ يَقولوا: « هذا لَيْسَ المَلِكَ ، لأنَّنا أسَرْنا المَلِكَ وَقَتَلْنا خادِمَهُ ؟» »

وَتَبَيَّنْتُ المَوْقِفَ في الحالِ ؛ فَسَواءٌ عَرَفَني مايكِل أوْ لَمْ يَعْرِفْني فَإنَّهُ لَنْ يَسْتَطيعَ أنْ يَتَكَلَّمَ . وَماذا يُمْكِنُهُ أنْ يَفْعَلَ ما لَمْ يُظْهِرِ المَلِكَ ؟ وإذا أظْهَرَ المَلِكَ ، فَما هِيَ مَطامِحُهُ ؟ وَلكِنّي شَعَرْتُ أيْضاً بِالمَصاعِبِ .

قُلْتُ أحُثُّهُ : « لا بُدَّ أنْ يَنْكَشِفَ أمْري .»

« رُبَّما ، ولكِنْ لِكُلِّ ساعَةٍ قيمَتُها ؛ وَالأهَمُّ أنْ يَكونَ لَنا مَلِكٌ في سْتْرِلْساو ، وَإلا أصْبَحَتِ المَدينَةُ لمايكِل في غُضونِ أرْبَعٍ وَعِشْرينَ ساعَةً . وَماذا سَتُساوي حَياةُ المَلِكِ عِنْدَئِذٍ إذا كانَ لا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ؟»

« اِفْتَرِضْ ، يا سابْت ، أنَّهُمْ يَقْتُلونَ المَلِكَ الآنَ .»

« إنَّهُمْ لَنْ يَقْتُلوهُ إذا ذَهَبْتَ إلى سْتْرِلْساو . أ تَحْسَبُ أنَّهُمْ يَقْتُلونَهُ ما لَمْ يُبْعِدوكَ عَنِ الطَّريقِ ؟ إنَّهُمْ لَنْ يَجْنوا شَيْئاً مِنْ قَتْلِهِ لِتَتَرَبَّعَ أنْتَ عَلى العَرْشِ .»

وَكانَتْ خُطَّةً أكْثَرَ هَوَجاً وأكْثَرَ تَعَرُّضاً لِلإخْفاقِ مِنْ تِلْكَ الّتي نَفَّذْناها مِنْ قَبْلُ ، بَيْدَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ أمامي شَيْءٌ آخَرُ أفْعَلُهُ ، فَضْلاً عَنْ أنَّني شابٌّ جَذَبَتْهُ المَخاطِرُ .

صِحْتُ : « سابْت ، سَوْفَ أحاوِلُ .»

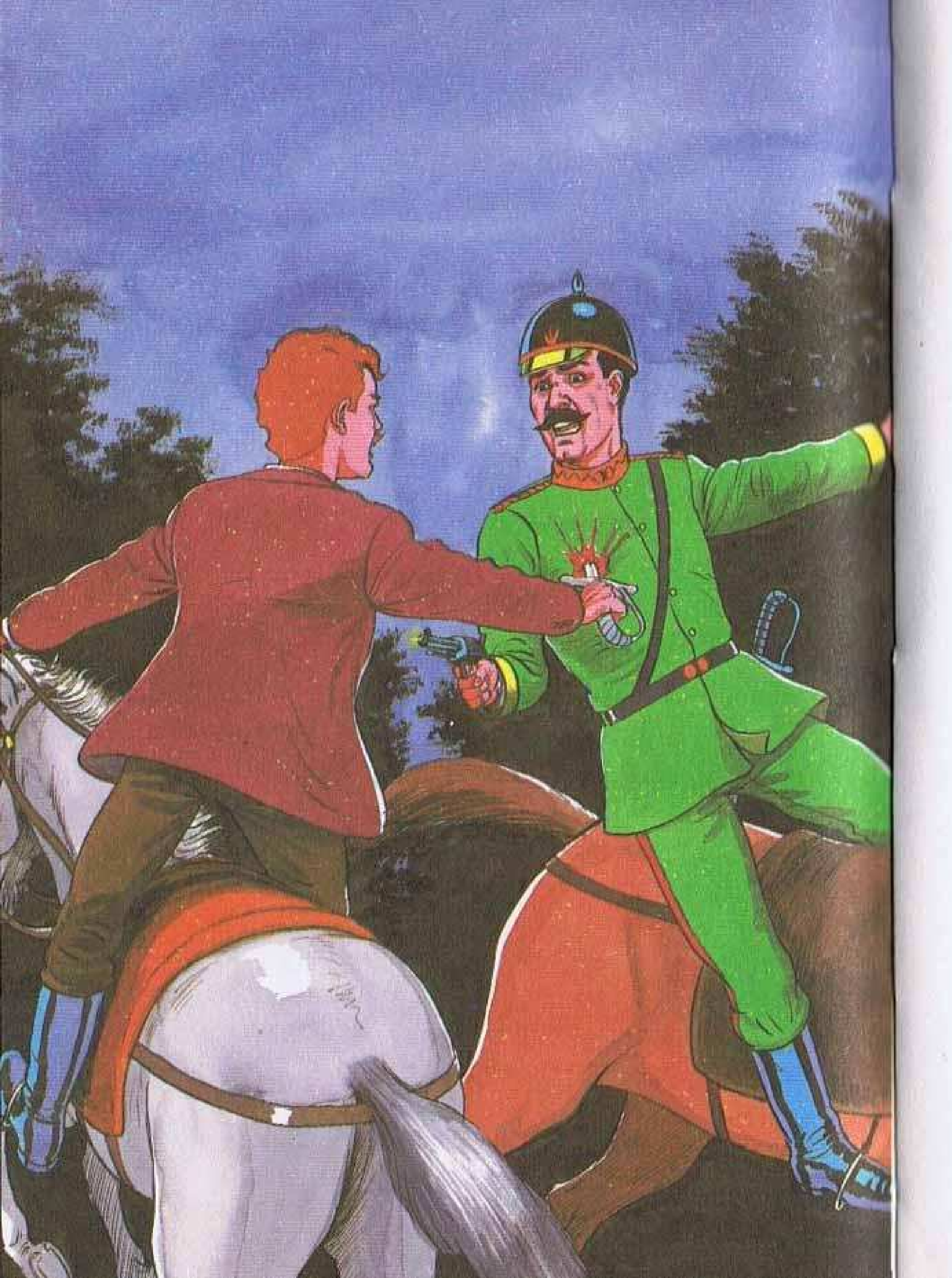
« أحْسَنْتَ ! عَلَيْنا الآنَ أنْ نَرْحَلَ .»

قُلْتُ : « يَجِبُ أنْ نَدْفِنَ جُوزيف المِسْكينَ .»

« لَيْس لَدَيْنا وَقْتٌ . لا بَأسَ ! كَما تُريدُ . سَأُحْضِرُ الجَوادَيْنِ ، فَأسْرِعْ .»

وَحَمَلْتُ جُوزيف الأمينَ إلى خارِجِ القَبْوِ ، وَلكِنّي قابَلْتُ سابْت عِنْدَ البابِ ، فَقالَ لي : « ضَعْهُ عَلى الأرْضِ ، فَهُناكَ مَنْ سَيَأتي لِيَقومَ بَدَلاً مِنْكَ بِالعَمَلِ .»

وَأخَذَني إلى النّافِذَةِ ، فَرَأيْتُ عَلى بُعْدِ مِئَتَيْ مِتْرٍ في الطَّريقِ إلى



زنْدا ثمانيةً مِنَ الفُرْسانِ يَحْمِلُ بَعْضُهُمْ مَجاريفَ . وَلا بُدَّ أنَّ مايكل أرْسَلَهُمْ لِيُزيلوا آثارَ فَعْلَتِهِمُ الشِّرِّيرَةِ . وَأشَرْتُ إلى جُثَّةِ جُوزيف قائِلاً : « يَجِبُ ، يا كولونيل ، أنْ نُوَجِّهَ لَهُمْ ضَرْبَةً مِنْ أجْلِهِ . »

« إنَّها مُهِمَّةٌ مَحْفوفَةٌ بِالمَخاطِرِ ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ ، وَلكِنْ لِمَ لا ؟ إذا قُتِلْنا فَسَيُوَفِّرُ ذلِكَ عَلَيْنا عَناءَ التَّفْكيرِ ، وَسَأريكَ كَيْفَ نُهاجِمُهُمْ . »

وَتَسَلَّلْنا بِحَذَرٍ إلى البابِ الخَلْفِيِّ ، وَامْتَطَيْنا جَوادَيْنا .

سَألَني سابْت : « أجاهِزٌ مُسَدَّسُكَ ؟ »

أجَبْتُهُ : « لا ، فَالسَّيْفُ لي . »

قالَ سابْت ضاحِكًا : « أعَطْشانُ أنْتَ اللَّيْلَةَ ؟ لا بَأسَ في ذلِكَ ! »

سِرْنا شاهِرَيْنِ سَيْفَيْنا ، وَما إنْ سَمِعْنا صَوْتَ الرِّجالِ أمامَ كوخِ الصَّيْدِ حَتّى هَمَسَ سابْت : « هَيّا ! »

وَانْطَلَقْنا بِأسْرَعِ ما اسْتَطَعْنا حَوْلَ البَيْتِ ، وَفي لَحْظَةٍ كُنّا بَيْنَهُمْ . وَأخْبَرَني سابْت فيما بَعْدُ أنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ، وَإنَّني أصَدِّقُهُ ، وَإنْ كُنْتُ لَمْ أرَهُ . أمّا أنا فَقَدْ أصَبْتُ رَأسَ رَجُلٍ كانَ يَمْتَطي صَهْوَةَ جَوادٍ أسْمَرَ فَسَقَطَ عَلى الأرْضِ . وَ وَجَدْتُ نَفْسي في مُواجَهَةِ رَجُلٍ

ضَخْمٍ ، وَإلى جِواري آخَرُ . وَانْدَفَعْتُ نَحْوَ مَنْ في مُواجَهَتي وَطَعَنْتُهُ بِسَيْفي في صَدْرِهِ في الوَقْتِ الَّذي أَطْلَقَ فيهِ مُسَدَّسَهُ عَلَيَّ ، فَمَرَّتِ الرَّصاصَةُ بِجِوارِ أُذُني .

وَكانَ المَوْقِفُ أَكْثَرَ حَرَجاً مِنْ أَنْ أَبْقى . وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنْتَزِعَ سَيْفي مِنْ صَدْرِ الرَّجُلِ فَتَرَكْتُهُ فيهِ ، وَعَدَوْتُ بِأَقْصى سُرْعَةٍ وَراءَ سابْت ، الَّذي رَأَيْتُهُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ عَلى بُعْدِ ثَلاثَةَ عَشَرَ مِتْراً تَقْريباً . وَلَوَّحْتُ لَهُ بِيَدي مُبْتَهِجاً ، وَلكِنّي سُرْعانَ ما خَفَضْتُها صارِخاً مِنَ الأَلَمِ ، فَقَدْ خَدَشَتْها رَصاصَةٌ ، وَشَعَرْتُ بِالدَّمِ يَسيلُ مِنْها . وَبَعْدَ ثَوانٍ كُنّا قَدِ اخْتَفَيْنا عَنِ الأَنْظارِ .

ضَحِكَ سابْت قائِلاً : « سَيَكونُ لِجوزيف المِسْكينِ رُفَقاءُ ! هَلْ لَمَحَكَ أَحَدٌ ؟»

« لَقَدْ لَمَحَني الرَّجُلُ الضَّخْمُ ، وَصاحَ وَأَنا أَضْرِبُهُ : « المَلِكُ !»

« رائِعٌ ! سَوْفَ نُثيرُ لِمايكِل الأَسْوَدِ بَعْضَ المَتاعِبِ .»

الفصل الخامس

ابْنَةُ عَمٍّ شَقْراءُ وَأَخٌ أَسْوَدُ

بَلَغْنا القَصْرَ مَرَّةً أُخْرى دونَ أَنْ تُصادِفَنا أَخْطارٌ . وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السّاعَةَ كانَتْ قَدْ تَجاوَزَتِ الثّامِنَةَ ، فَإِنَّنا الْتَقَيْنا عَدَداً قَليلاً جِدّاً مِنَ النّاسِ ، وَكُنْتُ أُخْفي وَجْهي جَيِّداً . وَعِنْدَما دَخَلْنا حُجْرَةَ المَلابِسِ مِنَ البابِ السِّرِّيِّ ، رَأَيْنا فريتز راقِداً بِمَلابِسِهِ الكامِلَةِ فَوْقَ أَريكَةٍ ، وَهَبَّ واقِفاً ، وَتَناوَلَ يَدي وَقَبَّلَها قائِلاً : « الحَمْدُ للهِ ، يا مَوْلايَ ! الحَمْدُ للهِ عَلى سَلامَتِكَ !»

وَاسْتَغْرَقَ سابْت العَجوزُ الغَليظُ الفُؤادِ في الضَّحِكِ ، وَقالَ : « أَحْسَنْتَ ، يا فَتى ! سَيَكونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ .»

وَعِنْدَما فَهِمَ فريتز المَوْقِفَ ، عادَ وَاسْتَلْقى عَلى الأَريكَةِ صائِحاً : « أَيْنَ المَلِكُ ؟»

قالَ سابْت : « اُصْمُتْ أَيُّها الأَحْمَقُ ! لا تَصِحْ ! ها هُوَ ذا

المَلِكُ .» ثُمَّ أضافَ هامِساً بِحِدَّةٍ : « لَقَدْ أَمْسَكَ بِهِ مايكِل الأَسْوَدُ حَيًّا فيما نَحْسَبُ .»

وَتَظاهَرْتُ بِأَنَّني أَوَيْتُ إلى الفِراشِ ، ثُمَّ نَهَضْتُ وَتَناوَلْتُ طَعامَ الإِفْطارِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ لَقَّنَني سابْت دَرْساً عَنْ واجِباتي مُدَّتُهُ ثَلاثُ ساعاتٍ . وَبَدا لي أَنَّهُ إذا كانَتْ حَياةُ المَلِكِ الحَقيقيِّ شاقَّةً ، فَإِنَّ حَياةَ مَنْ يَدَّعي أَنَّهُ مَلِكٌ أَشَقُّ بِكَثيرٍ .

وَقامَ المُسْتَشارُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزِيارَتي وَمَعَهُ أَوْراقٌ مُتَنَوِّعَةٌ لأُوَقِّعَها لَهُ ؛ وَأَفَدْتُ كَثيراً مِنْ إِصْبَعي المَجْروحَةِ في إِزالَةِ كُلِّ الشُّبُهاتِ حَوْلَ خَطّي . وَكانَ عَلَيَّ أَيْضاً مُقابَلَةُ عَدَدٍ مِنَ السُّفَراءِ . لَقَدْ كانَ يَوْماً مُرْهِقاً .

وَأَخيراً اخْتَلَيْتُ بِسابْت وَفريتْز ، وَكانَ عَلَيْنا أَنْ نُقَرِّرَ ما نَفْعَلُهُ .

قالَ فريتْز : « يَنْبَغي أَنْ نَذْهَبَ في الحالِ لِلْقَبْضِ عَلى مايكِل الأَسْوَدِ .»

قالَ سابْت يَحُثُّهُ : « رُوَيْداً ، رُوَيْداً ! أ تَحْسَبُ أَنَّ مايكِل يَقَعُ تارِكاً المَلِكَ حَيًّا ؟»

قُلْتُ : « يُضافُ إلى هَذا ، كَيْفَ يَتَسَنّى لِلْمَلِكِ ، دونَ سَبَبٍ واضِحٍ ، أَنْ يُهاجِمَ فَجْأَةً أَخاهُ العَزيزَ مايكِل ؟ إنَّ هَذا لَنْ يُرْضِيَ

النّاسَ .»

قالَ فريتْز : « أ لا نَفْعَلُ شَيْئاً إذاً ؟»

زَمْجَرَ سابْت قائِلاً : « يَنْبَغي أَلا نَفْعَلَ شَيْئاً يَنْطَوي عَلى حَماقَةٍ .»

قُلْتُ : « يَبدو لي أَنَّني وَمايكِل في مَوْقِفِ رَجُلَيْنِ يُسَدِّدُ كُلٌّ مِنْهُما مُسَدَّسَهُ نَحْوَ الآخَرِ . وَلا يَسَعُ أَيًّا مِنّا أَنْ يَأْخُذَ المُبادَرَةَ ، وَلَكِنْ بِما أَنَّهُ سَيُفيدُ أَكْثَرَ إذا تَحَرَّكَ في العَمَلِ بِسُرْعَةٍ ، فَعَلَيَّ أَنْ أَنْتَظِرَ حَتّى يَتَحَرَّكَ .»

قالَ فريتْز: « إنَّ ثَلاثَةً مِنْ أَنْصارِ مايكِل المَشْهورينَ في سْتْرِلْساو .»

سَأَلَ سابْت بِاهْتِمامٍ : « ثَلاثَةٌ فَقَطْ ؟ إذاً فَالثَّلاثَةُ الآخَرونَ في زِنْدا يَقومونَ بِحِراسَةِ المَلِكِ ، وَهَذا يَعْني أَنَّهُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ .»

وَأَشْرَقَ وَجْهُ فريتْز وَقالَ : « طَبْعاً ، إذا كانَ المَلِكُ قُتِلَ ، لَكانَ السِّتَّةُ كُلُّهُمْ هُنا مَعَ مايكِل . وَقَدْ عادَ كَما تَعْرِفونَ .»

سَأَلْتُهُما : « أَيُّها السَّيِّدانِ ، مَنْ هُمْ أُولَئِكَ السِّتَّةُ الشَّهيرونَ ؟»

قالَ سابْت : « سَوْفَ تَلْقاهُمْ حالاً . إنَّهُمْ سِتَّةٌ مِنَ السّادَةِ أَتْباعِ مايكِل ، مُسْتَعِدّونَ أَنْ يَفْعَلوا أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِهِ . مِنْهُمْ ثَلاثَةٌ

رُوريتانيّونَ ، وَفَرَنْسِيٌّ ، وَبِلْجيكيٌّ ، وَإِنْجليزِيٌّ .»

قالَ فريتْز : « إِنَّ أيَّ واحِدٍ مِنْهُمْ لا يَتَرَدَّدُ في ذَبْحِ أيِّ شَخْصٍ إذا أَمَرَ بِذَلِكَ مايكِل .»

قُلْتُ حازِراً : « رُبَّما يَذْبَحونَني .»

قالَ سابْت : « هَذا أَقْوى الاحْتِمالاتِ . مَنْ مِنْهُمْ هُنا ، يا فريتْز ؟»

« بيرسونين وَدي غوتيه وَديتْشارْد .»

« الأَجانِبُ ! إِنَّ الأَمْرَ واضِحٌ تَماماً ؛ فَالرُّوريتانِيّونَ يَقومونَ بِحِراسَةِ المَلِكِ ، وَبِذَلِكَ لا يَسْتَطيعونَ أَنْ يَقولوا شَيْئاً عَنْ لُعْبَةِ مايكِل ؛ إِذْ إِنَّهُمْ مُشْتَرِكونَ فيها .»

وَكانَ جُزْءاً مِنْ خُطَّتي أَنْ أَتَمَتَّعَ بِشَعْبِيَّةٍ بَيْنَ النّاسِ ؛ لِذا أَمَرْتُ بِتَجْهيزِ جَوادي ، وَخَرَجْتُ في جَوْلَةٍ مَعَ فريتْز في الحَديقَةِ العامَّةِ الجَميلَةِ ، وَبَعْضِ الشَّوارِعِ . وَبَعْدَ أَنِ الْتَفَّ حَوْلي حَشْدٌ مِنَ النّاسِ ، ذَهَبْتُ إِلى مَنْزِلِ الأَميرَةِ فلافْيا . وَقَدْ أَثارَ هَذا اهْتِمامَ الكَثيرينَ ، وَسَمِعْتُ صَيْحاتِ الاسْتِحْسانِ . وَأَلْمَحَ المُسْتَشارُ أَثْناءَ اجْتِماعي بِهِ إِلى أَنَّ شَعْبي سَوْفَ يُسْعِدُهُ أَنْ أَخْطُبَ الأَميرَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّبْعِ يَدْري بِالصِّعابِ الَّتي تَعْتَرِضُني . وَكانَتِ الأَميرَةُ تَحْظى بِشَعْبِيَّةٍ بَيْنَ

النّاسِ ، وَلَمْ أَجِدْ بَأْساً في أَنْ أَقومَ بِزِيارَتِها ، وَخاصَّةً أَنَّ هَذِهِ الزِّيارَةَ قَدْ تُساعِدُ في تَحْسينِ وَضْعِ المَلِكِ . وَكانَ فريتْز شَديدَ التَّوْقِ لِمِثْلِ هَذِهِ الزِّيارَةِ ، بِسَبَبِ رَغْبَتِهِ العارِمَةِ في رُؤْيَةِ صَديقَةِ الأَميرَةِ وَوَصيفَتِها الكونتيسَّةِ هيلْغا .

وَكانَ أَشَقَّ جانِبٍ في دَوْري أَنْ أُظْهِرَ لِلأَميرَةِ حُبًّا لا أَشْعُرُ بِهِ ، وَأُحافِظَ عَلى اهْتِمامِها بي . وَلَمْ يُخَفِّفْ مِنْ هَذِهِ المَشَقَّةِ أَنَّ الأَميرَةَ كانَتْ أَجْمَلَ مَنْ رَأَيْتُ في حَياتي .

قالَتْ : « إِنَّني مَسْرورَةٌ وَفَخورَةٌ ، يا رودُلْف ، أَنْ أَرى التَّغْييرَ الَّذي اعْتَراكَ . إِنَّكَ تُشْبِهُ الأَميرَ في مَسْرَحِيَّةِ شِكْسْبير الَّذي أَصْبَحَ رَجُلاً مُخْتَلِفاً عِنْدَما صارَ مَلِكاً . حَتّى وَجْهُكَ تَغَيَّرَ .»

وَأَدْرَكْتُ أَنَّها تَناوَلَتْ مَوْضوعاً شائِكاً ، فَغَيَّرْتُهُ قائِلاً : « سَمِعْتُ أَنَّ أَخي عادَ ، وَيَبْدو أَنَّهُ خَرَجَ في رِحْلَةٍ .»

قالَتْ دونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَيْها السُّرورُ : « أَجَلْ ، إِنَّهُ هُنا .»

« يَسُرُّنا جَميعاً أَنْ نَراهُ ، وَكُلَّما كانَ أَقْرَبَ مِنّا ، كانَ أَفْضَلَ .»

ابْتَسَمَتِ الأَميرَةُ وَقالَتْ : « أَتَقْصِدُ ، يا ابْنَ عَمّي ...؟ »

« أَنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَرْقُبَ ما يَفْعَلُهُ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ ؟ رُبَّما . وَلَكِنْ لِماذا أَنْتِ مُبْتَهِجَةٌ ؟»

« لَمْ أَقُلْ قَطُّ إِنَّني مُبْتَهِجَة ، فَأنا لا أَكْتَرِثُ أَقَلَّ اكْتِراثٍ بِما يَفْعَلُهُ الدُّوقُ مايكِل .»

لَوْ كُنْتُ المَلِكَ فِعْلاً لأَحْسَسْتُ أَنَّ هذا تَشْجيعٌ لي . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَناهى إِلى أَسْماعِنا هُتافٌ في الشّارِعِ ، فَجَرَتِ الأَميرَةُ إِلى النّافِذَةِ ، وَصاحَتْ : « إِنَّهُ هُوَ ! إِنَّهُ الدُّوقُ بِنَفْسِهِ !»

وَابْتَسَمْتُ دونَ أَنْ أَقولَ شَيْئًا ، وَسَمِعْتُ وَقْعَ أَقْدامٍ خارِجَ الغُرْفَةِ ، فَرُحْتُ أَتَكَلَّمُ في مَوْضوعاتٍ عامَّةٍ . وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ بِضْعَ دَقائِقَ ، وَأَنا أَتَساءَلُ عَمّا جَرى لِمايكِل ، وَلَكِنْ بَدا لي أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الصَّوابِ أَنْ أَتَدَخَّلَ . وَفَجْأَةً أَثارَ دَهْشَتي أَنَّ فلاڤْيا قالَتْ بِصَوْتٍ مُضْطَرِبٍ: « هَلْ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ تُغْضِبَهُ ؟»

« ماذا ؟ مَنْ هُوَ ؟ كَيْفَ أُغْضِبُهُ ؟»

« بِأَنْ تَجْعَلَهُ يَنْتَظِرُ ، بِالطَّبْعِ .»

« يا ابْنَةَ عَمّي العَزيزَةَ ، لا أُريدُ أَنْ أَجْعَلَهُ ...»

« حَسَنًا إِذًا ، هَلْ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ ؟ »

« طَبْعًا ، لَوْ رَغِبْتِ في ذَلِكَ .»

نَظَرَتْ إِلَيَّ بِاسْتِغْرابٍ وَقالَتْ : « كَمْ أَنْتَ ظَريفٌ ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ

لا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ وَأَنْتَ هُنا .»

إِنَّها لَمَزِيَّةٌ رائِعَةٌ أَنْ يَكونَ المَرْءُ مَلِكًا !

وَلَعَنْتُ فريتز في نَفْسي لأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْني بِذَلِكَ ؛ فَقَدْ أَوْشَكْتُ أَنْ أَقَعَ في خَطَإٍ جَسيمٍ . وَقَفَزْتُ مِنْ مَكاني ، وَذَهَبْتُ إِلى البابِ وَأَدْخَلْتُ مايكِل قائِلاً : « لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ، يا أَخي ، أَنَّكَ هُنا ؛ لَما جَعَلْتُكَ تَنْتَظِرُ لَحْظَةً واحِدَةً .»

شَكَرَني ، وَلَكِنْ بِفُتورٍ ؛ فَقَدْ كانَتْ لِلرَّجُلِ خِصالٌ كَثيرَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يُخْفِيَ شُعورَهُ . وَكانَ بِمَقْدورِ أَيِّ إِنْسانٍ أَنْ يَرى أَنَّهُ يَكْرَهُني بِشِدَّةٍ ، وَأَنَّ أَشَدَّ ما يَكْرَهُهُ أَنْ يَراني مَعَ الأَميرَةِ فلاڤْيا . وَكانَ يَعْلَمُ أَنَّني لَسْتُ المَلِكَ ، وَلَكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حاوَلَ أَنْ يُخْفِيَ عَنّي ما كانَ يَعْلَمُهُ .

قالَ : « إِنَّ يَدَكَ مُصابَةٌ ، يا مَوْلايَ .»

أَجَبْتُ بِلا اكْتِراثٍ: « كُنْتُ أُداعِبُ كَلْبًا ، فَحاوَلَ أَنْ يَعْقِرَني .» وَفَهِمَ ما رَمَيْتُ إِلَيْهِ ، وَابْتَسَمَ بِمَرارَةٍ .

سَأَلَتْني فلاڤْيا بِقَلَقٍ : « أَ ثَمَّ خَطَرٌ مِنَ العَقْرَةِ ؟»

قُلْتُ : « لا خَطَرَ ، وَلَكِنْ لَوْ كُنْتُ مَكَّنْتُهُ مِنْ عَقْري أَعْمَقَ مِمّا

فعلَ لاختلفَ الأمْرُ ، يا ابْنةَ عمّي .»

مَضَتْ تقولُ : « ولكنَّ أغْلبَ الظَّنِّ أنَّ الكلْبَ قُضِيَ عليْهِ ؟»

« ليْس بعْدُ ، فإنّنا ننْتظِرُ لِنرى ما إذا كانَتِ العقْرةُ مؤْذِيَةً .»

سألني مايكِل : « وإذا كانَتْ مؤْذِيَةً ؟»

قُلْتُ : « سَوْفَ يُسْحَقُ رأسُهُ ، يا أخي !»

وَعِنْدَئِذٍ تذكَّرْتُ أنَّهُ عليَّ أنْ أظْهِرَ لَهُ وِدّي ؛ فَأثْنَيْتُ على ما اتَّخذَهُ مِنْ ترْتيباتٍ رائِعَةٍ في حَفْلِ التَّتْويجِ ، وَحالَةِ الجَيْشِ ، وَغَيْرِ ذلِكَ ؛ إلا أنَّ مايكِل لَمْ يَحْتَمِلْ أكْثرَ مِنْ ذلكَ ، فَنَهَضَ فَجْأةً ، وَقالَ : « لي أصْدقاءُ ثلاثَةٌ يتوقونَ إلى أنْ أقَدِّمَهُمْ لِصاحِبِ الجلالَةِ ، وَهُمْ هُنا في الرَّدْهَةِ الخارِجيَّةِ .»

قُلْتُ بِلُطْفٍ : « أصْدِقاؤكَ هُمْ أصْدِقائي .» وَمَشَيْتُ مَعَهُ إلى البابِ ، فَوَدَّعَ الأميرَةَ ، وَأمْسَكْتُ بِذِراعِهِ ، وَقَدْ أبْهَجَتْ نَفْسي تِلْكَ النَّظْرَةُ التي بَدَتْ على وَجْهِهِ . وَفي أثْناءِ دُخولِنا الغُرْفَةَ نادى مايكِل رِجالَهُ ، وَقَدَّمَهُمْ لي واحِداً فَواحِداً ، وَقَبَّلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدي : دي غوتيه ، وَهُوَ طَويلٌ نَحيفٌ كَثُّ الشّارِبِ . وَبيرسونين البِلْجيكيُّ يَميلُ إلى البَدانَةِ وَمُتَوسِّطُ القامَةِ ، وَرَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ فَهُوَ أصْلَعُ . أمّا ديتْشارْد الإنْجليزيُّ فَضَئيلُ الوَجْهِ ، أشْقَرُ الشَّعْرِ حَليقُهُ ، لَوَّحَتْ

بَشْرَتَهُ الشَّمْسُ . وَكانَ يَبْدو أنَّهُ مُقاتِلٌ ذو بَأسٍ ، وَلكِنَّهُ غَيْرُ شَريفٍ بِالمَرَّةِ . وَتَحَدَّثْتُ إليْهِ بِالإنْجليزِيَّةِ بِلُكْنَةٍ أجْنَبِيَّةٍ ، فابْتَسَمَ وَإنْ أخْفى ابْتِسامَتَهُ في الحالِ . وَقُلْتُ في نَفْسي : « إذاً فالسَّيِّدُ ديتْشارْد مُطَّلِعٌ على السِّرِّ .»

وَما إنِ انْصَرَفوا حَتّى عُدْتُ إلى الأميرَةِ لأوَدِّعَها .

قالَتْ بِصَوْتٍ خافِتٍ : « كُنْ حَريصاً ، يا رودُلْف . أ وَ لَنْ تَفْعَلَ ؟»

« مِمَّ أكونُ حَريصاً ؟»

« إنَّكَ تَعْرِفُ ، وَلا أسْتَطيعُ أنْ أقولَ . وَلكِنْ فَكِّرْ في قيمَةِ حَياتِكَ لِـ ...»

« قيمَتُها لِـ ...؟»

« لِرُوريتانْيا .»

أ كُنْتُ مُصيباً فيما فَعَلْتُ ، أمْ مُخْطِئاً ؟ لَسْتُ أدْري ، وَلكِنّي هَمَسْتُ بِرِقَّةٍ : « لِرُوريتانيا فَحَسْبُ ؟»

قالَتْ وَقَدْ تَوَرَّدَ وَجْهُها حَياءً : « وَلأصْدِقائِكَ أيْضاً .»

« أصْدِقائي ؟»

همَسَتْ : « ولابْنَةِ عمِّكَ .»

لَمْ أسْتَطِعِ الكَلامَ ، فقَبَّلْتُ يدَها ، وخَرَجْتُ وأنا ألْعَنُ نفسي . وكان فريتْز جالِسًا على الأريكَةِ مَعَ الكونْتيسة هيلغا غيْرَ مُكْتَرِثٍ لِما يُفكِّرُ فيهِ الخَدَمُ . وهَبَّ واقِفًا ، وغادَرْنا المنْزِلَ .

الفصل السادس

اسْتِعْمالٌ جديدٌ لِمِنْضَدَةِ الشّاي

انْقَضَتْ أيّامٌ عديدَةٌ ، وبَقِيَ سِرّي مَحْفوظًا ، بِالرَّغْمِ مِنْ أنّي مَرَرْتُ بِلَحظاتٍ حَرِجَةٍ وارْتَكَبْتُ بَعْضَ الأخْطاءِ . ومَعَ ذلِكَ تَفادَيْتُ أنْ يَنْكَشِفَ أمْري ، ولَعَلَّ السَّبَبَ يَرْجِعُ إلى جَسارَةِ الخِداعِ . وفي تَقْديري أنَّهُ مِنَ الأيْسَرِ أنْ أدَّعِيَ بِنَجاحٍ أنّني الملِكُ عَنْ أنْ أدَّعِيَ أنّني الجارُ الَّذي يَسْكُنُ بِجِواري .

وذاتَ يَوْمٍ أتى سابْت إلى غُرْفَتي ، وألْقى بِخِطابٍ على المائِدَةِ قائِلاً : « هَذا لَكَ ، وأعْتَقِدُ أنَّهُ بِخَطِّ امْرَأةٍ . ولكِنْ لَدَيَّ بَعْضُ الأخْبارِ أوَّلاً : إنَّ الملِكَ في قَلْعَةِ زِنْدا .»

« كَيْفَ عَرَفْتَ ؟»

« لأنَّ ثَلاثَةً مِنْ رِجالِ مايكِل السِّتَّة هُناكَ ؛ فَقَدْ أجْرَيْتُ تَحَرِّياتي ، وعَرَفْتُ أنَّ ثَلاثَتَهُمْ هُناكَ : لاونْغرام ، وكرافشْتاين والشّابُّ رُوپرت

هِنْتساو . ثَلاثَةُ أَشْرارٍ لا يُضارِعُهُمْ أَشْرارٌ !»

« أ موقِنٌ أنْتَ مِنْ أنَّ المَلِكَ هُناكَ ؟»

« نَعَمْ ، وَالجِسْرُ المُتَحَرِّكُ مَرْفوعٌ ، وَلا يُؤْذَنُ لأحَدٍ بِالدُّخولِ أوِ الخُروجِ إلا بِأَمْرِ مايكِلِ أوِ الشّابِّ روبِرْت .»

قُلْتُ : « سَأذْهَبُ إلى زِنْدا .»

« لَيْسَ بَعْدُ ، يا فتى . وَعَلَيْنا أنْ نَكونَ حَريصينَ ؛ فَأيُّ هُجومٍ عَلَيْنا مَعْناهُ مَوْتُ المَلِكِ . ما الَّذي يَتَضَمَّنُهُ الخِطابُ ؟»

فَتَحْتُ الخِطابَ وَقَرَأْتُهُ بِصَوْتٍ عالٍ :

« إذا رَغِبَ المَلِكُ في أنْ يَعْرِفَ شَيْئاً بالِغَ الأهَمِّيَّةِ ، فَعَلَيْهِ أنْ يَأتِيَ بِمُفْرَدِهِ إلى البَيْتِ في وَسَطِ حَديقَةٍ واسِعَةٍ ، وَثَمَّةَ بَوّابَةٌ صَغيرَةٌ في سورِ الحَديقَةِ الخَلْفِيِّ . وإذا فَتَحَها وَسارَ يَميناً ثَمانِيَةَ عَشَرَ مِتْراً وَجَدَ كوخاً صَيْفِيًّا يُصْعَدُ إلَيْهِ بِسِتِّ دَرَجاتٍ . وَداخِلَ الكوخِ الصَّيْفِيِّ سَيَجِدُ شَخْصاً يُخْبِرُهُ بِشَيْءٍ في غايَةِ الأهَمِّيَّةِ لِحَياتِهِ وَعَرْشِهِ. كَتَبَتْ هَذا الخِطابَ صَديقَةٌ مُخْلِصَةٌ . وَإذا رَفَضَ المَلِكُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ ، فَإنَّ حَياتَهُ سَتَتَعَرَّضُ لِلْخَطَرِ ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ أنْ يَأتِيَ بِمُفْرَدِهِ . وَعَلَيْهِ ألا يُطْلِعَ أحَداً عَلى هَذا الخِطابِ ، وإلا دَمَّرَ امْرَأَةً تُحِبُّهُ ؛ فَإنَّ مايكِلَ الأسْوَدَ لا يَعْفو عَنْ أحَدٍ .»



وَما إنِ انْتَهَيْتُ مِنْ قِراءَةِ الخِطابِ حَتّى قالَ سابْت مُعَلِّقاً: « لا ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَطيعُ أنْ يُمْلِيَ خِطاباً رائِعاً .»

وَخَطَرَتْ لِيَ الفِكْرَةُ ذاتُها ، وَهَمَمْتُ أنْ أُلْقِيَ الخِطابَ عِنْدَما لَمَحْتُ مَزيداً مِنَ السُّطورِ عَلى الوَجْهِ الآخَرِ جاءَ فيها :

« إذا تَرَدَّدْتَ فَتَحَدَّثْ إلى الكولونيل سابْت ...»

صاحَ سابْت دَهِشاً : « أ تَظُنُّني أكْثَرَ حُمْقاً مِنْكَ ؟»

وَ واصَلْتُ القِراءَةَ :

« سَلْهُ مَنْ هِيَ المَرْأَةُ الَّتي تَبْذُلُ غايَةَ الجَهْدِ لِتَحولَ دونَ الدّوقِ

وَالزَّواجِ بِابْنَةِ عَمِّهِ ، وَبِالتّالي لِتَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ المَلِكَ ؟ إِنَّ اسْمَها يَبْدَأُ بِحَرْفِ (أ) .»

وَقَفَزْتُ واقِفاً ، وَنَحّى سابْت غَلْيونَهُ جانِباً .

صِحْتُ : « أَنْطوانيت دي مُوبان !»

سَأَلَني : « كَيْفَ عَرَفْتَ ؟»

وَأَخْبَرْتُهُ بِما أَعْرِفُهُ عَنِ السَّيِّدَةِ ، فَقالَ وَهُوَ مُمْعِنٌ في التَّفْكيرِ : « نَعَمْ ، فَمِنَ الثّابِتِ أَنَّهُ ثَمَّ خِلافٌ بَيْنَها وَبَيْنَ مايكِل .»

قُلْتُ مُعَقِّباً : « يُمْكِنُها أَنْ تُفيدَنا لَوْ رَغِبَتْ .»

« وَمَعَ ذَلِكَ ، أَعْتَقِدُ أَنَّ مايكِل أَمْلى عَلَيْها هَذا الخِطابَ .»

« هَذا ما أَعْتَقِدُهُ أَنا أَيْضاً ، وَلَكِنِّي أَقْصِدُ أَنْ أَتَثَبَّتَ . سَأَذْهَبُ ، يا سابْت .»

أَجابَني : « لا ، سَأَذْهَبُ أَنا .»

قُلْتُ : « يُمْكِنُكَ أَنْ تَذْهَبَ حَتّى البَوّابَةِ .»

« سَأَذْهَبُ إِلى الكوخِ الصَّيْفِيِّ .»

قُلْتُ وَأَنا أُسْنِدُ ظَهْري إِلى المَقْعَدِ : « إِنَّني أَثِقُ ، يا سابْت ، بِهَذِهِ

المَرْأَةِ ، وَسَأَذْهَبُ .»

أَجابَني : « إِنَّني لا أَثِقُ بِأَيَّةِ امْرَأَةٍ ! وَلَنْ تَذْهَبَ .»

« إِمّا أَنْ أَذْهَبَ إِلى الكوخِ الصَّيْفِيِّ ، أَوْ أَعودَ إِلى إِنْجِلْترا .»

كانَ سابْت قَدْ بَدَأَ يَعْرِفُ إِلى أَيِّ مَدًى يُمْكِنُهُ أَنْ يَقودَني أَوْ يَدْفَعَني ، وَمَتى يُوافِقُني ؛ لِذا قالَ مُوافِقاً : « لَكَ ما تُريدُ .»

وَبِاخْتِصارٍ ، امْتَطَيْتُ وَسابْت جَوادَيْنا في الحادِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ مَساءً ، وَتَرَكْنا فريتْز يَقومُ بِالحِراسَةِ . وَكانَتْ لَيْلَةً مُظْلِمَةً ، وَحَمَلْتُ مَعي مِصْباحاً ذا عَدَسَةٍ سَميكَةٍ ، وَسِكّيناً وَمُسَدَّساً . وَعِنْدَما بَلَغْنا البَوّابَةَ الخارِجِيَّةَ تَرَجَّلْتُ عَنْ ظَهْرِ جَوادي .

قالَ سابْت : « سَأَنْتَظِرُ هُنا ، وَإِذا سَمِعْتُ طَلْقَةً ، فَسَـ...»

« اِبْقَ حَيْثُ أَنْتَ ؛ فَهِيَ فُرْصَةُ المَلِكِ الوَحيدَةُ . وَيَنْبَغي أَلا تُقْتَلَ أَنْتَ أَيْضاً .»

« إِنَّكَ مُصيبٌ ، يا فَتى . أَتَمَنّى لَكَ حَظّاً سَعيداً .»

اِجْتَزْتُ البَوّابَةَ بِهُدوءٍ إِلى الحَديقَةِ ، وَانْعَطَفْتُ إِلى اليَمينِ كَما ذُكِرَ في الخِطابِ ، وَسِرْتُ بِحَذَرٍ في المَمَرِّ ، وَمِصْباحي مُطْفَأٌ ، وَمُسَدَّسي في يَدي الأُخْرى . وَسُرْعانَ ما وَصَلْتُ إِلى جِسْمٍ ضَخْمٍ

مُعْتِمٍ ، وَكانَ الكوخ الصَّيْفِيّ . وَصَعِدْتُ الدَّرَجَ بِهُدوءٍ شَديدٍ ، وَدَفَعْتُ البابَ فَفَتَحْتُهُ وَدَخَلْتُ ؛ فَانْدَفَعَتْ نَحْوي امْرَأَةٌ وَأَمْسَكَتْ بِيَدي هامِسَةً : « أَغْلِقِ البابَ .»

قُمْتُ بِإِغْلاقِ البابِ ، وَأَضَأْتُ المِصْباحَ في وَجْهِها ، فَتَبَيَّنَ لي أَنَّها أنطوانيت دي مُوبان ، وَكانَتْ تَبْدو رائِعَةَ الجَمالِ في مَلابِسَ فَخْمَةٍ . وَلَمْ يَكُنْ بِالكوخِ سِوى مَقْعَدَيْنِ صَغيرَيْنِ وَمِنْضَدَةٍ حَديدِيَّةٍ صَغيرَةٍ كَتِلْكَ الَّتي تُسْتَخْدَمُ في المَقاهي .

قالَتْ : « لا تَتَكَلَّمْ ، فَلَيْسَ لَدَيْنا وَقْتٌ ؛ وَإِنَّما أَصْغِ إِلَيَّ . إِنَّني أَعْرِفُكَ ، يا سَيِّدْ راسنْدِل ، وَقَدْ كَتَبْتُ ذَلِكَ الخِطابَ بِأَمْرِ الدوقِ .»

قُلْتُ : « هَذا ما فَكَّرْتُ فيهِ .»

« سَيَأْتي إِلى هُنا ، بَعْدَ عِشْرينَ دَقيقَةً ، ثَلاثَةُ رِجالٍ لِيَقْتُلوكَ .»

« ثَلاثَةٌ ... الثَّلاثَةُ ؟»

« نَعَمْ ، وَيَجِبُ أَنْ تَرْحَلَ الآنَ ، وَإِلا سَتُقْتَلُ .»

« أَوْ سَيُقْتَلونَ .»

« أَصْغِ إِلَيَّ ! عِنْدَما تُقْتَلُ سَيَحْمِلونَ جُثَّتَكَ إِلى مَكانٍ وَضيعٍ في المَدينَةِ حَيْثُ يُعْثَرُ عَلَيْها . وَسَوْفَ يَعْتَقِلُ مايكِل في الحالِ جَميعَ

أَصْدِقائِكَ : كولونيل سابْت وفريتْز ڤون تارْلينْهايْم أَوَّلاً . وَسَوْفَ يَضَعُ المَدينَةَ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الجَيْشِ ، وَيَبْعَثُ إِلى الثَّلاثَةِ الآخَرينَ في زِنْدا بِرِسالَةٍ لِقَتْلِ المَلِكِ في القَلْعَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ يُنَصِّبُ نَفْسَهُ مَلِكاً وَيَتَزَوَّجُ الأَميرَةَ .»

« إِنَّها خُطَّةٌ رائِعَةٌ . وَلَكِنْ لِماذا ، يا سَيِّدَتي ، تـ ...؟»

« قُلْ أَيَّ سَبَبٍ يُعْجِبُكَ ؛ قُلِ الغَيْرَةَ ، إِذا أَرَدْتَ . وَالآنَ اذْهَبْ ، وَلَكِنْ تَذَكَّرْ ، لَيْلاً وَنَهاراً ، أَنَّكَ لَسْتَ آمِناً . أَ لَكَ حُرّاسٌ سِرِّيّونَ يَقْتَفونَ خُطاكَ ؟»

« نَعَمْ ، فَهِيَ فِكْرَةُ سابْت .»

« ثَمَّةَ ثَلاثَةُ رِجالٍ يَتَعَقَّبونَهُمْ ، وَرِجالُ مايكِلِ الثَّلاثَةُ لا يَبْعُدونَ عَنْكَ أَبَداً أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعينَ مِتْرًا . وَالآنَ اذْهَبْ ، وَلَكِنْ لَيْسَ عَنْ طَريقِ البَوّابَةِ ، فَثَمَّةَ حِراسَةٌ عَلَيْها الآنَ . وَسَتَجِدُ سُلَّماً خَشَبِيًّا عَلى حائِطِ هَذا الجانِبِ مِنَ الكوخِ الصَّيْفِيِّ ، فَتَسَلَّقْهُ وَأَفْلِتْ بِحَياتِكَ .»

قُلْتُ : « لَقَدْ أَسْدَيْتِ اللَّيْلَةَ ، يا سَيِّدَتي ، خِدْمَةً جَليلَةً لِلْمَلِكِ ، رَغْمَ أَنَّها قَدْ تُعَرِّضُكِ لِلْخَطَرِ . هَلا قُلْتِ لي أَيْنَ مَكانُ المَلِكِ في القَلْعَةِ ؟»

وَخفضَتْ صوتَها إلى دَرجةِ الهمْسِ ، وقالَتْ : « عِنْدَما تَعْبُر الجِسْرَ المُتحرِّكَ ، ستَصِلُ إلى بابٍ ثَقيلٍ يرْقُدُ وراءَهُ . أصْغِ ! ما هَذا ؟»

كانَ ثَمَّ وَقْعُ خُطُواتٍ في الخارجِ .

« إنّهُمْ قادِمونَ ! لقَدْ أتَوْا مُبكِّرينَ ! أطْفِئْ مِصْباحَكَ ! »

وأطْفأتُ المِصْباحَ ، ثُمَّ نَظَرْتُ مِنْ خِلالِ شَقٍّ في البابِ ، فاسْتَطَعْتُ أنْ أرى ثَلاثَةَ أشْخاصٍ . وسَحَبْتُ مُسدَّسي ، فوَضَعَتْ أنطوانيت يَدَها بِسُرْعَةٍ فَوْقَ ذِراعي قائِلَةً : « قَدْ تَتَمكَّنُ مِنْ قَتْلِ واحِدٍ مِنْهُمْ ، ولكِنْ ماذا ستَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟»

وَجاءَنا صَوْتٌ مِنَ الخارِجِ ، يَتحدَّثُ الإنْجليزِيَّةَ بِطَلاقَةٍ ، يَقولُ : « سَيِّدُ راسَنْدِل ! »

ولَمْ أرُدَّ .

« نُريدُ أنْ نَتحدَّثَ إلَيْكَ ، فهَلّا وَعَدْتَنا بِألا تُطْلِقَ النّارَ حتّى نَفْرُغَ مِنْ حَديثِنا ؟»

« أ هَذا السيِّدُ ديتْشارْد الّذي أتَشرَّفُ بالحَديثِ إليْهِ ؟»

« لا تَشْغَلَنْكَ الأسْماءُ ! »

« إذاً دَعْكَ مِن اسْمي . »

« أوافِقُكَ ، يا سَيِّدي . لَدَيَّ عَرْضٌ لَكَ . »

كُنْتُ لا أزالُ أنْظُرُ مِنْ شَقِّ البابِ ، فَرَأيْتُ الرِّجالَ الثَّلاثَةَ وهُمْ يرْتَقونَ دَرجَتَيْنِ أخْرَيَيْنِ مِنَ السُّلَّمِ ، ويُصَوِّبونَ مُسدَّساتِهِمْ نَحْوَ البابِ.

« هَلّا سَمَحْتَ لَنا بِالدُّخولِ ؟ إنّا نَعِدُكَ بِشَرَفِنا ألا نُطْلِقَ النّارَ . »

هَمَسَتْ أنطوانيت قائِلَةً : « لا تَثِقْ بِهِمْ . »

قُلْتُ : « يُمْكِنُنا أنْ نَتحدَّثَ مِنْ خِلالِ البابِ . »

« أ تَعِدُ بِألا تَفْتَحَهُ وتُطْلِقَ النّارَ ؟ »

أجَبْتُ : « أعِدُ بِألا أُطْلِقَ النّارَ قَبْلَكُمْ ، ولَكِنّي لَنْ أسْمَحَ لَكُمْ بِالدُّخولِ ؛ فَقِفوا خارِجَ البابِ وتَحدَّثوا . »

قالَ ديتْشارْد : « هَذا مَعْقولٌ . »

ولَمْ أرْفَعْ عَيْنَيَّ عَنْ شَقِّ البابِ ، ورَأيْتُ أنَّهُمْ قَدْ وَصَلوا إلى أعْلى دَرجَةٍ في السُّلَّمِ ، وأصْبَحوا وراءَ البابِ .

وكَرَّرَتْ أنطوانيت تَحْذيرَها ثانِيَةً : « لا تَثِقْ بِهِمْ . » ولَكِنّي لَمْ أكُنْ بِحاجَةٍ إلى تَحْذيرٍ ، فَكُنْتُ أعْرِفُ أنَّهُمْ يَقْصِدونَ أنْ يَقْتَحِموا البابَ حالَما أبْدَأُ الحَديثَ مَعَهُمْ .

قُلْتُ : « أَيُّها السّادَةُ ، ما هُوَ العَرْضُ ؟»

« تَصْريحٌ بِعُبورِ الحُدودِ بِأَمانٍ ، وَخَمْسونَ أَلْفَ جُنَيْهٍ إِنْجليزيٍّ .»

قُلْتُ : « هَذا عَرْضٌ سَخِيٌّ ! أَمْهِلوني دَقيقَةً حَتّى أُفَكِّرَ .»

وَالْتَفَتُّ إِلى أَنطوانيت ، وَهَمَسْتُ لَها قائِلاً : « قِفي عِنْدَ الحائِطِ ، وَابْتَعِدي عَنْ مَرْمى النّارِ الآتِيَةِ مِنَ البابِ .»

سَأَلَتْني بِخَوْفٍ : « ماذا سَتَفْعَلُ ؟»

أَجَبْتُها : « سَتَرَيْنَ .»

وَحَمَلْتُ مِنْضَدَةَ الشّاي الحَديدِيَّةَ ، وَلَمْ تَكُنْ ثَقيلَةً على رَجُلٍ في مِثْلِ قُوَّتي ، وَأَمْسَكْتُها مِنْ قَوائِمِها ، وَاتَّخَذْتُ مِنْ سَطْحِها دِرْعًا تَقي رَأْسي وَجِسْمي ، وَرَبَطْتُ مِصْباحِيَ المُطْفَأَ بِحِزامي ، وَ وَضَعْتُ مُسَدَّسي في جَيْبي ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلى آخِرِ الغُرْفَةِ ، وَصِحْتُ وَأَنا مُمْسِكٌ بِالمِنْضَدَةِ أَمامي :

« أَيُّها السّادَةُ ، إِنَّني أَقْبَلُ عَرْضَكُمْ مُعْتَمِدًا على شَرَفِكُمْ ، فَإِذا فَتَحْتُمُ البابَ ، فَـ ...»

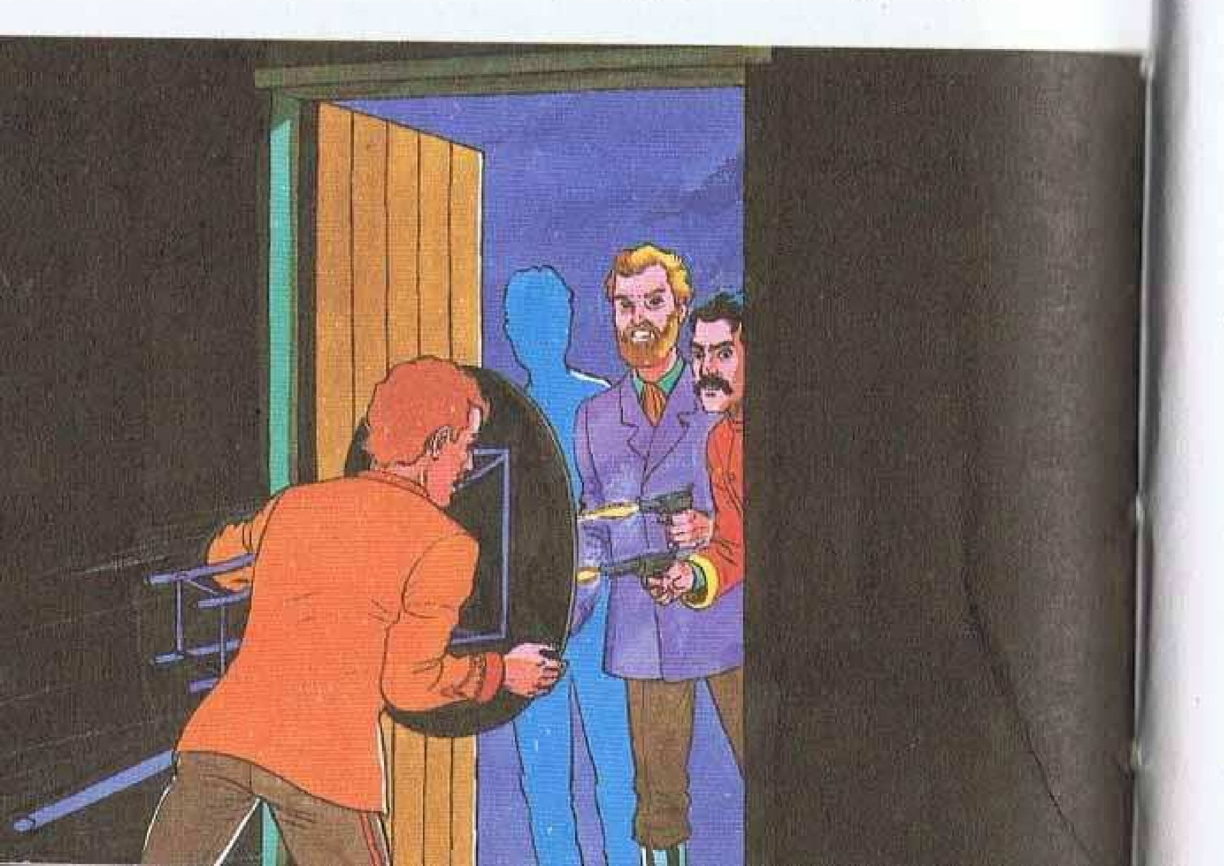
قالَ ديتْشارْد مُقاطِعًا : « افْتَحْهُ بِنَفْسِكَ .»

قُلْتُ : « إِنَّهُ يُفْتَحُ إِلى الخارِجِ ، فَابْتَعِدوا قَليلاً ، أَيُّها السّادَةُ .»

وَتَظاهَرْتُ بِأَنّي أُحاوِلُ فَتْحَ البابِ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلى مَكاني قائِلاً : « إِنَّهُ عَسيرُ الفَتْحِ ، فَاجْذِبوهُ ناحِيَتَكُمْ .»

صاحَ ديتْشارْد: « سَأَفْتَحُهُ أَنا . ماذا بِكَ ، يا بيرسونين ؟ أَ تَخافانِ رَجُلاً واحِدًا ؟»

وَابْتَسَمْتُ ، وَما هِيَ إِلا لَحْظَةٌ حَتّى فُتِحَ البابُ بِعُنْفٍ ناحِيَتَهُمْ ، وَإِذا بِالرِّجالِ الثَّلاثَةِ يَقِفونَ بِالبابِ وَمُسَدَّساتُهُمْ مُصَوَّبَةٌ نَحْوي . وَأَطْلَقْتُ صَيْحَةً عالِيَةً ، وَانْدَفَعْتُ ناحِيَتَهُمْ بِكُلِّ ما أوتيتُ مِنْ قُوَّةٍ . وَدَوَّتْ ثَلاثُ طَلَقاتٍ وَقَتْني مِنْها المِنْضَدَةُ الَّتي اتَّخَذْتُها دِرْعًا . وَفي طَرْفَةِ عَيْنٍ كُنْتُ بَيْنَهُمْ بِالمِنْضَدَةِ ، وَتَدَحْرَجْنا نَحْنُ الأَرْبَعَةُ على



السُّلَّمِ . وَصَرَخَتْ أنْطوانيت دي موبان ، وَلَكِنّي نَهَضْتُ على قَدَمَيَّ وَأنا أضْحَكُ ضِحْكًا عالِيًا .

كانَ دي غوتيه وَبيرسونين يَرْقُدانِ بِلا حَراكٍ ، عَلى حين كانَ ديتْشارْد تَحْتَ المِنْضَدَةِ ، وَدَفَعَها وَأنا أنْهَضُ بَعيدًا عَنْهُ ، وَأطْلَقَ عَلَيَّ النّارَ ثانِيَةً ؛ فَسَحَبْتُ مُسَدَّسي وَأطْلَقْتُهُ عَلَيْهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَكيلُ اللَّعنات. وَأطْلَقْتُ ساقَيَّ لِلرّيحِ مُبْتَعِدًا عَنِ الكوخِ الصَّيْفِيِّ بِحِذاءِ الحائِطِ ، وَأنا أقولُ لِنَفْسي : « أرْجو اللهَ أنْ تَكونَ صادِقَةً فيما قالَتْهُ عَنِ السُّلَّمِ !» فَقَدْ كانَ الحائِطُ مُرْتَفِعًا .

وَ وَجَدْتُ السُّلَّمَ حَيْثُ قالَتْ ، فَارْتَقَيْتُهُ وَاجْتَزْتُ الحائِطَ في دَقيقَةٍ ، وَانْطَلَقْتُ أعْدو إلى الخارِجِ . وَرَأيْتُ الجَوادَيْنِ ثُمَّ سابْت الَّذي كان يُجاهِدُ لِفَتْحِ قُفْلِ البَوّابَةِ المُغْلَقَةِ ، وَراحَ يُطْلِقُ عَلَيْهِ النّارَ كالمَجْنونِ وَقَدْ نَسِيَ تَمامًا أنَّ عَلَيْهِ ألا يَشْتَرِكَ في المَعْرَكَةِ .

صِحْتُ بِهِ ضاحِكًا : « هَيّا بِنا .»

« أ سالِمٌ أنْتَ ؟ مِمَّ تَضْحَكُ ؟»

أجَبْتُهُ : « أرْبَعَةٌ مِنَ السّادَةِ حَوْلَ مِنْضَدَةٍ لِلشّاي . كانَ مَشْهَدًا

شَديدَ الطَّرافَةِ أنْ تَرى الثَّلاثَةَ المَشْهورينَ الخَطِرينَ ، وَقَدْ هُزِموا أمامَ سِلاحٍ لا يَزيدُ عَلى كَوْنِهِ مِنْضَدَةَ شاي . بِالإضافَةِ إلى أنَّني وَفَّيْتُ بِوَعْدي بِشَرَفٍ وَلَمْ أطْلِقِ النّارَ قَبْلَهُمْ .»

الفصل السابع

مَسْألةُ شَرَف

عَلِمْتُ ، في اليَوْمِ التّالي ، مِنْ تَقاريرِ الشُّرْطَةِ السِّرِّيَّةِ ، أنَّ مايكِل غادَرَ سْترِلْساو بِصُحْبَةِ رِجالِهِ الثَّلاثَةِ . وَقَدْ بَدا ديتْشارْد لِلْعِيانِ مُضَمَّدَ الذِّراعِ ، فَسَرَّني أنّي تَرَكْتُ أثَري عَلَيْهِ . وَغادَرَتْ أيْضاً أنطوانيت دي موبان سْترِلْساو ، وَلَعَلَّ زِنْدا كانَتْ وِجْهَتَهُمْ . وَكانَ أكْثَرَ ما جَذَبَ اهْتِمامي الفِقْرَةُ التّالِيَةُ :

« يُنْتَقَدُ المَلِكُ كَثيراً لِتَراخيهِ في مَسْأَلَةِ زَواجِهِ ؛ وَيُعْتَقَدُ أنَّ الأميرَةَ فلاڤْيا حَزينَةٌ أيْضاً . وَيَقْرِنُ الكَثيرونَ اسْمَها بِاسْمِ دُوقِ سْترِلْساو .»

قالَ سابْت عِنْدَما أبْدَيْتُ امْتِعاضي : « لَقَدْ قَضَتِ التَّعْليماتُ أنْ يَتَحَدَّثَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ بِصَراحَةٍ .»

قالَ فريتْز : « إنَّ ما قيلَ عَنِ الأميرَةِ صَحيحٌ ؛ فَقَدْ أبْلَغَتْني الكونتيسَةُ هيلغا أنَّ فلاڤْيا أغْرِمَتْ كَثيراً بِالمَلِكِ ...»

صِحْتُ : « كَفاكَ !»

قالَ سابْت : « لَقَدْ أمَرْتُ بِإقامَةِ حَفْلِ رَقْصٍ اللَّيْلَةَ في القَصْرِ المَلَكِيِّ ، عَلى شَرَفِ الأميرَةِ .»

قُلْتُ بِاسْتِياءٍ : « هَذا جَديدٌ عَلَيَّ .»

قالَ فريتْز : لَقَدِ اتُّخِذَتْ كُلُّ التَّرْتيباتِ .»

وَأقْبَلَ سابْت نَحْوي ، وَقالَ بِنَبْرَةٍ حادَّةٍ : « عَلَيْكَ أنْ تَعْرِضَ عَلَيْها الزَّواجَ أثْناءَ حَديثِكَ إلَيْها اللَّيْلَةَ .»

« يا لَلْعَجَبِ !»

قالَ سابْت : « أعْتَقِدُ أنَّهُ لَدَيْكَ خِبْرَةٌ بِالتَّوَدُّدِ إلى الفَتَياتِ .»

قُلْتُ : « إنَّني أرْفُضُ رَفْضاً قاطِعاً أنْ أشْتَرِكَ في أيَّةِ خُطَّةٍ لِلسُّخْرِيَةِ مِنَ الأميرَةِ .»

رَمَقَني سابْت بِعَيْنَيْهِ الضَّيِّقَتَيْنِ الماكِرَتَيْنِ وَابْتَسَمَ قائِلاً : « لَكَ ما تُريدُ ، يا فَتى . يَنْبَغي ألا نَتَمادى في إرْغامِكَ عَلى شَيْءٍ ، وَلَكِنْ كُنْ لَطيفاً في حَديثِكَ إلَيْها ؛ فَنَحْنُ لَنْ نَسْمَحَ بِأنْ تَتَضايَقَ الأميرَةُ مِنَ المَلِكِ .»

وَخَرَجْتُ أتَجَوَّلُ في الحَديقَةِ بِصُحْبَةِ فريتْز . وَكُنْتُ أعْلَمُ – عِلْمَ

اليَقين – السَّبَبَ الَّذي جعَلَ سابْت يكُفُّ عَنْ تَشْجيعي على التَّوَدُّدِ إلى الأميرَةِ ؛ فَقَدْ كانَ يَعْرِفُ أنَّ جَمالَها وَمَشاعِري قَدْ يَحْمِلانِّي إلى أبْعَدَ مِمّا تُحَدِّدُهُ بَراهينُهُ . وَلا بُدَّ أنَّهُ أدْرَكَ التَّعاسَةَ الَّتي سَيَجْلِبُها عَلى الأميرَةِ ، وَلكِنَّ هَذا الأمْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْني لَهُ شَيْئًا. فإذا أنْقِذَ المَلِكُ ، فإنَّها سَتَتَزَوَّجُهُ ، سَواءٌ عَرَفَتِ التَّغْييرَ أوْ لَمْ تَعْرِفْ . وإذا لَمْ يُنْقَذْ ، وَهُوَ ما لَمْ نَتَحَدَّثْ فيهِ ، فَإنَّني أعْتَقِدُ أنَّ سابْت يَنْوي أنْ يُبْقِيَني عَلى العَرْشِ بَدَلاً مِنْ أنْ يَدَعَ مايكِل الأسْوَدَ يَظْفَرُ بِهِ .

* * *

كانَ حَفْلُ الرَّقْصِ رائِعًا ، وَلَمْ أكُنْ لأبْقى فاتِرَ الحِسِّ وَغَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِجِوارِ مِثْلِ هَذِهِ المَرْأةِ الجَميلَةِ ، وَخاصَّةً عِنْدَما الْتَقَتْ عَيْناها عَيْنَيَّ . وَعَلى مَرْأى مِنَ الجَميعِ خَلَعْتُ طَوْقَ الوَرْدِ الأحْمَرِ ، رَمْزَ رُوريتانْيا ، مِنْ عُنُقي وَطَوَّقْتُ بِهِ عُنُقَها ، فَصَفَّقَ الجَميعُ وَهَتَفوا . وَرَأيْتُ سابْت يَبْتَسِمُ ، وَفريتز يَعْبِسُ .

وَعِنْدَما فَرَغْنا مِنَ الحَفْلِ ، انْفَرَدْتُ بِها في غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ تُطِلُّ عَلى الحَديقَةِ . وَجَلَسَتْ هِيَ ، وَ وَقَفْتُ أنا أمامَها . وَكانَ ثَمَّ صِراعٌ داخِلِيٌّ ، وَلَعَلّي كُنْتُ سَأفوزُ في المَعْرَكَةِ لَوْ لَمْ تَنْظُرْ إلَيَّ . إنَّها لَمْ تَنْظُرْ إلَيَّ سِوى نَظْرَةٍ واحِدَةٍ مُفاجِئَةٍ جَعَلَتْني أخْسَرُ المَعْرَكَةَ .

لَقَدْ نَسيتُ المَلِكَ في زِنْدا ، وَنَسيتُ المَلِكَ في سْترِلْساو . لَقَدْ كانَتْ هِيَ أميرَةً ، وَكُنْتُ أنا مُخادِعًا . أ تَرى أنَّني تَذَكَّرْتُ هَذا ؟ لَقَدْ جَثَوْتُ عَلى رُكْبَتَيَّ أمامَها ، وَأخَذْتُ يَدَيْها بَيْنَ يَدَيَّ ، بِدونِ أنْ أقولَ شَيْئًا . وَلِماذا أقولُ ؟

وَعِنْدَئِذٍ دَفَعَتْني عَنْها ، وَصاحَتْ فَجْأةً : « أ هَذا صَحيحٌ ، أمْ أنَّهُ يَنْبَغي عَلَيْكَ أنْ تَفْعَلَهُ ؟»

قُلْتُ : « إنَّهُ صَحيحٌ ! إنَّهُ صَحيحٌ ! إنَّني أحِبُّكِ أكْثَرَ مِنَ الحَياةِ أوِ الصِّدْقِ أوِ الشَّرَفِ !»

وَلَمْ تَكْتَرِثْ بِمَعْنى كَلِماتي ، وَظَنَّتْها أسْلوبًا حُلْوًا لِلْحُبِّ .

« كَيْفَ تَأتّى لي ، يا رُودُلْف ، أنْ أحِبَّكَ الآنَ ؟»

« الآنَ ؟»

« نَعَمْ ، وَأخيرًا فَقَطْ ؛ فَأنا لَمْ أحِبَّكَ قَطُّ مِنْ قَبْلُ .»

يا لَهُ مِنْ شُعورٍ بِالنَّصْرِ ذَلِكَ الَّذي مَلأني ! إنَّهُ أنا ، رُودُلْف راسِنْدِل ، الَّذي أحَبَّتْهُ . ما أحْلاهُ مِنْ شُعورٍ !

« إنَّكِ لَمْ تُحِبّيني مِنْ قَبْلُ ؟»

وَرَفَعَتْ ناظِرَيْها نَحْوي ، وَابْتَسَمَتْ قائِلَةً : « لا بُدَّ أنَّ تاجَكَ هُوَ

السَّبَبُ ؛ فَقَدْ بَدأتُ أشْعُرُ بِحُبِّكَ يَوْمَ حَفْلِ التَّتْويجِ .»

« فلاڤْيا ، لَوْ لَمْ أكُنِ المَلِكَ ...»

قالَتْ : « مَهْما تَكُنْ ، أحِبُّكَ كَما أنْتَ .»

وَمَعَ ذَلِكَ كانَتْ ثَمَّةَ فُرْصَةٌ أمامي لأنْقِذَ شَرَفي ، فَقُلْتُ بِصَوْتٍ غَريبٍ جافٍّ بَدا وَكَأنَّهُ غَيْرُ صَوْتي : « فلاڤْيا ، إنَّني لَسْتُ ...»

وَسَمِعْتُ وَقْعَ قَدَمٍ ثَقيلَةٍ خارِجَ النّافِذَةِ ، وَظَهَرَ سابْت ، فَتَلاشَتْ عَلى شَفَتَيَّ عِبارَتي الَّتي لَمْ أتِمَّها . وَعَبَسَ سابْت وَانْحَنى قائِلاً : « ألْفُ مَعْذِرَةٍ ، يا مَوْلايَ ! وَلَكِنَّ المارْشالَ يَنْتَظِرُ مُنْذُ رُبْعِ السّاعَةِ لِيُوَدِّعَكَ .»

وَالْتَقَتْ عَيْنايَ عَيْنَيْهِ ، فَقَرَأتُ فيهِما تَحْذيراً يَشوبُهُ الغَضَبُ . تُرى كَمْ مِنَ الوَقْتِ مَضى وَهُوَ يَتَسَمَّعُ إلَيْنا ؟ لَسْتُ أدْري ، وَلَكِنَّهُ قَطَعَ الحَديثَ في الوَقْتِ المُناسِبِ .

قُلْتُ : « يَنْبَغي ألا أتْرُكَ المارْشالَ يَنْتَظِرُ .»

صاحَتْ فلاڤْيا : « إنَّني جِدُّ سَعيدَةٍ ، أيُّها العَقيدُ سابْت .»

وَكانَتْ صادِقَةً في كَلامِها ، وَأعْتَقِدُ أنَّ مَسْحَةً مِنَ الرِّقَّةِ كَسَتْ صَوْتَ سابْت عِنْدَما قالَ وَهُوَ يُقَبِّلُ يَدَها : « فَلْيَحْفَظِ اللهُ سُمُوَّكِ !»

ثُمَّ رَفَعَ قامَتَهُ وَأضافَ قائِلاً : « وَلَكِنْ قَبْلَ الجَميعِ يَأتي المَلِكُ .»

قالَتْ فلاڤْيا : « أجَلْ ، فَلْيَحْفَظِ اللهُ المَلِكَ !»

وَعُدْتُ إلى قاعَةِ الرَّقْصِ لأتَلَقّى تَحِيّاتِ تَوْديعي . وَأبْصَرْتُ سابْت يَروحُ وَيَجيءُ بَيْنَ الجُموعِ ، وَكانَتْ الابْتِساماتُ وَالهَمَساتُ تَنْتَشِرُ حَيْثُ يَكونُ . وَأدْرَكْتُ ماذا كانَ يَفْعَلُ هَذا الثَّعْلَبُ العَجوزُ : كانَ يَنْشُرُ الأنْباءَ الَّتي يَعْرِفُها ؛ فَقَدْ كانَ هَدَفُهُ الوَحيدُ أنْ يُنْقِذَ العَرْشَ ، وَيُنْزِلَ الهَزيمَةَ بِمايكِلَ الأسْوَدِ . وَانْتَشَرَتْ هَذِهِ الأنْباءُ بِسُرْعَةٍ ، حَتّى إنَّهُ كانَ ثَمَّ حَشْدٌ ضَخْمٌ بِانْتِظارِنا عِنْدَما ذَهَبْتُ لِتَوْصيلِ الأميرَةِ فلاڤْيا إلى عَرَبَتِها عِنْدَ البَوّابَةِ الرَّئيسيَّةِ . وَأخَذَ هَذا الحَشْدُ يُحَيِّينا بِهُتافاتٍ عالِيَةٍ ، فَما الَّذي كانَ بِوُسْعي أنْ أفْعَلَهُ ؟ لَقَدْ أرْغَمَتْني عَلى هَذا خُطَطُ سابْت وَمَشاعِري الَّتي لَمْ أسْتَطِعْ كَبْحَها ، وَقَطَعَتْ عَلَيَّ طَريقَ التَّراجُعِ .

وَعِنْدَ انْبِلاجِ النَّهارِ كُنْتُ وَسابْت وَفريتْز وَحْدَنا .

قُلْتُ : « إنَّكَ ، يا سابْت ، لَمْ تَتْرُكْ لي أيَّ شَرَفٍ . وَما لَمْ تَنْوِ أنْ تَجْعَلَ مِنّي مُجْرِماً أيْضاً ، أسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أنْ نَرْجِعَ إلى زِنْدا وَنَبْطِشَ بِمايكِلَ الأسْوَدِ وَنَعودَ بِالمَلِكِ !»

قالَ : « إذا حاوَلْتَ ...»

قاطَعْتُهُ قائلاً : « إذا حاوَلْتُ ! إنَّهُ بِمَقْدوري أنْ أتزَوَّجَ الأميرَةَ ، وَلَنْ يَكونَ في وُسْعِكَ أنْ تَمنَعَني . وَهَلْ تَعْتَقِدُ أنَّ ثَمَّ مَنْ سَيُصَدِّقُ حِكايَتَكَ لَوْ أنَّكَ قُلْتَ الحَقيقَةَ ؟»

قالَ بِهُدوءٍ : « إنَّني أعْرِفُ هَذا .»

« أ نَذْهَبُ إذاً إلى زِنْدا ؟»

وَأمْسَكَ بِيَدي قائِلاً: « وَأَيْمُ اللهِ إنَّكَ لأرْوَعُ آلِ إلْفبِرْغ جميعاً! وَلَكِنّي خادِمُ المَلِكِ. لِيَحْفَظِ اللهُ المَلِكَ ! هيّا ، سَنَذْهَبُ إلى زِنْدا .»

وَ وَضَعْنا الخُطَطَ بِسُرْعَةٍ، وَأصْدَرْتُ أوامِري لِلْمارشال شْتراكِنْتس بما يَفْعَلُهُ إذا قُتِلَ المَلِكُ ، وَقَدْ ظَنَّ أنَّني أقْصِدُ نَفْسي بِالطَّبْعِ ، فَاضْطَرَبَ لِكَلِماتي .

قالَ : « لِيَحْفَظِ اللهُ جَلالَتَكَ ! فَإنّي أعْتَقِدُ أنَّكَ سَتَقومُ بِرِحْلَةٍ خَطِرَةٍ .»

أجَبْتُهُ : « آمُلُ ألا يَكونَ الهَدَفُ حَياةً أثْمَنَ مِنْ حَياتي .»

وَشَقَّ عَلَيَّ أنْ أفْضِيَ إلى فلافْيا بِنَبأ عَزْمِي الرَّحيلَ . وَقَبْلَ أنْ أذْهَبَ لِلِقائِها ، كانَتْ قَدْ عَلِمَتْ بِرِحْلَةِ الصَّيْدِ الّتي أشيعَ في كُلِّ مَكانٍ أنَّني سَأقومُ بِها .

قالَتْ بِبَعْضِ الفُتورِ : « يُؤْسِفُني أنَّنا لَمْ نَسْتَطِعْ هُنا في سْتْرِلْساو أنْ نُرَفِّهَ عَنْ جَلالَتِكُمْ . وَكانَ عَلَيَّ أنْ أبْدِيَ لَكُمْ تَرْحيباً أكْثَرَ ، وَلَكِنْ كانَ مِنَ الغَباءِ أنْ أعْتَقِدَ مُنْذُ بِضْعَةِ أيّامٍ ... بَعْدَ اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ ...»

« ماذا ؟»

« أنَّكَ قَدْ تَكونُ سَعيداً دونَ مَظاهِرِ البَهْجَةِ . لَقَدْ قيلَ لي إنَّكَ سَتَخْرُجُ في رِحْلَةٍ لِصَيْدِ الثَّعالِبِ ، وَآمُلُ أنْ تَجِدَها مُمْتِعَةً .»

وَرَأيْتُ دَمْعَةً تَنْحَدِرُ عَلى وَجْنَتِها ، فَحَنِقْتُ عَلى نَفْسي ، وَقُلْتُ لَها : « أ يَخْطِرُ لَكِ ، يا عَزيزَتي ، أنْ أتْرُكَكِ لأخْرُجَ في رِحْلَةِ صَيْدٍ ؟»

« ماذا إذاً ؟»

« إنَّها مُهِمَّةُ صَيْدٍ ، وَلَكِنَّ مايكل هُوَ الثَّعْلَبُ .»

وَشَحَبَ وَجْهُها ، وَقالَتْ : « مَتى سَتَعودُ ، يا رُودُلْف ؟»

أجَبْتُ وَأنا أتألَّمُ : « لا أعْرِفُ مَتى سَأعودُ .»

« عَجِّلْ بِالعَوْدَةِ ، يا رُودُلْف . عَجِّلْ بِالعَوْدَةِ .»

« نَعَمْ ، وَأقْسِمُ بِاللهِ ، سَأعودُ ثانِيَةً لأراكِ قَبْلَ أنْ أموتَ .»

« ماذا تعني ؟»

ولكنني لم أستطع عندئذٍ أن أقول لها الحقيقة ؛ فقد فات الأوان .

قلتُ : « أ ثمّ رجلٌ لا يعود إلى أجمل سيدة في الدنيا كلها ؟ لن يمنعني عنكِ ألف مايكل !»

وطمأنها قولي هذا بعض الشيء ، فسألتني : « لن تدع أحداً يمنعك عني ؟»

« لن يمنعني عنكِ أحد ، يا حبيبتي .»

غير أنّه ثمّ شخصٌ – ليس مايكل – إذا كان حيا لمنعني عنها ، ومن أجل حياته سأبتعد عنها لأغامر بحياتي – إنّه الملك .

ولم أستطع أن أحتمل أكثر من هذا ، فأسرعتُ بالخروج إلى الشارع ، وامتطيتُ جوادي وعدوتُ به بأقصى سرعة ، عائداً إلى القصر .

وفي اليوم التالي ركبتُ القطار مع سابت وفريتز وعشرة رجال اختيروا بشكل خاص من أجل مهمتنا . وكانوا على دراية بقصة الهجوم على الكوخ الصيفي ، ومحاولة مايكل المستمرة للاستيلاء

على العرش . وأبلغوا أيضاً بأنّ صديقاً للملك سجين في قلعة زندا، وبأنّ أحد أهداف الرحلة إنقاذه . وكانوا في عنفوان شبابهم ، وعلى قدر عالٍ من التعليم ، وشجعاناً وموالين للملك ؛ لذا لم يسألوا أية أسئلة ، واكتفوا بإحساسهم بحاجة الملك إليهم ، فهبّوا مستعدين لفدائه بأرواحهم .

وكانت قلعة تارلنهايم مقصدنا ، ويملكها عمّ فريتز . وكانت مبنى حديثاً يبعد حوالى ثمانية كيلومترات عن زندا ، وتقع على الجانب المقابل لقلعة مايكل ، وفوق قمة تلّ تكتنفه الغابات التي تعجّ بالثعالب من كلّ الجوانب . وبالطبع كان السبب الحقيقي لاختيارنا لها أنّ قربها من قلعة مايكل يجعل ضربنا له متيسراً .

إنّ مايكل ذاته لم يصدّق قصة رحلة الثعالب ، فقد كان يعرف جيداً لماذا جئنا ، ومن الطبيعي أن يتخذ الخطوات ليمنعنا من تحقيق ما نرمي إليه . ولم تكن هذه هي الصعوبة الوحيدة ، ولكن الصعوبة هي أنّ كلّ تحركاتنا كانت ولا بدّ أن تكون علنية . وكانت هذه إحدى سمات سلوك الملوك التي تبيّنت أنّها شاقة جداً .

كان غرضنا أن نخرج الملك حياً من قلعة زندا . ولم يكن استخدام القوة مجدياً ؛ لذا كانت الحيلة هي فرصتنا الوحيدة .

وَفَكَّرْنا ، وَبَدا تَفْكيرُنا صائِبًا ، في أَنَّ مايكِل لَنْ يَقْتُلَ المَلِكَ ما لَمْ يَقْتُلْني أَوَّلاً . وَلَعَلَّهُ ظَنَّ أَنَّني لا أَقومُ بِدَوْرِ المَلِكِ لأَنالَ هَذا الشَّرَفَ ، وَإِنَّما لأُحَقِّقَ لِنَفْسي مَنْفَعَةً . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ رَجُلاً في مَكانَتي يَبْذُلُ كُلَّ وُسْعِهِ وَيَتَخَلّى عَمّا يُحَقِّقُهُ لِيَضَعَ رَجُلاً آخَرَ في مَكانِهِ . وكانَ يَرى أَنَّ هَدَفي مِنَ المَجيءِ إِلى زِنْدا قَتْلُ المَلِكِ ، وَبِذا أَفوزُ بِالعَرْشِ وَالأَميرَةِ . وَقَد شَجَّعَني هَذا ؛ لأَنَّهُ سَيُبْقي عَلى المَلِكِ حَيًّا إِلى أَطْوَلِ مَدًى يُمْكِنُهُ . وَكَمْ يَعْلَمُ اللهُ أَنَّني في حاجَةٍ إِلى بَعْضِ الرّاحَةِ .

وَهَكَذا انْتَهَتِ الرِّحْلَةُ . وَمَرَّةً أُخْرى وَجَدْتُ نَفْسي في زِنْدا .

الفصل الثامن

نَصْبُ شَرَكٍ

لا شَكَّ أَنَّ مايكِل عَرَفَ بِمَجيئي إِلى زِنْدا ؛ فَلَمْ تَمْضِ ساعَةٌ عَلى وُصولي إِلى قَلْعَةِ تارْلِنْهايم حَتّى أَرْسَلَ ثَلاثَةً مِنْ رِجالِهِ لِلتَّرْحيبِ بي .

وَبَلَغَ إِجْلالُهُ لي حَدًّا جَعَلَهُ لا يُرْسِلُ لِيَ الرِّجالَ الَّذينَ حاوَلوا قَتْلي ، بَلْ أَرْسَلَ الثَّلاثَةَ الآخَرينَ مِنْ رِجالِهِ السِّتَّةِ المَشْهورينَ ؛ أي السّادَةَ الرّوريتانِيّينَ الثَّلاثَةَ : لاونْغرام وَكرافشتاين وَرُوبِرْت هِنْتساو . وَهُمْ مَجْموعَةٌ تَتَّسِمُ بِحُسْنِ المَظْهَرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَهُمُ الشّابُّ رُوبِرت ، الَّذي لَمْ يَتَجاوَزِ الثّالِثَةَ وَالعِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَأَلْقى عَلَيَّ حَديثًا مُهَذَّبًا قالَ فيهِ إِنَّ أَخي العَزيزَ يَأْسَفُ لِعَدَمِ اسْتِطاعَتِهِ الحُضورَ بِنَفْسِهِ بِسَبَبِ مَرَضِهِ .

أَجَبْتُهُ : « يُؤْسِفُني أَنْ أَسْمَعَ هَذا النَّبَأَ ، وَأَرْجو أَلّا يَكونَ أَحَدٌ غَيْرُهُ

مَريضاً . وَقَدْ قيلَ لي إنَّ السَّيِّدَ ديتْشارْد أصيبَ في حادِثٍ ، فَهَلْ تَحَسَّنَتْ حالَتُهُ ؟»

وَضَحِكَ رويرت ، وَلَمْ يَضْحَكْ رَفيقاهُ ، وَقالَ : « إنَّهُ يَأمُلُ ، يا مَوْلايَ ، أنْ يَتَوَصَّلَ بِسُرْعَةٍ لِدَواءٍ لِحالَتِهِ .»

عِنْدَئِذٍ ضَحِكْتُ أنا أيْضاً ؛ فَقَدْ كُنْتُ أعْرِفُ اسْمَ دَواءِ ديتْشارْد – إنَّهُ الانْتِقامُ .

اِسْتَأْذَنوا في الانْصِرافِ ، وَاسْتَداروا لِيُغادِروا المَكانَ . وَأَلْقى رُويرت بِشَعْرِهِ الأسْوَدِ وَراءَهُ ، وَكَسَتْ وَجْهَهُ الجَذّابَ ابْتِسامَةٌ ، وَمَرَّ بِسابْت وَتَطَلَّعَ إلَيْهِ بِنَظَراتٍ مِلْؤها السُّخْرِيَةُ وَالاحْتِقارُ . وَنَظَرَ إلَيْهِ صَديقِيَ العَجوزُ بِتَجَهُّمٍ ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ في أنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلى مُسَدَّسِهِ وَكَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مُصادَفَةً .

وَبَدَلاً مِنْ أنْ أتَناوَلَ عَشائي في القَلْعَةِ ، خَرَجْتُ بِصُحْبَةِ فريتز إلى فُنْدُقٍ أعْرِفُهُ في البَلْدَةِ الصَّغيرَةِ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ خَطَرٌ ، لأنَّ اللَّيْلَةَ كانَتْ مُقْمِرَةً ، وَالطَّريقَ في ذَلِكَ الجانِبِ مِنَ البَلْدَةِ لَمْ يَكُنْ يَخْلو مِنَ المارَّةِ. وَسَتَرْتُ وَجْهي لأمْنَعَ الفُضوليِّينَ مِنْ أنْ يَعْرِفوا مَنْ أكونُ.

قُلْتُ وَنَحْنُ سائِرانِ بِجَوادَيْنا : « سَوْفَ تَسْتَأْجِرُ ، يا فريتز ، غُرْفَةً خاصَّةً لِسَيِّدَيْنِ مِنْ حاشِيَةِ المَلِكِ ، يُعاني أحَدُهُما مِنْ ألَمٍ حادٍّ في أسْنانِهِ . وَتَعْمَلُ في الفُنْدُقِ فَتاةٌ رائِعَةُ الجَمالِ ، وَعَلَيْكَ أنْ تَضْمَنَ أنْ تَقومَ بِخِدْمَتِنا عَلى العَشاءِ .»

« كَيْفَ ؟»

« إنَّني أتْرُكُ الأمْرَ لَكَ . وَعَلى أيَّةِ حالٍ إنْ لَمْ تَقُمْ عَلى خِدْمَتِكَ ، فَسَوْفَ تَقومُ عَلى خِدْمَتي .»

وَدَخَلْنا إلى الفُنْدُقِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَبينُ شَيْءٌ مِنْ وَجْهي إلا عَيْنايَ . وَتَسَلَّمَ فريتز الغُرْفَةَ ، وَخَرَجَ لِيَبْحَثَ عَنِ الفَتاةِ ، وَعادَ بَعْدَ دَقيقَةٍ قائِلاً : « إنَّها قادِمَةٌ .»

وَدَخَلَتِ الفَتاةُ الغُرْفَةَ ، وَأمْهَلْتُها دَقائِقَ لِتُعِدَّ الشّايَ ، وَمَلأَ فريتز فِنْجاناً وَقَدَّمَهُ لي .

سَأَلَتِ الفَتاةُ بِعَطْفٍ : « هَلْ يُعاني السَّيِّدُ مِنْ ألَمٍ حادٍّ ؟»

أجَبْتُ وَأنا أزيلُ الغِطاءَ عَنْ وَجْهي : « إنَّ حالَ السَّيِّدِ لَيْسَ أسْوَأ



مِمّا كانَ عِنْدَما رَآكِ آخِرَ مَرَّةٍ .»

وَنَدَّتْ عَنْها صَرْخَةٌ خافِتَةٌ ، وَصاحَتْ : « لَقَدْ كانَ المَلِكَ إذاً ! وَقَدْ أَخْبَرْتُ أُمّي بِذَلِكَ لَحْظَةَ أَنْ رَأَيْتُ صورَتَهُ . سامِحْني ، يا سَيِّدي !»

قُلْتُ : « لَمْ تَفْعَلي ما يُسيءُ كَثيراً .»

« وَلَكِنْ تِلْكَ الأَشْياءُ الَّتي قُلْناها !»

« أَتَغاضى عَنْها لَوْ أَرَدْتِ خِدْمَةَ المَلِكِ .»

« أَشْكُرُكَ ، يا سَيِّدي . عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ وَأُخْبِرَ أُمّي .»

قُلْتُ وَالجِدُّ بادٍ عَلَيَّ : « اِنْتَظِري . إِنَّنا لَمْ نَأْتِ إِلى هُنا اللَّيْلَةَ لِلتَّسْلِيَةِ . اِذْهَبي وَأَحْضِري العَشاءَ ، وَلا تُخْبِري أَحَداً أَنَّ المَلِكَ هُنا .»

عادَتْ بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدودَةٍ ، وَقَدْ بَدا عَلَيْها اهْتِمامٌ شَديدٌ .

سَأَلْتُها وَأَنا أَبْدَأُ في تَناوُلِ عَشائي : « كَيْفَ حالُ يوهان ؟»

« ذَلِكَ الشَّخْصُ ، يا سَيِّدي ، أَقْصِدُ يا صاحِبَ الجَلالَةِ ؟»

« « سَيِّدي » تَكْفي ، مِنْ فَضْلِكِ . كَيْفَ حالُهُ ؟»

قالَتْ : « إِنَّنا لا نَراهُ الآنَ كَثيراً ، يا سَيِّدي .»

« وَلِمَ لا ؟»

أَلْقَتْ بِرَأْسِها إِلى الوَراءِ قائِلَةً : « لَقَدْ قُلْتُ لَهُ ، يا سَيِّدي ، إِنَّهُ يَأْتي كَثيراً .»

« فَهِمْتُ ، وَلَكِنْ يُمْكِنُكِ أَنْ تَجْعَليهِ يَأْتي ثانِيَةً ، إِذا أَرَدْتِ ؟»

« رُبَّما أَسْتَطيعُ ، يا سَيِّدي ، وَلَكِنَّهُ مَشْغولٌ جِدًّا الآنَ في القَلْعَةِ .»

« وَلَكِنْ لَيْسَ هُناكَ الآنَ قَنْصٌ وَلا صَيْدٌ .»

« لا ، يا سَيِّدي ؛ وَلَكِنَّهُ مَسْئولٌ عَنِ المَنْزِلِ .»

قُلْتُ ضاحِكًا : « يوهان تَحَوَّلَ إلى سَيِّدَةِ مَنْزِلٍ ؟ »

« لَيس ثَمَّةَ سَيِّدَةٌ في المَنْزِلِ ، يا سَيِّدي – أَقْصِدُ خادِمَةً . إِنَّهُمْ يَقولونَ ، يا سَيِّدي ، وَقَدْ يَكونُ تَلْفيقًا ، إِنَّ هُناكَ سَيِّدَةً . »

« وَلَكِنَّ يوهان سَيَكونُ لَدَيْهِ الوَقْتُ لِلِقائِكِ إذا طَلَبْتِ مِنْهُ ذَلِكَ ؟ »

« إِنَّ الأَمْرَ يَتَوَقَّفُ ، يا سَيِّدي ، عَلى الزَّمانِ وَالمَكانِ . »

« أَلا تُحِبِّينَهُ ؟ »

« لَسْتُ أنا ، يا سَيِّدي . وَلَكِنَّني أُريدُ أَنْ أَخْدُمَ جلا ... المَلِكَ ، يا سَيِّدي . »

« سَليهِ إِذًا أَنْ يَلْقاكِ عِنْدَ عَلامَةِ الطَّريقِ الثّانِيَةِ خارِجَ زِنْدا ، في العاشِرَةِ مَساءَ الغَدِ . »

سَأَلَتْ بِقَلَقٍ : « إِنَّكَ لَنْ تَقْصِدَ بِهِ شَرًّا ، يا سَيِّدي ؟ »

« لَنْ أَقْصِدَ بِهِ شَرًّا لَوْ فَعَلَ ما أَطْلُبُهُ مِنْهُ . وَالآنَ اذْهَبي ، وَتَأَكَّدي أَنْ لا أَحَدَ يَعْلَمُ أَنَّ المَلِكَ كانَ هُنا . »

وَكُنْتُ أَتَكَلَّمُ مَعَها بِحِدَّةٍ ، وَلَكِنّي نَفَحْتُها بَعْضَ النُّقودِ .

وَفَرَغْنا مِنْ تَناوُلِ العَشاءِ ، وَرَكِبْنا جَوادَيْنا وَعُدْنا إلى القَلْعَةِ ثانِيَةً . سَأَلَني فريتز عِنْدَما خَرَجْنا مِنَ البَلْدَةِ : « هَلْ تُريدُ أَنْ توقِعَ بِذَلِكَ الشَّخْصِ المُسَمّى يوهان ؟ »

« نَعَم ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّرَكَ سَيوقِعُ بِهِ . »

وَعِنْدَما بَلَغْنا الدَّرْبَ المُؤَدِّيَ إلى قَلْعَةِ تارْلِنْهايم ، أَقْبَلَ سابْت مُنْدَفِعًا لِمُلاقاتِنا ، وَقالَ : « الحَمْدُ للهِ عَلى سَلامَتِكَ . هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ ؟ »

سَأَلْتُهُ وَأَنا أَتَرَجَّلُ : « مِمَّنْ ؟ »

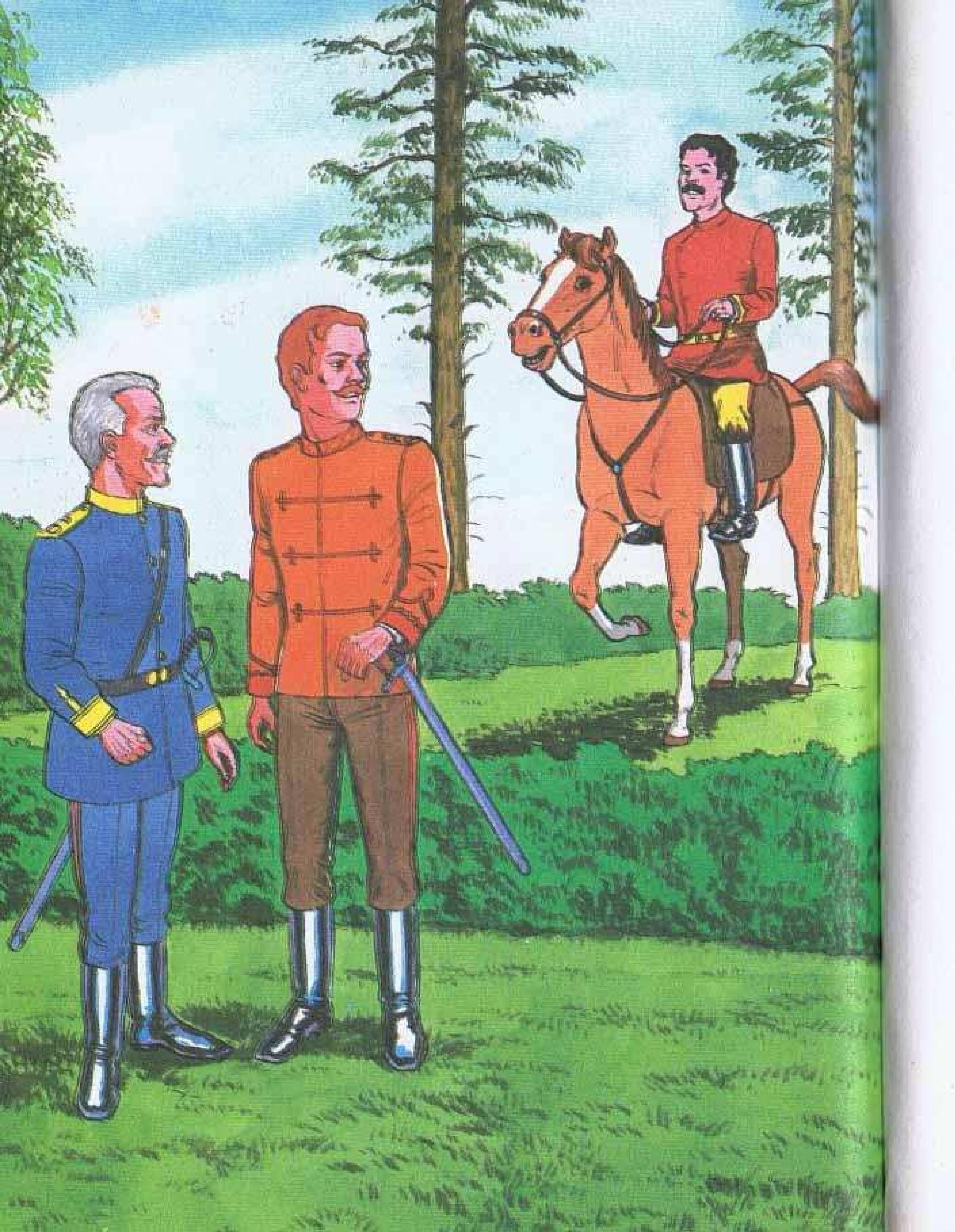
قالَ بِلَهْجَةٍ جادَّةٍ : « عَلَيْكَ ، يا فتى ، أَلا تَخْرُجَ بِجَوادِكَ إِلا بِصُحْبَتِكَ عَلى الأَقَلِّ سِتَّةُ رِجالٍ . أَ تَذْكُرُ شابًّا طَويلَ القامَةِ ، مِنْ بَيْنِ حُرّاسِكَ ، اسْمُهُ برنينشتاين ؟ »

وَتَذَكَّرْتُهُ ، وَهُوَ شابٌّ شُجاعٌ وَسيمٌ ، في طولي تَقْريبًا .

« إِنَّهُ يَرْقُدُ في غُرْفَتِهِ بِأَعْلى وَقَدِ اخْتَرَقَتْ ذِراعَهُ رَصاصَةٌ . »

« ماذا تَقولُ ؟ »

مَضى سابْت يَقولُ : « خَرَجَ ، بَعْدَ العَشاءِ ، يَتَرَيَّضُ في الغابَةِ



عَلى بُعْدِ كيلومتْرَيْنِ تَقْريباً ؛ وَقَدْ خُيِّلَ إلَيْهِ أنَّهُ رأى ثَلاثَةَ رِجالٍ بَيْنَ الأَشْجارِ ، وَقَدْ صَوَّبَ أحَدُهُمْ بُنْدُقِيَّةً نَحْوَهُ . وَلَمْ يَكُنْ مُسلَّحاً ؛ لِذا راحَ يَجْري عائِداً إلى القَلْعَةِ ، غَيْرَ أنَّ الرَّجُلَ أطْلَقَ عَلَيْهِ النّارَ فَأصابَهُ . وَمِنْ حُسْنِ حَظِّ برنينشتاين أنَّهُ وَصَلَ القَلْعَةَ قَبْلَ أنْ يُغْشى عَلَيْهِ . وَقَدْ خَشوا الاقْتِرابَ مِنَ القَلْعَةِ .»

وَصَمَتَ قَليلاً ثُمَّ أضافَ : « لَقَدْ كُنْتَ أنْتَ المَقْصودَ ، يا فَتى ، بِتِلْكَ الرَّصاصَةِ .»

أجَبْتُهُ : « مُحْتَمَلٌ جِدًّا . يَنْبَغي عَلَيَّ ، يا سابْت ، قَبْلَ أنْ أُغادِرَ رُوريتانيا ، أنْ أفْعَلَ شَيْئاً أرُدُّ بِهِ ما لَقيتُهُ عِنْدَكُمْ مِنْ حَفاوَةٍ وَلُطْفٍ !»

« ماذا تُريدُ أنْ تَفْعَلَ ؟»

« أُريدُ أنْ أقْتُلَ هَؤُلاءِ السِّتَّةَ كُلَّهُمْ ؛ وَعِنْدَئِذٍ سَتُصْبِحُ البِلادُ أنْقى وَأكْثَرَ نَظافَةً .»

* * *

في صَبيحَةِ اليَوْمِ التّالي ، كُنْتُ جالِساً في الحَديقَةِ أمامَ القَلْعَةِ ، وَكانَ شُعوري بِالرِّضا أشَدَّ مِنْهُ في أيِّ وَقْتٍ مَضى ؛ فَقَدْ كُنْتُ ، عَلى الأقَلِّ أفْعَلُ شَيْئاً ؛ والعَمَلُ ، رَغْمَ أنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يُعالِجَ الحُبَّ ، هُوَ مَعَ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ المُخَدِّرِ لَهُ . وَفَجْأةً أقْبَلَ مِنْ بَيْنِ الأشْجارِ الشّابُّ رُوبِرت هِنْتساو راكِباً جَوادَهُ كَما لَوْ كانَ في مُتَنَزَّهٍ

عامٌ ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لأيِّ خطَرٍ قَدْ يُمَثِّلُهُ رِجالي . وَطَلَبَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إلَيَّ مُنْفَرِدَيْنِ لِيُبْلِغَني بِرِسالَةٍ مِنْ دوقِ سْتِرِلْساو ، فَطَلَبْتُ مِنْ أَصْدِقائي أَنْ يَبْتَعِدوا قَليلاً .

قالَ : « راسِّنْدِل ، إنَّ الدُّوقَ ... »

وَنَهَضْتُ قائِلاً : « أَأَدْعو أَحَدَ رِجالي لِيُحْضِرَ لَكَ جَوادَكَ ، يا سَيِّدي ؟ »

« لِماذا تَسْتَمِرُّ في هَذا الادِّعاءِ ؟ »

« لأنَّ المَسْأَلَةَ لَمْ تَنْتَهِ بَعْدُ ؛ وَفي الوَقْتِ ذاتِهِ سَأَخْتارُ أنا اسْمي . »

« لَكَ ما تُريدُ ، يا مَوْلايَ . وَلَكِنّي قُلْتُ هَذا بِدافِعِ حُبّي لَكَ ؛ فَأَنا ، كَما تَعْلَمُ ، مُعْجَبٌ بِكَ ، لأَنَّكَ تَكادُ تَكونُ مِثْلي . »

أَجَبْتُهُ : « شُكْرًا لَكَ ، غَيْرَ أَنَّني أَمينٌ ، وَأَرْعى العَهْدَ مَعَ الرِّجالِ ، والشَّرَفَ مَعَ النِّساءِ . قَدْ أَكونُ هَكَذا ، يا سَيِّدي . »

وَنَظَرَ إِلَيَّ غاضِبًا ، فَسَأَلْتُهُ : « ما هِيَ الرِّسالَةُ ؟ »

« إنَّ الدُّوقَ يَعْرِضُ عَلَيْكَ أَكْثَرَ مِمّا كُنْتُ أَعْرِضُهُ أنا ، وَهُوَ اجْتِيازُ الحُدودِ بِأَمانٍ مَعَ مِئَةِ أَلْفِ جُنَيْهٍ . »

« إنَّني أَرْفُضُ طَبْعًا . »

قالَ مُبْتَسِمًا : « قُلْتُ لِمايكِل إنَّكَ سَتَرْفُضُ . وَالحَقيقَةُ ، بَيْني وَبَيْنَكَ ، أَنَّ مايكِل لا يَفْهَمُ الرَّجُلَ المُهَذَّبَ النَّبيلَ . »

ضَحِكْتُ وَسَأَلْتُهُ : « وَهَلْ تَفْهَمُني أَنْتَ ؟ »

أَجابَني : « إنَّني أَفْهَمُكَ ، فَأَنْتَ تُفَضِّلُ المَوْتَ ، وَسَتَحْظى بِهِ ! »

قُلْتُ بِأَدَبٍ : « يُؤْسِفُني أَنَّكَ لَنْ تَعيشَ لِتَرى ذَلِكَ . كَيْفَ حالُ سَجينِكُمْ ؟ »

« المـ ... »

« سَجينُكُمْ . »

« آهْ ، لَقَدْ نَسيتُ رَغَباتِكُمْ ، يا مَوْلايَ . إنَّهُ حَيٌّ . » وَنَهَضْتُ واقِفًا ، فَنَهَضَ مِثْلي قائِلاً بِتَهَكُّمٍ : « كَيْفَ حالُ الأَميرَةِ الحَسْناءِ؟ كَيْفَ حالُ الهَوى ؟ »

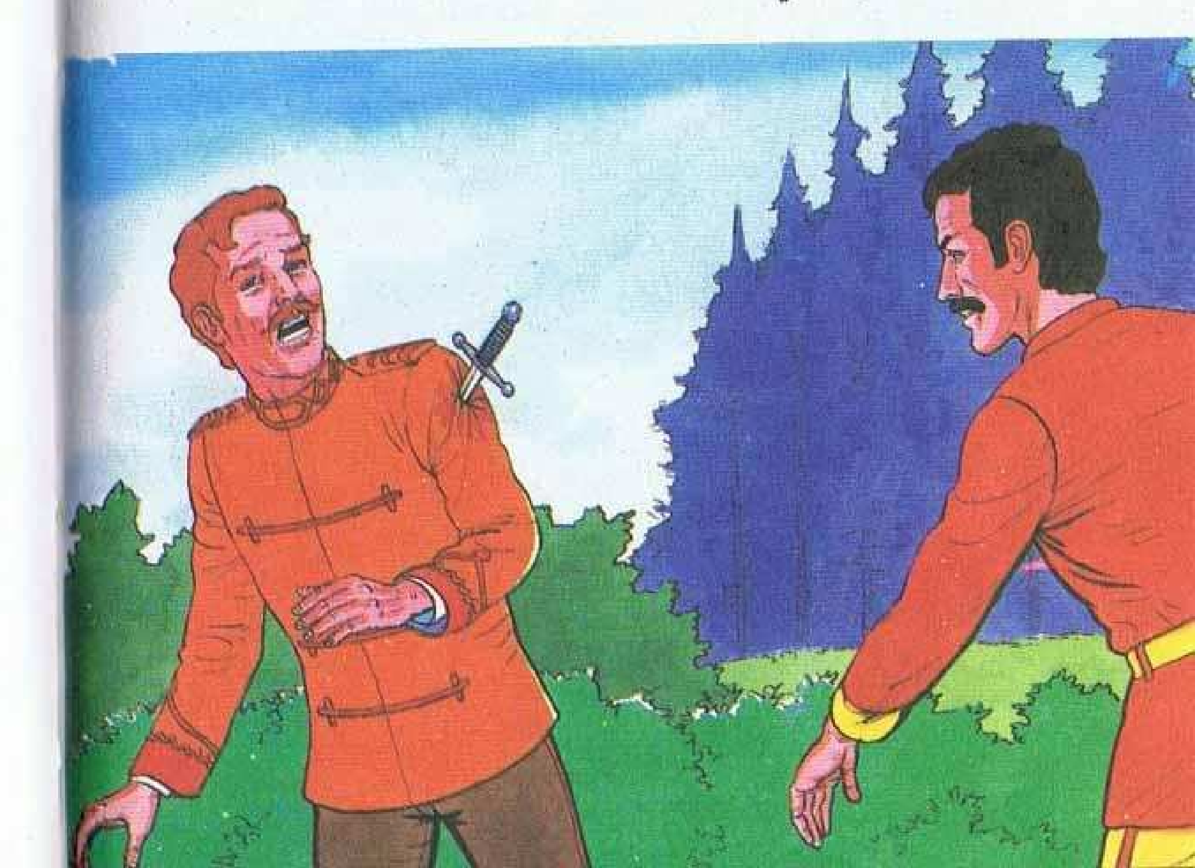
وَتَقَدَّمْتُ نَحْوَهُ خُطْوَةً ، وَقُلْتُ لَهُ وأنا أَزْمَجِرُ غاضِبًا : « اذْهَبْ ، وَأَفْلِتْ بِجِلْدِكَ ! »

وَأَعْقَبَ ذَلِكَ أَجْرَأُ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ في حَياتي ؛ فَقَدْ كانَ أَصْدِقائي عَلى مَبْعَدَةِ ثَلاثينَ مِتْرًا تَقْريبًا ، وَدَعا روبِرت خادِمًا لِيَأْتِيَ لَهُ بِجَوادِهِ ، وَعَلى حينِ كانَ يَهُمُّ بِامْتِطائِهِ ، الْتَفَتَ نَحْوي مادًّا يُمْناهُ

إليَّ ، وَأسْنَدَ يُسْراهُ على مِنْطَقَتِهِ ، وَقالَ : « لِنتصافحْ . »

وَانْحَنَيْتُ وَفَعَلْتُ كَما كانَ يَفْعَلُ – إذْ وَضَعْتُ يَدَيَّ وَراءَ ظَهْري . وَفي لَمْحِ البَصَرِ امْتَدَّتْ يُسراهُ نَحْوي ، وَ وَمَضَ في الهَواءِ خِنْجَرٌ صَغيرٌ أصابَني في كَتِفي اليُسْرى ، وَلَوْ لَمْ أتراجَعْ بِحَرَكَةٍ مُفاجِئَةٍ لأصابَني في قَلْبي . صَرَخْتُ وَأنا أتراجَعُ بِضْعَ خُطُواتٍ ، وَانْهَرْتُ في مَقْعَدي وَجُرْحي يَنْزِفُ بِغَزارَةٍ .

وَ وَثَبَ رُوبِرت فَوْقَ جَوادِهِ ، وَانْطَلَقَ بِهِ كالسَّهْمِ ، وَانْطَلَقَتْ وَراءَهُ صَرَخاتُ الرِّجالِ وَرَصاصُ المُسَدَّساتِ ، لكِنَّهُ لَمْ يُصَبْ ، وَسَقَطْتُ أنا مَغْشِيًّا عَلَيَّ .



أفَقْتُ في المَساءِ ، وَ وَجَدْتُ فريتز بِجانِبي . وَكُنْتُ أشْعُرُ بِالضَّعْفِ ، وَلَكِنَّني كُنْتُ مُبْتَهِجاً . وَزادَ ابْتِهاجي عِنْدَما أخْبَرَني أنَّ الجُرْحَ لَيْسَ خَطِراً ، وَأنَّني سَأبْرَأُ سَريعاً . وَأخْبَرَني بَعْدَ ذَلِكَ أنَّ يوهان سَقَطَ في الشَّرَكِ الَّذي نَصَبْناهُ ، وَأُلْقِيَ القَبْضُ عَلَيْهِ ، وَأنَّهُ مَوْجودٌ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ في القَلْعَةِ . وَأضافَ أيْضاً :

« الغَريبُ أنَّهُ لَيْسَ نادِماً عَلى وُجودِهِ هُنا . إنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ مايكل الأسْوَدَ ، عِنْدَما يُنَفِّذُ خُطَّتَهُ ، سَوْفَ يُحاوِلُ التَّخَلُّصَ مِنْ أعْوانِهِ بِاسْتِثْناءِ السِّتَّةِ . »

إنَّ هَذا يَدُلُّ عَلى أنَّ أسيرَنا لَيْسَ غَبِيا ، وَرَأيْتُ أنَّ مَعونَتَهُ لَنا سَتَكونُ ذاتَ قيمَةٍ ، إذا حَصَلْنا عَلَيْها . وَأصْدَرْتُ أوامِري إلى فريتز أنْ يَأتِيَ بِهِ إلَيَّ ، فَجاءَني بِهِ سابْت . وَبَدا عَلى يوهان الخَوْفُ ، وَأبى أنْ يَتَكَلَّمَ ، وَلَكِنْ بَعْدَ حَديثٍ طَويلٍ مَعَهُ ، ظَهَرَ لي مِنْ خِلالِهِ أنَّهُ رَجُلٌ ضَعيفٌ أكْثَرُ مِنْهُ شِرِّيرٌ ، وافَقَ عَلى أنْ يُخْبِرَنا بِما نَوَدُّ أنْ نَعْرِفَهُ . وَبِالطَّبْعِ بَذَلْنا لَهُ وُعوداً سَخِيَّةً نَفَّذْناها كُلَّها ، حَتّى إنَّهُ يَعيشُ الآنَ عيشَةً مُريحَةً . وَلَنْ أصَرِّحَ بِاسْمِ المَكانِ الَّذي يَعيشُ فيهِ. وَبَدا أيْضاً أنَّهُ فَعَلَ ما فَعَلَ بِدافِعِ الخَوْفِ مِنَ الدُّوقِ وَمِنْ أخيهِ ماكس ، وَلَيْسَ بِدافِعِ الرَّغْبَةِ في إيقاعِ الأذى بِالمَلِكِ . وَمَعَ ذَلِكَ ، كانَ سَيِّدُهُ يَثِقُ بِهِ ، وَكانَ يَعْلَمُ الكَثيرَ عَنْ خُطَطِهِم .

أخبَرنا أنَّ المَلِكَ سَجينٌ في غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ بِالقَلْعَةِ القَديمَةِ . وبجانِبِ هَذِهِ الغُرْفَةِ غُرْفَةٌ أخرى يَتَولّى الحِراسَةَ فيها بِصِفَةٍ دائِمَةٍ ثَلاثَةُ رِجالٍ مِنَ السِّتَّةِ . وَفي حالَةِ الهُجومِ عَلى هَذِهِ الغُرْفَةِ المُتَّصِلَةِ بِغُرْفَةِ المَلِكِ ، يَقومُ اثْنانِ بِالدِّفاعِ عَنْها ، عَلى حين يَقومُ الثّالِثُ ، سَواءٌ كانَ رُوبرت أوْ ديتْشارْد – لأنَّ أيّاً مِنْهُما يكونُ مَوْجوداً فيها دائِماً – بِقَتْلِ المَلِكِ ، وَهُوَ أعزَلُ وَمُكَبَّلٌ بِسِلْسِلَةٍ خَفيفَةٍ مِنَ الصُّلْبِ لِلْحَدِّ مِنْ حَرَكَتِهِ . وَبِذَلِكَ يَلْقى المَلِكُ مَصْرَعَهُ قَبْلَ الاسْتيلاءِ عَلى الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ .

سَألْتُ : « وَلَكِنْ ماذا سَيَفْعَلونَ بِجُثَّتِهِ ؟ » فَقَدْ كانَ ما يَشْغَلُ بالَ مايكل ، أكْثَرَ مِنْ أيِّ شَيْءٍ آخَرَ ، ألا يَرى أحَدٌ جُثَّةَ المَلِكِ .

أجابَني يوهان : « لَقَدْ أعَدَّ الدُّوقُ لِلأمْرِ عُدَّتَهُ ؛ فَقَدْ ثَبَّتَ في نافِذَةِ غُرْفَةِ المَلِكِ ، بِحَيْثُ تَمْنَعُ الضَّوْءَ ، فُوَّهَةَ ماسورَةٍ ضَخْمَةٍ تَسْمَحُ بِمُرورِ جُثَّةِ رَجُلٍ . وَتَمْتَدُّ تِلْكَ الماسورَةُ حَتّى الخَنْدَقِ . وَعِنْدَما يُقْتَلُ المَلِكُ يُقْذَفُ بِهِ إلى الماسورَةِ ، وَسَوْفَ تُرْبَطُ بِهِ أثْقالٌ لِيَغوصَ في الحالِ إلى القاعِ . وَعِنْدَئِذٍ يَهْرُبُ الحُرّاسُ – إذا اسْتَطاعوا – بِأنْ يَنْزَلِقوا في الماسورَةِ إلى الماءِ . هُمْ سَيَسْبَحونَ مُبْتَعِدينَ ، أمّا المَلِكُ فَسَيَرْقُدُ في القاعِ إلى الأبَدِ!»

وَلَمْ يَرْوِ لَنا يوهان القِصَّةَ هَكَذا بِإيجازٍ وَ وُضوحٍ ، وَلَكِنَّنا انْتَزَعْنا مِنْهُ المَعْلوماتِ بِتَوْجيهِ الأسْئِلَةِ لَهُ .

سَألْتُ : « نَفْتَرِضُ أنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ هُجومٌ مُسَلَّحٌ يَشُنُّهُ عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ الرِّجالِ ، وَإنَّما هُجومٌ يَشُنُّهُ جَيْشٌ بِأكْمَلِهِ لا يُمْكِنُ مُقاوَمَتُهُ ، فَما العَمَلُ ؟»

أجابَ يوهان : « لَنْ تَكونَ ثَمَّةَ مُقاوَمَةٌ ؛ إذ يُقْتَلُ المَلِكُ في الحالِ بِهُدوءٍ ، وَتُلْقى جُثَّتُهُ في الماسورَةِ ، وَيَحُلُّ واحِدٌ مِنَ السِّتَّةِ مَحَلَّهُ في السِّجْنِ ، مُدَّعِياً أنَّ مايكل حَبَسَهُ هُناكَ . وَسَوْفَ يُقِرُّ مايكل بِالحَقيقَةِ ، وَهِيَ أنَّ هَذا الشَّخْصَ أغْضَبَهُ ، وَسَيُطْلِقُ سَراحَهُ إذا اعْتَذَرَ .»

وَرُحْتُ أنا وَسابْت وَفريتز نَتَبادَلُ النَّظَراتِ مَصْدومينَ مِنْ فَرْطِ دَهْشَتِنا لِهَذِهِ الخُطَّةِ المُفْعَمَةِ بِالقَسْوَةِ وَالدَّهاءِ . وَسَواءٌ ذَهَبْتُ جَهْراً عَلى رَأسِ جَيْشٍ ، أوْ خُفْيَةً وَسْطَ قِلَّةٍ مِنَ الرِّجالِ ، فَإنَّ المَلِكَ سَيَلْقى حَتْفَهُ قَبْلَ أنْ أصِلَ إلَيْهِ .

سَألْتُهُ : « هَلْ يَعْلَمُ المَلِكُ بِذَلِكَ ؟»

« أجَلْ ، يا سَيِّدي ؛ فَعِنْدَما كُنْتُ أنا وَأخي نَضَعُ الماسورَةَ تَنْفيذاً

لأوامرِ الدُّوقِ ، سَأَلَ المَلِكُ رُوبِرت هِنْتساو عَنْها ، فَسَخِرَ مِنْهُ وَقالَ لَهُ إنَّهُ نَوْعٌ مِنْ سُلَّمِ يَعْقوبَ ؛ إذْ لَيْسَ مِنَ المُناسِبِ أنْ يَذْهَبَ المَلِكُ إلى السَّماءِ بِالطَّريقِ المَألوفِ . آهِ ، يا سَيِّدي ، لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أنْ يَنْعَمَ المَرْءُ بِنَوْمٍ هادِئٍ في قَلْعَةِ زِنْدا ، فَإنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنَ المَوْجودينَ هُناكَ يَذْبَحُ الآخَرَ مِثْلَما يَلْعَبُ دَوْراً مِنَ الوَرَقِ !»

قُلْتُ : « حَسَناً ، يا يوهان . إذا سَأَلَكَ أحَدٌ هَلْ ثَمَّ سَجينٌ في قَلْعَةِ زِنْدا ، فَيُمْكِنُكَ أنْ تُجيبَ بِنَعَمْ ، وَلَكِنْ إذا سَألوكَ مَنْ هُوَ ، فَلا تُجِبْ . سَوْفَ أقْتُلُكَ إذا كَشَفْتَ عَنْ حَقيقَةِ السَّجينِ !»

وَعِنْدَما انْصَرَفَ ، نَظَرْتُ إلى سابْت قائِلاً : « يَبْدو أنَّ ثَمَّةَ طَريقَيْنِ لإنْقاذِ المَلِكِ : إمَّا بِخِيانَةٍ بَيْنَ رِجالِ الدُّوقِ مايْكِل في القَلْعَةِ ، وَإمَّا بِمُعْجِزَةٍ !»

الفصل التاسع

سُلَّمُ يَعْقوبَ

كَمْ كانَ سَيُثيرُ دَهْشَةَ أهْلِ رُوريتانيا الطَّيِّبينَ لَوْ عَلِموا بِحَديثِنا . وَقَدْ أُذيعَ رَسْمِيًّا أنَّني أُصِبْتُ بِجُرْحٍ أثْناءَ رِحْلَةِ الصَّيْدِ . وَقَصَدْتُ أنْ توصَفَ إصابَتي بِأنَّها جِدُّ خَطيرَةٍ ، وَتَأثَّرَ الشَّعْبُ بِذَلِكَ . وَكانَ مَقْصِدي مِنْ هَذا أنْ أُقْنِعَ مايْكِل بِأنَّ إصابَتي خَطيرَةٌ فِعْلاً ، وَبِأنَّني لا أسْتَطيعُ أنْ أفْعَلَ شَيْئاً حِيالَهُ . وَعَلِمْتُ مِنْ يوهان أنَّهُ صَدَّقَ ما أذَعْتُهُ ، وَنَجَمَ عَنْ هَذا نَتيجَتانِ :

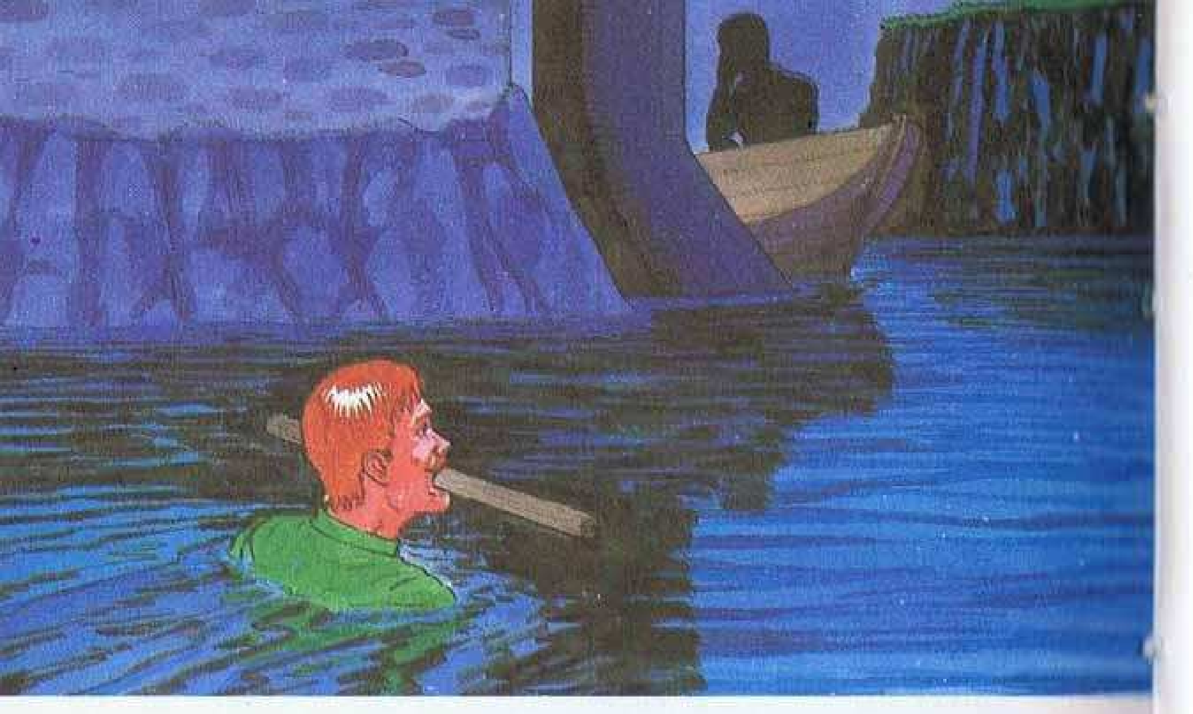
الأولى أنَّني أسَأْتُ إلى كِبارِ أطِبَّاءِ سْتْرِلْساو بِرَفْضي أنْ يَعودَني أيٌّ مِنْهُمْ ، وَسَمَحْتُ لِطَبيبٍ شابٍّ مِنْ أصْدِقاءِ فريتز بِأنْ يُعالِجَني . وَالثَّانِيَةُ أنَّني تَلَقَّيْتُ رِسالَةً مِنَ المارْشال شتراكنتس تُفيدُ بِأنَّ الأميرَةَ فلاڤيا لَمْ تَعُدْ تَمْتَثِلُ لأوامِرِهِ أوْ أوامِري بِالبَقاءِ في سْتْرِلْساو ، وَأنَّها بِسَبيلِها إلى زِنْدا في الحالِ .

إنَّ وُصولَ فلاڤيا ، وَبَهْجَتَها لِرُؤْيَتي سَليماً بَدَلاً مِنْ رُقادي أُصارِعُ

المَوْتَ ، يَرْسُمُ صورَةً لا تَزالُ تَتَراقَصُ أمامَ عَيْنَيَّ حَتَّى تَفيضا بِالدُّموعِ فَلا أعودَ أنْ أراها . والحَقيقَةُ أنَّ وُجودَها مَعي مَرَّةً أخرى يُشْبِهُ رِضا السَّماءِ عَنْ مُجْرِمٍ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ . وَقَدْ فَرِحْتُ أنَّهُ كانَ بِاسْتِطاعَتي قَضاءُ يَوْمَيْنِ كامِلَيْنِ في صُحْبَتِها .

وَقَرَّرْتُ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، أنا وَسابْت أنْ نُجازِفَ بِتَوْجيهِ ضَرْبَةٍ لِمايْكِل ؛ فَقَدْ أبْلَغَنا يوهان أنَّ المَلِكَ يَزْدادُ هُزالاً وَمَرَضاً مِنْ جَرّاءِ سَجْنِهِ . إنَّ الإنْسانَ ، مَلِكاً كانَ أوْ غَيْرَ مَلِكٍ ، يَموتُ سَريعاً بِرَصاصَةٍ أوْ طَعْنَةِ سِكّينٍ ، كَما يُمْكِنُ أنْ يَضيعَ عُمْرُهُ في السِّجْنِ . وَجَعَلَتْ هَذِهِ الفِكْرَةُ مِنَ العَمَلِ ضَرورَةً لِصالِحِ المَلِكِ ، وَكانَ ، مِنْ وُجْهَةِ نَظَري ، أكْثَرَ ضَرورَةً لي . وَمِنْ ناحِيَةٍ أخرى راحَ المارْشال يَحُثُّني عَلى اتِّخاذِ التَّرْتيباتِ لِزَواجي . وَيُمْكِنُ تَخَيُّلُ كَمْ أثَّرَ هَذا فِيَّ ، لأنَّهُ كُلَّما طالَ بَقائي بِجِوارِ الأميرَةِ ، ازْدَدْتُ حُبّاً لَها ، وَأنا في الواقِعِ لا أسْتَحِقُّها .

وَأخْبَرَني سابْت ، بَعْدَ ذَلِكَ بِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، أنَّ سُلوكي في ذَلِكَ الوَقْتِ كانَ أشْبَهَ بِسُلوكِ مُسْتَبِدٍّ ، فَلَمْ أكُنْ أسْمَحُ بِأيِّ تَدَخُّلٍ ، وَلَمْ أصْغِ إلى أيَّةِ نَصيحَةٍ تُعارِضُ العَمَلَ ضِدَّ مايْكِل . وَلَمْ أسْتَطِعْ أنْ أرى شَيْئاً يَجْعَلُ الحَياةَ حُلْوَةً في عَيْنَيَّ ؛ لِذا حَمَلْتُ حَياتي عَلى كَفّي بِلا اكْتِراثٍ ، كَما يَحْمِلُ الرَّجُلُ عَصاً عَتيقَةً .



وَفي اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ لاتِّخاذِنا القَرارَ ، رَحَلْنا أنا وَسابْت وَفريتز سِرّاً وَمَعَنا سِتَّةُ رِجالٍ ، عَلى الجِيادِ إلى قَلْعَةِ زِنْدا . وَكانَ سابْت يَحْمِلُ حَبْلاً ، وَأنا أحْمِلُ عَصاً قَصيرَةً ثَقيلَةً وَسِكّيناً . وَدُرْنا حَوْلَ البَلْدَةِ ، وَسِرْنا بِحَذَرٍ حَتَّى أصْبَحْنا عَلى مَبْعَدَةِ نِصْفِ كيلومِتْرٍ مِنَ القَلْعَةِ القَديمَةِ . وَكانَتْ لَيْلَةً مُظْلِمَةً عاصِفَةً تُناسِبُ تَماماً الخُطَّةَ الَّتي رَسَمْتُها في ذِهْني .

وَاخْتَبَأَ الرِّجالُ السِّتَّةُ وَجِيادُهُمْ وَراءَ بَعْضِ الأشْجارِ . وَكانَ لَدى سابْت صَفّارَةٌ لِيَسْتَدْعِيَهُمْ بِها عِنْدَ الضَّرورَةِ . وَلَمْ نَلْقَ أحَداً ، فَقَدْ كانَ مايْكِل – بِلا شَكٍّ – يَظُنُّ أنَّني مَريضٌ وَطَريحُ الفِراشِ . وَبَلَغْنا نَحْنُ الثَّلاثَةُ حافَةَ الخَنْدَقِ ، فَرَبَطَ سابْت الحَبْلَ إلى شَجَرَةٍ ، وَخَلَعْتُ

حِذائي وَ وَضَعْتُ العَصا بَيْنَ أَسْناني وَالسِّكِّينَ في حِزامي ، وَهَبَطْتُ إلى الماءِ بَعْدَ أَنْ قُلْتُ لَهُما : « مَعَ السَّلامَةِ ! » لَقَدْ كُنْتُ ذاهِباً لأرى سُلَّمَ يَعْقوبَ .

وَرُحْتُ أَسْبَحُ بِبُطْءٍ وَحِرْصٍ حَوْلَ جُدْرانِ القَلْعَةِ الهائِلَةِ المُعْتِمَةِ . وَكانَ ثَمَّةَ أَضْواءٌ في الجانِبِ الجَديدِ مِنَ القَلْعَةِ ، في النّاحِيَةِ الأُخْرى ، وَسَمِعْتُ ضَحِكاتٍ وَصَيْحاتٍ مَرِحَةً ؛ وَلا شَكَّ أَنَّ رُوبِرت هِنْتساو كانَ يَسْتَمْتِعُ بِالشَّرابِ .

وَبَدا أَمامي شَبَحٌ أَسْوَدُ ، وَلَمْ يَكُنْ سِوى الماسورَةِ . وَبَيْنَما كُنْتُ أَقْتَرِبُ مِنْها أَبْصَرْتُ جِسْماً آخَرَ جَعَلَ قَلْبي يَكادُ يَتَوَقَّفُ عَنِ النَّبْضِ – وَكانَ مُقَدِّمَةَ زَوْرَقٍ بَدَتْ مِنَ الجانِبِ الآخَرِ لِلْماسورَةِ . تُرى مَنِ الَّذي يَحْرُسُ اخْتِراعَ مايْكِل ؟ أَ مُسْتَيْقِظٌ هُوَ أَمْ نائِمٌ ؟

وَ وَجَدْتُ بِالقُرْبِ مِنْ جِدارِ القَلْعَةِ وَتَحْتَ الماءِ رَفًّا حَجَرِيًّا ضَيِّقًا، وَكانَ جُزْءًا مِنْ أَساسِ القَلْعَةِ . وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَقِفَ فَوْقَهُ وَرَأْسي وَكَتِفايَ خارِجَ الماءِ . وَزَحَفْتُ بِحِرْصٍ حَتّى بَلَغْتُ الماسورَةَ ، وَدُرْتُ حَوْلَها ، فَوَجَدْتُ مَسافَةً بَيْنَها وَبَيْنَ جِدارِ القَلْعَةِ .

كانَ في القارِبِ رَجُلٌ ، وَبِجِوارِهِ بُنْدُقِيَّةٌ . وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَرَّكُ ،

وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْمَعَ تَنَفُّسَهُ العَميقَ المُنْتَظِمَ – كانَ نائِماً .

وَ واصَلْتُ زَحْفي بَيْنَ الماسورَةِ وَالجِدارِ حَتّى أَصْبَحْتُ عَلى مَقْرُبَةِ نِصْفِ مِتْرٍ مِنْ وَجْهِهِ – لَمْ يَكُنْ سِوى ماكس هوف الضَّخْمِ الجُثَّةِ ، شَقيقِ بوهان . وَاسْتَلَلْتُ بِهُدوءٍ السِّكِّينَ مِنْ حِزامي ، وَاقْتَرَبْتُ مِنْهُ إلى أَقْصى ما اسْتَطَعْتُ ، وَتَهَيَّأْتُ لأَطْعَنَهُ .

لَمْ أَكُنْ أَتَخَيَّلُ أَنْ آتِيَ مِثْلَ هَذا العَمَلِ ، وَلَكِنّي قُلْتُ لِنَفْسي: « إِنَّها الحَرْبُ ، وَحَياةُ المَلِكِ في خَطَرٍ .» مِنْ ثَمَّ أَجْهَزْتُ عَلى الرَّجُلِ في القارِبِ .

وَالْتَفَتُّ إلى سُلَّمِ يَعْقوبَ (الماسورَة) ، وَلَمْ يَكُنْ أَمامي مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ ، فَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَأْتِيَ حارِسٌ آخَرُ لِيَحُلَّ مَحَلَّ ماكس . وَفَحَصْتُ الماسورَةَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ فَلَمْ أَجِدْ بِها صَدْعاً أَوْ ثُقْباً ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَحْتُ بَصيصاً مِنَ الضَّوْءِ عِنْدَ النّافِذَةِ حَيْثُ تُغَطّيها الماسورَةُ ، وَسَمِعْتُ أَصْواتاً ، فَقَدْ كانَ دِيتْشارْد يَتَحَدَّثُ إلى المَلِكِ .

« أَ تُريدُ شَيْئاً ، يا مَوْلايَ ، قَبْلَ أَنْ أَتْرُكَكَ ؟»

وَجاءَني صَوْتُ المَلِكِ ، كانَ خافِتاً ، وَلَمْ يَكُنْ مَرِحاً كَما

سَمِعْتُهُ أوَّلَ مَرَّةٍ في الغابَةِ ، ثُمَّ في البَيْتِ الصَّيْفِيِّ .

قالَ المَلِكُ : « اُطْلُبْ مِنْ أخي أنْ يَقْتُلَني ، فَأنا أموتُ هُنا بِالتَّدْريجِ . »

قالَ ديتْشارْد هازِئًا : « إنَّ الدُّوقَ ، يا مَوْلايَ ، لا يَرْغَبُ في مَوْتِكَ بَعْدُ . وَعِنْدَما يَرْغَبُ فَإنَّ هَذا هُوَ سَبيلُكَ إلى السَّماءِ ! »

وَتَلاشى الضَّوْءُ ، وَسَمِعْتُ صَوْتَ المِزْلاجِ يُدْفَعُ في البابِ . وَكانَ مِنَ الخَطَرِ أنْ أُحاوِلَ الحَديثَ إلى المَلِكِ ؛ فَقَدْ يُطْلِقُ صَيْحَةَ دَهْشَةٍ ؛ لِذا صَعِدْتُ إلى الزَّوْرَقِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ جُثَّةِ ماكس ، وَكانَتِ العاصِفَةُ شَديدَةً ، فاسْتَطَعْتُ أنْ أُجَدِّفَ بِسُرْعَةٍ .

وَبَلَغْتُ الشَّجَرَةَ ، وَسَمِعْتُ صَفيرًا يَأتي مِنْ وَرائي عَبْرَ الخَنْدَقِ ، وَصاحَ أحَدُهُمْ : « أهْلاً ، يا ماكس ! »

قُلْتُ : « أسْرِعْ ، يا سابْت . » وَعَقَدْتُ الحَبْلَ حَوْلَ جُثَّةِ ماكس ، وَنَزَلْتُ مِنَ الزَّوْرَقِ ، وَجَذَبْنا الجُثَّةَ .

قُلْتُ : « صَفِّرْ لِرِجالِنا . لا داعِيَ لِلْكَلامِ الآنَ . »

أطْلَقَ سابْت صَفَّارَتَهُ ، وَلَكِنْ في اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ أقْبَلَ عَلَيْنا مِنْ طَريقِ القَلْعَةِ ثَلاثَةُ فُرْسانٍ . وَأبْصَرْناهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبْصِرونا ، لأنَّنا كُنَّا واقِفينَ عَلى أرْجُلِنا . وَسَمِعْنا صِياحَ رِجالِنا وَهُمْ يُقْبِلونَ مِنَ الاتِّجاهِ المُقابِلِ .

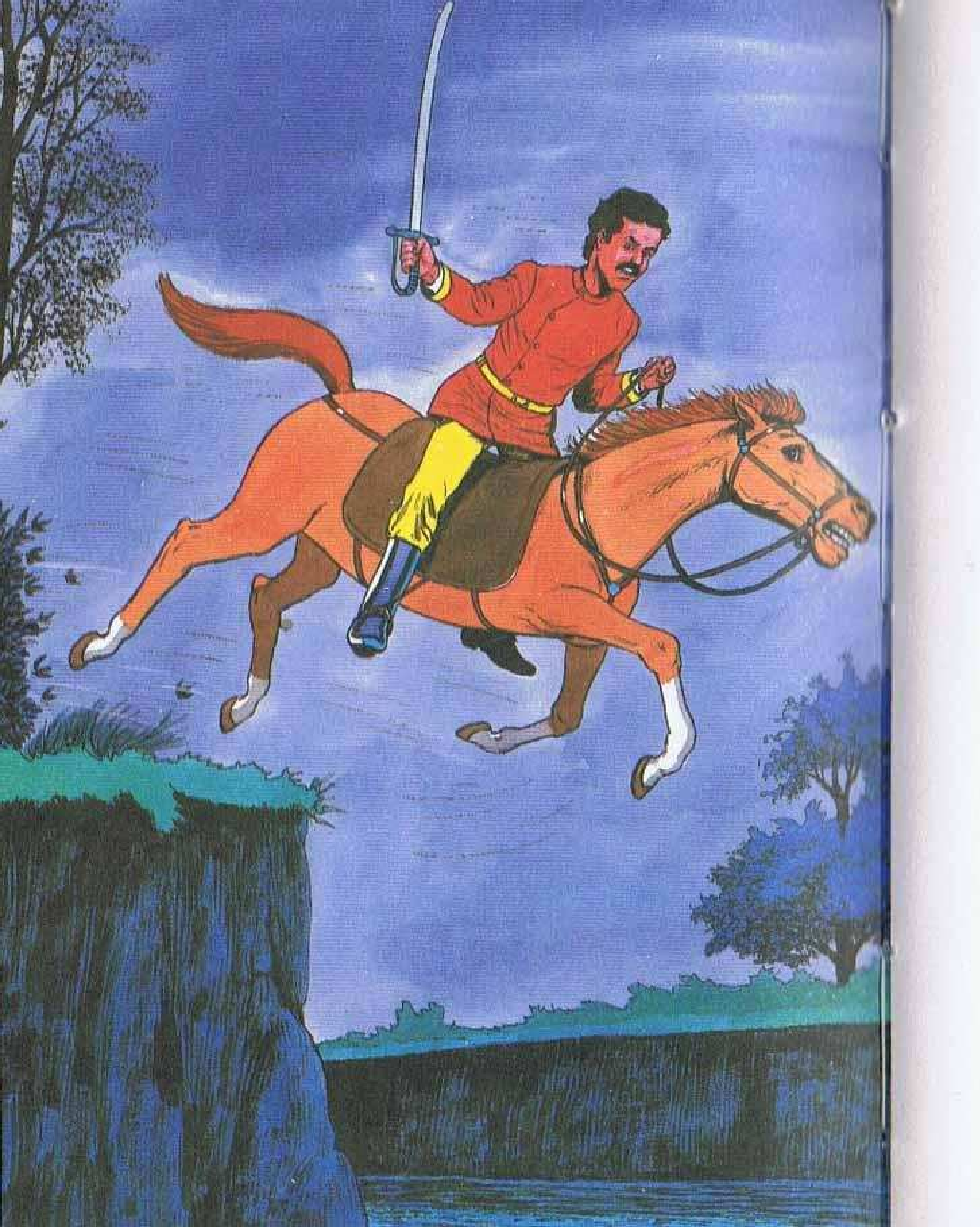
سَمِعْتُ أحَدَ الثَّلاثَةِ يَقولُ : « إنَّ الظَّلامَ دامِسٌ . »

وَعَرَفْتُ مِنَ الصَّوْتِ أنَّهُ رُوبِرت . وَفي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ دَوَّى صَوْتُ طَلَقاتٍ ، فَقَدْ لَقِيَهُمْ رِجالُنا ، فانْدَفَعْنا نَحْوَهُمْ لِنَشْتَرِكَ في القِتالِ . وَأدْرَكْنا مِنَ الصَّيْحاتِ وَصَرَخاتِ الألَمِ أنَّ واحِدًا عَلى الأقَلِّ أُصيبَ . وَفَجْأةً انْدَفَعَ نَحْوي جَوادٌ ، فَوَثَبْتُ عَلى رَأسِهِ ، وَعَرَفْتُ أنَّهُ رُوبِرت هِنْتساو .

صِحْتُ : « أخيرًا ! »

كانَ يَبْدو أنَّهُ وَقَعَ في أيْدينا ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوى سَيْفِهِ في يَدِهِ ، وَكانَ رِجالي وَراءَهُ ، وَكادَ سابْت وَفريتز يَقْتَرِبانِ مِنْهُ ، أمَّا أنا فَقَدْ سَبَقْتُهُما ، وَصِحْتُ ثانِيَةً : « أخيرًا ! »

صاحَ وَهُوَ يَهْوي بِسَيْفِهِ عَلى هِراوَتي فَيَشْطُرُها شَطْرَيْنِ : « إنَّهُ المُمَثِّلُ ! »



وَخُيِّلَ إليَّ أنَّهُ سَيَبْطِشُ بي ؛ لِذا قَفَزْتُ بعيداً عَنْ مُتناوَلِ ضَرَباتِهِ .
كانَ الشَّيْطانُ يَتَقَمَّصُ رُوبِرت ، فَقَدْ أخَذَ يَهْمِزُ جَوادَهُ ، وَانْدَفَعَ مُباشَرَةً نَحْوَ الخَنْدَقِ وَقَفَزَ فيهِ وَطَلَقاتُ رِجالِنا تَتَساقَطُ حَوْلَهُ . وَلَوْ كانَ ثَمَّ بَصيصٌ واحِدٌ مِنْ نورِ القَمَرِ لأصَبْناهُ ، وَلَكِنَّ الظَّلامَ كانَ دامِساً ، فَسَبَحَ بِجَوادِهِ حَتَّى طَرَفِ جِدارِ القَلْعَةِ ثُمَّ هَرَبَ .

سَأَلْتُ : « ما النَّتيجَةُ ؟»

أجابَني أحَدُ رِجالي : « قُتِلَ لُونْغرام وَكرافشتاين ، يا مَوْلايَ .»

قُلْتُ : « وَقُتِلَ ماكس أيضاً ؛ وَبِذلِكَ يُصْبِحُ عَدَدُ القَتْلى ثَلاثَةً .»

وَكانَ مُحالاً إخْفاءُ ما حَدَثَ ؛ لِذا أَلْقَيْنا بِالجُثَثِ في الخَنْدَقِ . وَاكْتَشَفْنا بَعْدَ ذَلِكَ أنَّ ثَلاثَةً مِنْ رِجالي قَدْ لَقُوا مَصْرَعَهُمْ ، فَحَمَلْنا جُثَثَهُمْ مَعَنا ، وَعُدْنا مُفْعَمينَ بِالحُزْنِ لِمَوْتِ أصْدِقائِنا ، وَقَلِقينَ عَلى المَلِكِ ، وَمُغْتاظينَ بِسَبَبِ تَفَوُّقِ رُوبِرت الصَّغيرِ عَلَيْنا هَذِهِ المَرَّةَ أيْضاً .

كانَ مِنَ المُحالِ أنْ يَبْقى سِرًّا خَبَرُ مَقْتَلِ هَذا العَدَدِ الكَبيرِ مِنَ الرِّجالِ ؛ لِذا أصْدَرْتُ أمْراً صارِماً بِمَنْعِ المُبارَزاتِ الخاصَّةِ بَيْنَ النَّاسِ في المُسْتَقْبَلِ . كَما أرْسَلْتُ اعْتِذاراً رَسْمِيا لِمايكل ، فَأَرْسَلَ لي بِدَوْرِهِ اعْتِذاراً مُماثِلاً ؛ فَقَدْ كانَتْ نُقْطَةُ الاتِّفاقِ بَيْنَنا أنَّ كِلَيْنا لا يَسْتَطيعُ أنْ يَكْشِفَ حَقيقَةَ الآخَرِ . وَمِنْ سوءِ حَظِّي ، كانَ الإبْقاءُ

عَلى الأَمْرِ سِرًّا يَعْني التَّأجيلَ ؛ فَقَدْ يَموتُ المَلِكُ في السِّجْنِ ، أوْ يُنْقَلُ إلى مَكانٍ آخَرَ .

وَكانَ لِضَرورَةِ إظْهارِي الوُدَّ عَلَنًا لِمايْكِل أثَرٌ في جَعْلِ مَدينَةِ زِنْدا مَكانًا يَلْتَقي فيه رِجالُ الطَّرَفَيْنِ نَهارًا آمِنينَ . وَلكِنَّ الأَمْرَ كانَ يَخْتَلِفُ لَيْلاً . وَذاتَ يَوْمٍ كُنْتُ سائِرًا بِجَوادي بِصُحْبَةِ فلاقْيا وَسابْت ، فَوَقَعَ ما بَعَثَ عَلى الضَّحِكِ وَالحَرَجِ في آنٍ واحِدٍ ؛ فَقَدْ هَبَطَ شَخْصٌ ، تَدُلُّ هَيْئَتُهُ عَلى سُمُوِّ مَنْزِلَتِهِ ، مِنْ عَرَبَةٍ ، وَتَقَدَّمَ نَحْوي ، وَعَرَفْتُ أنَّهُ رَئيسُ شُرْطَةِ سْتْرِلْساو .

قالَ : « إنَّنا نُولي بالِغَ اهْتِمامِنا بِأوامِرِ جَلالَتِكُمْ بِمَنْعِ المُبارَزاتِ . »

سَأَلْتُهُ ، وَقَدْ صَمَّمْتُ عَلى أنْ أُعيدَهُ عَلى الفَوْرِ إلى سْتْرِلْساو ، فَقَدْ يُثيرُ وُجودُهُ المَتاعِبَ : « هَلْ هذا ما أتى بِكَ إلى زِنْدا ؟ »

« لا ، يا مَوْلايَ . إنَّني هُنا اسْتِجابَةً لِطَلَبِ السَّفيرِ البِريطانِيِّ . »

سَأَلْتُهُ بِلا اكْتِراثٍ ، وَلكِنَّني كُنْتُ في دَخيلَتي قَلِقًا : « تُرى ماذا يُريدُ ؟ »

« إنَّ شابًّا مِنْ مُواطِنيهِ ، يا مَوْلايَ ، مِنْ ذَوي الجاهِ ، مَفْقودٌ . وَلَمْ يَسْمَعْ أصْدِقاؤُهُ عَنْهُ شَيْئًا مُنْذُ شَهْرَيْنِ ، وَثَمَّ سَبَبٌ يَدْعو إلى

الاعْتِقادِ بِأنَّهُ شوهِدَ آخِرَ مَرَّةٍ في زِنْدا . »

وَلَمْ تَكُنْ فلاقْيا توليهِ اهْتِمامًا ، وَلَمْ أجْرُؤْ عَلى النَّظَرِ إلى سابْت.

سَأَلْتُهُ : « ما السَّبَبُ ؟ »

« إنَّ أحَدَ أصْدِقائِهِ في باريس أبْلَغَنا بِاحْتِمالِ مَجيئِهِ إلى هُنا ، وَمُوَظَّفو السِّكَّةِ الحَديدِيَّةِ هُنا يَذْكُرونَ اسْمَهُ ، وَكانَ مَكْتوبًا عَلى أمْتِعَتِهِ . »

« ما اسْمُهُ ؟ »

« راسِّنْدِل ، يا مَوْلايَ . » وَنَظَرَ إلى فلاقْيا وَخَفَضَ صَوْتَهُ قائِلاً : « يُظَنُّ أنَّهُ تَبِعَ سَيِّدَةً إلى هُنا . تُرى هَلْ سَمِعْتُمْ جَلالَتُكُمْ عَنِ السَّيِّدَةِ دي موبان ؟ »

أجَبْتُ : « نَعَمْ . » وَاتَّجَهْتُ بِعَيْنَيَّ نَحْوَ القَلْعَةِ .

« لَقَدْ وَصَلَتْ رُوريتانْيا تَقْريبًا في الوَقْتِ نَفْسِهِ الَّذي وَصَلَ فيهِ راسِّنْدِل هذا . »

« ماذا تَقْصِدُ ؟ »

هَمَسَ قائِلاً : « إذا افْتَرَضْنا أنَّهُ يُحِبُّ السَّيِّدَةَ ، فَإنَّ أحَدًا لَمْ

يَسْمَعْ عَنْهُ شَيْئًا مُنْذُ شَهْرَيْنِ .» وَاتَّجَهَ هُوَ هَذِهِ المَرَّةَ بِعَيْنَيْهِ نَحْوَ القَلْعَةِ.

قُلْتُ بِهُدوءٍ : « أَجَلْ ، إِنَّ السَّيِّدَةَ هُناكَ ؛ وَلَكِنَّني لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذا السَّيِّدَ – راسَنْدِل ، هَلْ هَذا اسْمُهُ ؟ – هُناكَ أَيْضاً .»

« إِنَّ الدُّوقَ لا يُحِبُّ المُنافِسينَ ، يا مَوْلايَ .»

قُلْتُ : « إِنَّكَ تُلَمِّحُ إِلى اتِّهامٍ خَطيرٍ جِدًّا . يَحْسُنُ أَنْ تَعودَ رَأْساً إِلى سْتِرِلْساو ...»

« أَعودُ إِلى سْتِرِلْساو ؟ وَلَكِنْ هُنا ، يا مَوْلايَ ...»

قاطَعْتُهُ بِقَوْلي : « عُدْ إِلى سْتِرِلْساو ، وَأَبْلِغِ السَّفيرَ أَنَّ لَدَيْكَ مَعْلوماتٍ ، وَأَنَّكَ سَتُخْبِرُهُ بِنَتيجَةِ بَحْثِكَ في غُضونِ أُسْبوعٍ .»

« وَلَكِنَّ السَّفيرَ يُلِحُّ بِشِدَّةٍ ، يا مَوْلايَ .»

« عَلَيْكَ بِتَهْدِئَتِهِ ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ سَأَتَوَلَّى الأَمْرَ بِنَفْسي هُنا .»

وَ وَعَدَ بِالإِذْعانِ لأَمْري ، وَالرَّحيلِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . وَكانَ لا بُدَّ مِنْ وَقْفِ التَّحَرّي عَنّي أُسْبوعًا أَوْ أُسْبوعَيْنِ مَهْما كانَ الثَّمَنُ ، فَقَدِ اقْتَرَبَ هَذا المَسْئولُ الذَّكِيُّ مِنَ الحَقيقَةِ عَلى نَحْوٍ يُثيرُ الدَّهْشَةَ .

الفصل العاشر

خطة محفوفة بالمخاطر

بَيْنما كُنّا نَتَأَهَّبُ لامْتِطاءِ جِيادِنا لِنَعودَ إِلى تارْلِنْهايم ، رَأَيْنا مَوْكِبًا يَخْرُجُ مِنْ قَلْعَةِ زِنْدا . وَكانَ يَتَقَدَّمُهُ خادِمانِ يَلْبَسانِ الزِّيَّ الرَّسْمِيَّ وَيَرْكَبانِ جَوادَيْنِ ، وَمِنْ وَرائِهِما عَرَبَةٌ تَحْمِلُ نَعْشًا ، ثُمَّ رَجُلٌ مُتَّشِحٌ بِالسَّوادِ .

هَمَسَ سابْت قائِلاً : « إِنَّهُ رُوبِرت .»

وَقَدْ كانَ رُوبِرت . وَلَمّا رَآنا تَرَكَ المَوْكِبَ وَاتَّجَهَ نَحْوَنا ، وَانْحَنى بِاحْتِرامٍ .

سَأَلْتُهُ : « مَنِ المَيِّتُ ، يا سَيِّدي ؟»

أَجابَني بِحُزْنٍ : « إِنَّهُ صَديقي لونغرام .» وَارْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ ابْتِسامَةٌ خاطِفَةٌ لَمّا رَأى يَدَ سابْت تَسْتَقِرُّ في جَيْبِهِ ، فَقَدْ خَمَّنَ أَنَّ سابْت يُمْسِكُ بِمُسَدَّسِهِ ، وَكانَ تَخْمينُهُ صَحيحاً .

سَأَلْتُهُ فلاقْيا : « هَلْ ماتَ المِسْكينُ في مَعْرَكَةٍ ؟»

قُلْتُ : « لا أحَدَ ، يا سَيِّدي ، يَأْسَفُ لِلأَمْرِ قَدْرَ أسَفي .»

قالَ : « إنَّ كَلِماتِ جَلالَتِكُمْ تُريحُني ، وَأنا حَزينٌ مِنْ أجْلِ صَديقي ؛ غَيْرَ أنَّ آخَرينَ ، يا مَوْلايَ ، سَوْفَ يَرْقُدونَ عَمّا قَريبٍ كَما يَرْقُدُ الآنَ .»

قُلْتُ : « هٰذا صَحيحٌ ، وَعَلَيْنا جَميعاً أنْ نَذْكُرَهُ .»

قالَ رُوبِرت مُتَجاسِراً : « حَتَّى المُلوكُ ، يا مَوْلايَ .»

وَتَحَرَّكَ بِجَوادِهِ مُبْتَعِداً . وَخَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ مُفاجِئَةٌ ، فَمَضَيْتُ وَراءَهُ . وَالْتَفَتَ بِسُرْعَةٍ خَشْيَةَ أنْ أنْزِلَ بِهِ مَكْروهاً ، حَتَّى في حَضْرَةِ المَيِّتِ وَأمامَ عَيْنَيْ سَيِّدَةٍ .

قُلْتُ : « لَقَدْ قاتَلْتَ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ بِشَجاعَةٍ . إنَّكَ ، يا سَيِّدي ، صَغيرُ السِّنِّ ، وَإذا سَلَّمْتَني أسيرَكَ حَيًّا ، فَلَنْ يُصيبَكَ سوءٌ ، وَأُقْسِمُ لَكَ عَلى ذٰلِكَ .»

نَظَرَ إلَيَّ بِابْتِسامَةٍ ساخِرَةٍ ، وَقالَ : « اِسْتَمِعْ إلَيَّ ! لَقَدْ رَفَضْتَ مِنْ قَبْلُ عَرْضاً تَقَدَّمَ بِهِ مايْكِل ، فاسْمَعِ الآنَ عَرْضاً مِنّي .» وَخَفَضَ صَوْتَهُ وَمَضى يَقولُ : « هاجِمِ القَلْعَةَ بِجَسارَةٍ ، وَدَعِ القِيادَةَ لِسابْت وَتارْلِنْهايم .»

قُلْتُ : « أكْمِلْ كَلامَكَ .»

« حَدِّدِ الوَقْتَ مَعي .»

« إنَّ لي ثِقَةً بِكَ ، يا سَيِّدي .»

« صَهْ ! إنَّني أتَكَلَّمُ عَنِ العَمَلِ الآنَ . سَوْفَ يَسْقُطُ سابْت وَفريتْز ، وَسَوْفَ يَسْقُطُ مايْكِلُ الأسْوَدُ ...»

« يا لَلْعَجَبِ !»

« إنَّ مايْكِلَ الأسْوَدَ سَوْفَ يَسْقُطُ ، وَهُوَ كالكَلْبِ ، وَالأسيرَ – كَما تُسَمّيهِ – سَوْفَ يَنْزِلُ عَلى سُلَّمِ يَعْقوب ، وَأنْتَ تَعْرِفُهُ ! وَسَوْفَ يَبْقى رَجُلانِ فَقَطْ : أنا رُوبِرت هِنْتساو ، وَأنْتَ مَلِكُ رُورِيتانْيا .»

وَتَوَقَّفَ لَحْظَةً ، ثُمَّ مَضى يَقولُ بِصَوْتٍ يَرْتَعِشُ لَهْفَةً : « أ لَيْسَتْ هٰذِهِ خُطَّةً تَسْتَحِقُّ المُحاوَلَةَ ؟ لَكَ العَرْشُ وَالأميرَةُ ، وَلي مَرْكَزٌ مَرْموقٌ وَعِرْفانُ جَلالَتِكُمْ بِالجَميلِ .»

صِحْتُ قائِلاً : « أُؤَكِّدُ لَكَ أنَّ الشَّيْطانَ لَنْ يَحْتاجَ أسْتاذاً ما دُمْتَ حَيًّا !»

قالَ : « فَكِّرْ في الأمْرِ . إنَّ الشُّعورَ بِالشَّرَفِ لَنْ يَكْفِيَ لأرْفَعَ يَدي عَنْ تِلْكَ الفَتاةِ ...»

قُلْتُ : « اِبْتَعِدْ عَنْ طَرِيقِي .» غَيْرَ أَنِّي بَعْدَ لَحْظَةٍ رُحْتُ أَضْحَكُ مِنْ جُرْأَةِ هَذا الرَّجُلِ .

سَأَلْتُهُ : « هَلْ سَتَنْقَلِبُ عَلى سَيِّدِكَ ؟»

وَانْهالَ بِالسِّبابِ عَلى مايْكِل ، وَقالَ : « إِنَّهُ يَعْتَرِضُ طَرِيقِي ، كَما تَعْلَمُ . إِنَّهُ أَحْمَقُ غَيُورٌ ! وَكِدْتُ أَطْعَنُهُ بِسِكِّينِي لَيْلَةَ أَمْسِ . »

كانَتْ هَذِهِ مَعْلوماتٍ جَدِيدَةً عَلَيَّ ، لِذا سَأَلْتُهُ بِلا اكْتِراثٍ : « أَ يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِسَيِّدَةٍ ؟»

« نَعَمْ ، وَهِيَ سَيِّدَةٌ جَمِيلَةٌ ، كَما أَنَّكَ رَأَيْتَها .»

« أَ كانَ ذَلِكَ في حَفْلِ الشّايِ ، عِنْدَما جاءَ بَعْضُ أَصْدِقائِكَ عَلى جانِبِ المائِدَةِ الخَطَأِ ؟»

« ذَلِكَ الأَحْمَقُ ديتْشارْد ! لَيْتَنِي كُنْتُ هُناكَ !»

« هَلْ يَتَدَخَّلُ الدُّوقُ بَيْنَكُما ؟»

قالَ رُوبِرت ضاحِكاً : « أَنا الَّذِي أَتَدَخَّلُ ، وَمايْكِل لا يُحِبُّ ذَلِكَ . وَتِلْكَ المَخْلُوقَةُ الحَمْقاءُ تُفَضِّلُهُ . وَالآنَ ، فَكِّرْ فِيما عَرَضْتُهُ عَلَيْكَ .»

وَمَضى لِيَلْحَقَ بِمَوْكِبِهِ ، وَمَضَيْتُ أَنا عائِداً مَعَ فلاڤْيا ، يَتَمَلَّكُنِي

العَجَبُ مِنَ الشَّرِّ الكامِنِ في نُفُوسِ البَشَرِ . وَكانَ رُوبِرت شَرَّ مَنْ رَأَيْتُ .»

وَعِنْدَما بَلَغْنا قَلْعَةَ تارْلِنْهايم سَلَّمَنِي غُلامٌ قُصاصَةً مِنَ الوَرَقِ ، فَفَتَحْتُها وَقَرَأْتُ فِيها :

« لَقَدْ حَذَّرْتُكَ مَرَّةً . وَأَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ ، إِنْ كُنْتَ شَهْماً ، أَنْ تُنْقِذَنِي مِنْ مَعْقِلِ السَّفّاحِينَ هَذا ! – أ. دي م.»

وَناوَلْتُ سابْت القُصاصَةَ ، فَلَمْ يَزِدْ عَلى أَنْ سَأَلَ : « مَنِ الَّذِي أَرْسَلَها إِلى هُناكَ ؟»

وَأَشْفَقْتُ عَلَيْها ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ عاجِزاً عَنْ تَقْدِيمِ يَدِ المُساعَدَةِ لَها ، كَما كُنْتُ عاجِزاً عَنْ تَقْدِيمِ يَدِ المُساعَدَةِ لِلْمَلِكِ . وَسُرْعانَ ما ازْدادَتِ الأُمُورُ سُوءاً ، فَبِالإِضافَةِ إِلى الخَطَرِ الَّذِي يَتَهَدَّدُنِي مِنْ تَحَرِّياتِ رِجالِ الشُّرْطَةِ عَنِ اخْتِفائِي – نَشَأَ خَطَرٌ يَسْتَوْجِبُ اهْتِماماً أَكْبَرَ ؛ فَقَدْ كانَ النّاسُ في سْتِرِلْساو يَتَقَوَّلُونَ عَنْ تَغَيُّبِي عَنِ المَدِينَةِ . وَأَتانِي المارْشال شْتراكِنْتس وَالمُسْتَشارُ لِيَطْلُبا مِنِّي تَحْدِيدَ يَوْمٍ لِلاحْتِفالِ بِإِعْلانِ خِطْبَتِي لِلأَمِيرَةِ ، وَهُوَ في رُورِيتانْيا احْتِفالٌ مُلْزِمٌ مِثْلُ الاحْتِفالِ بِالزَّواجِ نَفْسِهِ .

كانَتْ فلاڤْيا تَجْلِسُ بِجانِبِي ؛ لِذا اضْطُرِرْتُ إِلى تَحْدِيدِ يَوْمٍ بَعْدَ

أسبوعَيْنِ ، مِمّا أشاعَ البَهْجَةَ في أنْحاءِ المَمْلَكَةِ . وكانَ ثَمَّ اثْنانِ ساءَهُما النَّبأُ ؛ وَهُما مايكِلِ الأسودُ وأنا . وكانَ ثَمَّ شَخْصٌ واحِدٌ لَمْ يَعْرِفْ بِهِ ، وَهُوَ المَلِكُ .

وعَرَفْنا مِنْ يوهان كَيْفَ تَلَقَّوُا النَّبأَ في قَلْعَةِ زِنْدا ، وَعَرَفْنا أيْضاً شَيْئاً أكْثَرَ خُطورَةً ، هُوَ أنَّ المَلِكَ مَريضٌ جِدًّا ؛ وكانَ في الحَقيقَةِ لا يَقْوى عَلى الحَرَكَةِ . وَجاءوا لَهُ بِطَبيبٍ أُصيبَ بِالذُّعْرِ لَمّا رأى حالَةَ المَلِكِ ، وَلكِنَّ الدّوقَ أبْقاهُ سَجيناً مَعَ المَلِكِ في غُرْفَتِهِ . وَكانَتْ أنطوانيت دي موبان تُساعِدُ أيْضاً في تَمْريضِ المَلِكِ ، لأنَّهُ كانَ واضِحاً تَماماً أنَّ حَياتَهُ في خَطَرٍ ، عَلى حينِ كُنْتُ أنا قَوِيًّا سَليماً طَليقاً .

سَألْتُ يوهان : « كَيْفَ يَحْرُسونَ المَلِكَ الآنَ ؟»

« يَتَوَلّى ديتْشارْد وَبيرسونين الحِراسَةَ لَيْلاً ، وَرُوبرت هِنْتساو ودي غوتيه نَهاراً ، يا سَيِّدي ؛ إلا أنَّ الدّوقَ لا يَسْمَحُ أبداً بِوُجودِ رُوبرت هِنْتساو عِنْدَما تكونُ السَّيِّدَةُ دي موبان مَعَ المَلِكِ ، يا سَيِّدي .»

وَالْتَمَسَ مِنّا يوهان أنْ نُبْقِيَهُ لِيُقيمَ مَعَنا في تارْلِنْهايم ، وَلكِنَّنا مَنَحْناهُ مَزيداً مِنَ النُّقودِ ، وَأقْنَعْناهُ بِأنْ يَعودَ وَيُخْبِرَ أنطوانيت أنَّنا نَبْذُلُ كُلَّ ما في وُسْعِنا ، وَأنَّ عَلَيْها ، إذا أمْكَنَها ، أنْ تُسِرَّ إلى المَلِكِ

بِكَلِمَةٍ تُطَمْئِنُهُ ؛ لأنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ ما هُوَ أشَدُّ ضَرَراً على المَريضِ مِنَ اليَأْسِ .

وَعَرَفْنا مِنْ يوهان – بِدِقَّةٍ – الأماكِنَ الَّتي يَنامون فيها داخِلَ القَلْعَةِ ؛ فاثْنانِ مِنَ السِّتَّةِ – وَهُمُ الآنَ أرْبَعَةٌ – وَهُما اللَّذانِ لا يَتَوَلَّيانِ حِراسَةَ المَلِكِ ، يَنامانِ في غُرْفَةٍ أعْلى غُرْفَتِهِ ، وَيَتِمُّ الوُصولُ إلَيْها عَنْ طَريقِ بِضْعِ دَرَجاتٍ مِنْ داخِلِ البابِ الرَّئيسيِّ . وَلِمايكِل نَفْسِهِ غُرْفَةٌ بِالطّابَقِ الأوَّلِ في القَلْعَةِ الجَديدَةِ ، وَلأنطوانيت دي موبان أيْضاً غُرْفَةٌ فيها ، وَقَدْ دَرَجَ مايْكِل عَلى أنْ يُغْلِقَها بَعْدَ أنْ تَدْخُلَها . وَقَدْ فَهِمْتُ سَبَبَ غَلْقِهِ الغُرْفَةَ بَعْدَ مُحادَثَتي مَعَ رُوبِرت . وَكانَ الجِسْرُ المُتَحَرِّكُ يُسْحَبُ لَيْلاً ، وَيَحْتَفِظُ مايْكِل وَحْدَهُ بِالمِفْتاحِ .

سَأَلْتُ يوهان : « وَأيْنَ تَنامُ أنْتَ ؟»

« في بَهْوِ القَلْعَةِ الجَديدَةِ ، يا سَيِّدي ، مَعَ الخَدَمِ الآخَرينَ .»

قُلْتُ : « أصْغِ إلَيَّ ! لَقَدْ وَعَدْتُكَ بِعِشْرينَ ألْفَ كراوِن ، وَلكِنّي سَأَمْنَحُكَ خَمْسينَ ألْفاً إذا فَعَلْتَ ما أطْلُبُهُ مِنْكَ مَساءَ الغَدِ . فَفي تَمامِ الثّانِيَةِ صَباحاً عَلَيْكَ بِفَتْحِ البابِ الأمامِيِّ ، وَتَعَلَّلْ بِأنَّكَ تُريدُ أنْ تَسْتَنْشِقَ بَعْضَ الهَواءِ النَّقِيِّ ، أوْ بِأيِّ شَيْءٍ تَراهُ ، وَلا تَتَأخَّرْ لَحْظَةً واحِدَةً .»

« هَلْ سَتَكونُ هُناكَ ، يا سَيِّدي ؟»

« لا تَسَلْ أَيَّةَ أَسْئِلَةٍ . هَذا كُلُّ ما أُريدُكَ أَنْ تَفْعَلَهُ .»

« هَلْ لي أَنْ أَهْرُبَ عِنْدَما أَفْتَحُ البابَ ؟»

« نَعَمْ ، وَبِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُكَ . ثَمَّ شَيْءٌ آخَرُ : اِحْمِلْ هَذِهِ الرِّسالَةَ إِلى السَّيِّدَةِ دي موبان ، وَأَبْلِغْها بِأَنَّ حَياتَنا جَميعاً تَتَوَقَّفُ عَلى دِقَّةِ تَنْفيذِها ما وَرَدَ بِالرِّسالَةِ .»

كانَ الرَّجُلُ يَرْتَجِفُ ، وَلَكِنْ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَعْتَمِدَ عَلى ما لَدَيْهِ مِنْ شَجاعَةٍ وَأَمانَةٍ . وَلَمْ تَكُنْ لَدَيَّ الجُرْأَةُ عَلى الانْتِظارِ ، فَكَما فَشِلْتُ عِنْدَ سُلَّمِ يَعْقوبَ ، كانَ عَلَيَّ أَنْ أُجَرِّبَ الجانِبَ الآخَرَ .

وَاسْتَدْعَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ سابْت وَفريتز ، وَشَرَحْتُ لَهُما خُطَّتي ، فَهَزَّ سابْت رَأْسَهُ مُتَسائِلاً : « لِمَ لا يُمْكِنُكَ التَّرَيُّثُ ؟»

« قَدْ يَموتُ المَلِكُ .»

« سَيَتَعَيَّنُ عَلى مايْكِلِ العَمَلُ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ ؛ فَهَلْ سَيَتْرُكُكَ مُتَرَبِّعاً عَلى العَرْشِ ؟»

« لَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ النُّقْطَةَ الوَحيدَةَ . وَلْنَفْتَرِضْ أَنَّ المَلِكَ عاشَ لِمُدَّةِ أُسْبوعَيْنِ آخَرَيْنِ ؟»

وَعَضَّ سابْت عَلى شارِبِهِ ، وَوَضَعَ فريتز يَدَهُ عَلى كَتِفي قائِلاً : « إِنَّكَ مُصيبٌ ، يا رودُلْف . دَعْنا نَذْهَبُ وَنَقومُ بِالمُحاوَلَةِ .»

قالَ سابْت : « سَأَذْهَبُ أَنا وَفريتز ، فَإِذا أَخْفَقْنا وَقَتَلَ مايْكِلُ المَلِكَ ، وَقَتَلَنا أَيْضاً ، سَتَبْقى أَنْتَ عَلى قَيْدِ الحَياةِ لِتَحْكُمَ .»

قُلْتُ : « لا ! لَقَدْ كُنْتُ مُخادِعاً لِمَصْلَحَةِ شَخْصٍ آخَرَ ، وَلَنْ أَكونَ مُخادِعاً لِنَفْعِي الشَّخْصِيِّ ؛ فَإِذا لَمْ يَكُنِ المَلِكُ حَيّاً يَوْمَ الخِطْبَةِ ، سَأُعْلِنُ الحَقيقَةَ عَلى المَلأِ مَهْما حَدَثَ .»

قالَ سابْت : « سَتَذْهَبُ ، يا فَتى .»

وَكانَتْ خُطَّتي كالآتي :

« تَتَسَلَّلُ مَجْموعَةٌ مِنَ الرِّجالِ الأَقْوِياءِ بِقِيادَةِ سابْت إِلى بابِ القَلْعَةِ الجَديدَةِ . فَإِذا اعْتَرَضَهُمْ أَحَدٌ قَتَلوهُ بِسُيوفِهِمْ ، إِنْ أَمْكَنَ ، تَجَنُّباً لإِحْداثِ ضَجَّةٍ . وَعِنْدَما يَفْتَحُ يوهان البابَ ، يَنْدَفِعونَ إِلى الدّاخِلِ وَيَأْسِرونَ الخَدَمَ . وَفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها – وَكانَتِ الخُطَّةُ كُلُّها تَعْتَمِدُ عَلَيْها – تُدَوّي صَرْخَةٌ عالِيَةٌ لامْرَأَةٍ مِنْ غُرْفَةِ أَنطوانيت دي موبان ، وَتَتَتابَعُ صَرَخاتُها : « النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ، يا مايْكِلُ ! إِنَّهُ روبِرت هِنْتساو ! » وَنَأْمُلُ عِنْدَئِذٍ أَنْ يَنْدَفِعَ مايْكِلُ خارِجاً مِنْ غُرْفَتِهِ المُجاوِرَةِ ، فَيَقَعَ في أَيْدي سابْت وَرِجالِهِ . وَتَسْتَمِرُّ

المَرْأةُ في إطْلاقِ صَرَخاتِها . وَبَعْدَ أنْ يَأخُذَ رِجالِي المِفْتاحَ مِنْ
مايْكِل يُنْزِلونَ الجِسْرَ المُتَحَرِّكَ . وَسَيَكونُ أمْرًا غَريبًا إنْ سَمِعَ رُوبِرت
اسْمَهُ يُنْطَقُ باطِلاً وَلَمْ يَنْزِلْ مِنْ غُرْفَتِهِ وَيَعْبُرِ الجِسْرَ لِيَرى ما يَحْدُثُ ،
وَقَدْ يَأتي مَعَهُ دي غوتيه وَقَدْ لا يَأتي ، وَعَلَيْنا أنْ نَدَعَ هَذا
لِلظُّروفِ .

وَما إنْ يُصْبِحْ رُوبِرت فَوْقَ الجِسْرِ حَتّى يَجيءَ دَوْري : كانَ عَلَيَّ
أنْ أسْبَحَ مَرَّةً أخْرى في الخَنْدَقِ ، وَأخْتَبِئَ تَحْتَ الجِسْرِ ، وَأقْضِيَ
عَلى رُوبرت في الظَّلامِ ، وَكَذَلِكَ دي غوتيه إذا جاءَ ؛ وَلَنْ يَتَبَقّى
بَعْدَ ذَلِكَ سِوى رَجُلَيْنِ . وَكانَ عَلَيْنا أنْ نَسْتَوْلِيَ عَلى مَفاتيحِ
الغُرَفِ ، وَنَنْدَفِعَ إلى الغُرْفَةِ الَّتي فيها ديتْشارْد وَبيرسونين ، وَالأرْجَحُ
أنَّهُما – إزاءَ هَذا الارْتِباكِ العامِّ – سَوْفَ يَعْنيهِما الدِّفاعُ عَنْ
نَفْسَيْهِما بَدَلاً مِنَ الإذْعانِ لِلأوامِرِ بِقَتْلِ المَلِكِ أوَّلاً . وَثَمَّةَ فُرْصَةٌ
أخْرى في أنْ يَظُنَّ ديتْشارْد أنَّ عِراكًا يَدورُ بَيْنَ مايْكِل وَرُوبِرت ،
فَيَتْرُكَ بيرسونين وَحْدَهُ لِحِراسَةِ المَلِكِ ، وَيُسْرِعَ بِعُبورِ الجِسْرِ لِمُساعَدَةِ
مايْكِل .

هَذِهِ هِيَ الخُطَّةُ الَّتي لَمْ يَدْفَعْنا إلَيْها سِوى اليَأسِ . وَلِكَيْ
أخْفِيَ اسْتِعْداداتِنا أصْدَرْتُ أمْري بِإضاءَةِ أنْوارِ قَلْعَةِ تارْلِنْهايم كُلِّها ،
وَكَأنَّنا نَرْقُصُ وَنَمْرَحُ ، وَأمَرْتُ المارْشال شْتراكِنْتس ، إنْ لَمْ نَعُدْ حَتّى

الصَّباحِ ، بِأنْ يَسيرَ عَلَنًا إلى قَلْعَةِ زِنْدا ، وَيَطْلُبَ مُقابَلَةَ المَلِكِ ،
فَإنْ لَمْ يَرَهُ ، فَعَلَيْهِ أنْ يَأخُذَ فلاڤيا مَعَهُ إلى سْتِرِلْساو في الحالِ ،
وَيُنَصِّبَها مَلِكَةً ، وَيُبَلِّغَ البِلادَ أنَّ مايْكِل الأسْوَدَ قَتَلَ المَلِكَ .

وَالحَقُّ أنَّ هَذا هُوَ ما كُنْتُ أعْتَقِدُهُ أقْرَبَ إلى الحُدوثِ ، فَقَدْ
أحْسَسْتُ أنْ لَيْسَ لَدى مايْكِل أوِ المَلِكِ أوْ لي سِوى يَوْمٍ واحِدٍ
نَعيشُهُ .

كانَ الوَقْتُ مُتَأخِّرًا حينَ انْتَهَيْنا مِنِ اتِّخاذِ التَّرْتيباتِ ، فَذَهَبْتُ
إلى فلاڤيا لِتَحِيَّتِها قَبْلَ أنْ تَنامَ . وَخَلَعْتُ مِنْ إصْبَعي خاتَمًا ، وَهُوَ
خاتَمُ الأسْرَةِ ، وَأعْطَيْتُها إيّاهُ قائِلاً :

« البَسي هَذا الخاتَمَ ، وَلَوْ لَبِسْتِ خاتَمًا غَيْرَهُ عِنْدَما تُصْبِحين
مَلِكَةً .»

قالَت: « مَهْما لَبِسْتُ غَيْرَهُ ، فَسَألْبَسُ هَذا الخاتَمَ حَتّى المَوْتِ .»
وَقَبَّلَتِ الخاتَمَ وَالدُّموعُ تَتَرَقْرَقُ في عَيْنَيْها وَعَيْنَيَّ .

الفصل الحادي عشر

رُوبِرت وَمايْكِل

كانَ اللَّيْلُ لطيفاً وَصَحْواً ، غَيْرَ أنّي وَدِدْتُ لَوْ كانَ الطَّقْسُ سَيِّئاً مِثْلَما كانَ في رِحْلَتي الأولى . وَمَعَ ذَلِكَ فَكَّرْتُ لَوْ أنَّني سِرْتُ لَصيقاً بِجِدارِ القَلْعَةِ القَديمَةِ ، فَلَنْ يَلْمَحَني أحَدٌ مِنْ نَوافِذِ المَبْنى الجَديدِ عَبْرَ الخَنْدَقِ .

وَفَكَّرْتُ أيْضاً في أنَّهُمْ قَدْ يُفَتِّشونَ الخَنْدَقَ المائِيَّ ، وَلَكِنّي طَرَحْتُ هَذِهِ الفِكْرَةَ بَعيداً ؛ فَقَدْ أخْبَرَني يوهان أنَّهُمْ قَدْ قاموا بِتَقْوِيَةِ سُلَّمِ يَعْقوبَ ، وَلَنْ يُمْكِنَ تَحْريكُهُ .

وَحَتّى إذا كانَ يوهان غَيْرَ صادِقٍ مَعَنا ، فَإنَّهُ لا يَعْلَمُ بِخُطَّتي ، وَلا يَتَوَقَّعُ سِوى أنْ يَراني مَعَ أصْدِقائي عِنْدَ البابِ الأمامِيِّ حينَ يَفْتَحُهُ في السّاعَةِ الثّانِيَةِ .

وَتَحَرَّكَتْ مَجْموعَةٌ سابَتْ إلى قَلْعَةِ زِنْدا مُتَّخِذَةً دُروباً غَيْرَ مَطْروقَةٍ وَمَسالِكَ في الغابَةِ . فَإنْ سارَتِ الأمورُ عَلى ما يُرامُ ، فَإنَّهُمْ يَبْلُغونَ البابَ الأمامِيَّ في السّاعَةِ الثّانِيَةِ إلا رُبْعاً . وَإذا لَمْ يُفْتَحِ البابُ ، فَعَلى فريتز أنْ يَدورَ حَوْلَ الجانِبِ الآخَرِ مِنَ القَلْعَةِ وَيُقابِلَني هُناكَ ، إذا كُنْتُ لا أزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ .

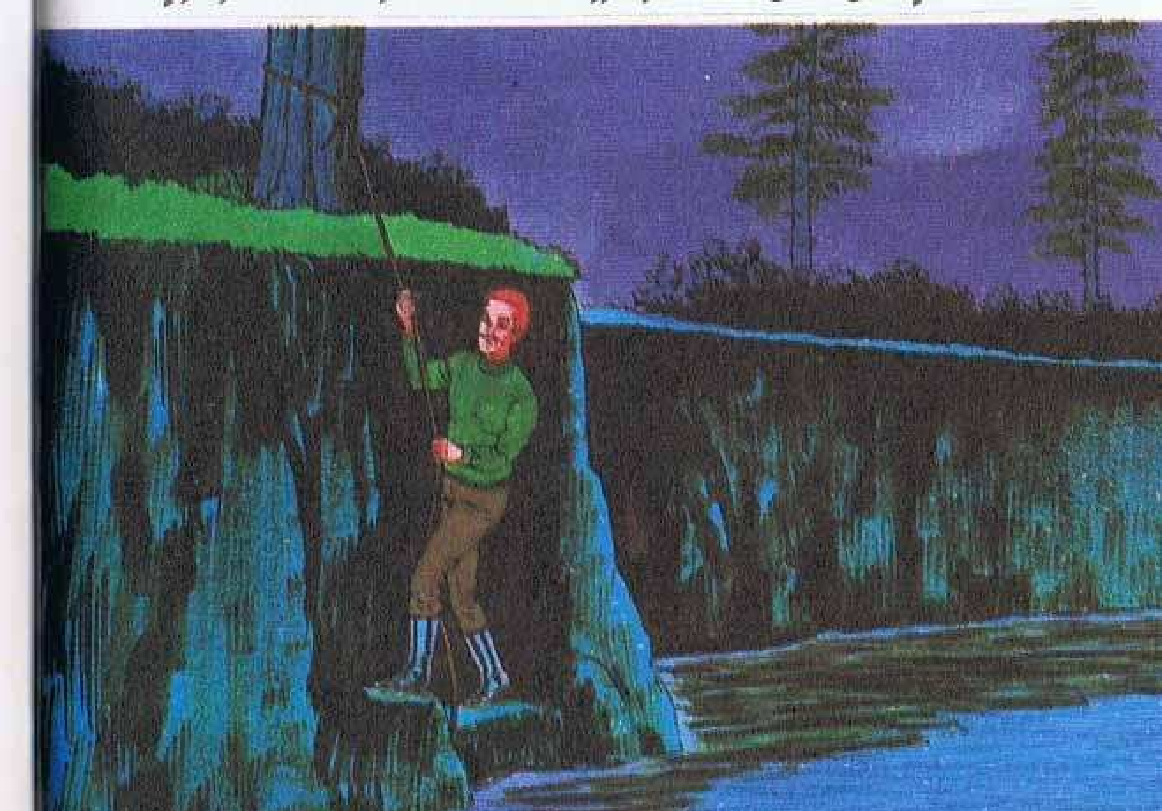
أمّا إذا لَمْ يَجِدْني ، فَعَلَيْهِمْ أنْ يَعودوا إلى تارْلَنْهايم ، وَيَجْمَعوا قُوَّةً ضَخْمَةً مِنَ الرِّجالِ ، وَيُهاجِموا القَلْعَةَ ؛ لأنّي إنْ لَمْ أكُنْ هُناكَ لِمُقابَلَةِ فريتز ، أكُنْ قَدْ مِتُّ ، وَهَذا يَعْني أنَّ المَلِكَ أيْضاً يَكونُ قَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ بَعْدي بِثَوانٍ مَعْدودَةٍ .

وَسِرْتُ أنا مُرْتَدِياً مَلابِسَ ثَقيلَةً ، حَتّى أتَّقِيَ الشُّعورَ بِالبَرْدِ في الخَنْدَقِ فَلا أعْجِزَ عَنِ القِيامِ بِدَوْري خَيْرَ قِيامٍ . وَأخَذْتُ مَعي حَبْلاً خَفيفاً وَسُلَّماً صَغيراً مِنَ الحَريرِ لِيُساعِدَني في الخُروجِ مِنَ الخَنْدَقِ المائِيِّ .

وَسَلَكْتُ طَريقاً أقْصَرَ مِنَ الَّذي سَلَكَهُ الآخَرونَ ، فَوَصَلْتُ في حَوالَى الثّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ ، فَتَرَجَّلْتُ عَنْ جَوادي وَرَبَطْتُهُ إلى شَجَرَةٍ بَعيدَةٍ عَنِ الأنْظارِ ، ثُمَّ نَزَلْتُ إلى الخَنْدَقِ .

رَبَطْتُ الحَبْلَ إلى جِذْعِ شَجَرَةٍ ، وَهَبَطْتُ إلى الماءِ . وَلَمّا بَدَأْتُ أَسْبَحُ إلى الأمامِ بِبُطْءٍ ، سَمِعْتُ ساعَةَ القَلْعَةِ تَدُقُّ الواحِدَةَ إلا رُبْعاً . وَبَعْدَ دَقائِقَ مَعْدودَةٍ بَلَغْتُ سُلَّمَ يَعْقوبَ ، فَوَقَفْتُ أَنْتَظِرُ في ظِلِّهِ . وَعَلى مَبْعَدَةِ تِسْعَةِ أَمْتارٍ رَأَيْتُ الجِسْرَ المُتَحَرِّكَ ، وَكانَ لا يَزالُ في مَكانِهِ . وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَرى عَلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الخَنْدَقِ المائِيِّ نافِذَتَيْ غُرْفَتَيِ الدُّوقِ وَالسَّيِّدَةِ دي موبان ، إذا صَحَّ شَرْحُ يوهان .

وَفَجْأَةً أُضيئَتْ نافِذَةُ الدُّوقِ ، وَكانَتْ مَفْتوحَةً ، وَرَأَيْتُ أنطوانيت تُطِلُّ مِنْها . وَأَرَدْتُ أَنْ أَصيحَ : « تَذَكَّري !» وَلٰكِنَّني لَمْ أَجْرُؤْ . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ وَ وَقَفَ بِجانِبِها ؛ فَوَثَبَتْ مُبْتَعِدَةً عَنْهُ ، وَعِنْدَئِذٍ



سَمِعْتُ ضِحْكَةً خافِتَةً . كانَ الرَّجُلُ هُوَ روبِرت ، وَرَأَيْتُهُ بَعْدَ لَحْظَةٍ يَهْمِسُ إلى أنطوانيت .

قُلْتُ في نَفْسي : « مَهْلاً ، مَهْلاً ! سَأَنالُ مِنْكَ حالاً ، يا فَتى !»

وَذَهَبَ روبِرت إلى النّافِذَةِ وَأَطَلَّ مِنْها ، وَسَمِعْتُهُ يَقولُ : « فَلْيَذْهَبْ مايْكِل الأَسْوَدُ إلى الجَحيمِ ! ألا تَكْفيهِ الأَميرَةُ ؟ أَ يَسْتَحْوِذُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ ؟ بِحَقِّ الشَّيْطانِ ماذا تَرَيْنَ في مايْكِل الأَسْوَدِ ؟»

بَدَأَتْ تَقولُ : « لَوْ أَنّي أَخْبَرْتُهُ بِما تَقولُ ...»

قالَ روبِرت بِلا اكْتِراثٍ : « أَخْبِريهِ !» ثُمَّ وَثَبَ فَجْأَةً نَحْوَها وَقَبَّلَها ، وَصاحَ ضاحِكاً : « هاكِ شَيْئاً لِتُخْبِريهِ بِهِ .»

وَرَفَعَتِ المَرْأَةُ البائِسَةُ يَدَيْها فَوْقَ رَأْسِها ضارِعَةً أَوْ يائِسَةً .

وَمَضى روبِرت يَقولُ : « أَ تَعْلَمينَ بِما وَعَدَني بِهِ إذا ذَبَحْتُ ذٰلِكَ المُمَثِّلَ ؟ هُوَ سَيَفوزُ بِالأَميرَةِ ، وَأَنا ... ، وَلٰكِنّي لا أُريدُ الانْتِظارَ ، وَهٰذا كُلُّ شَيْءٍ .»

وَسَمِعْتُ صَوْتَ بابٍ يُفْتَحُ ، ثُمَّ صَوْتَ مايْكِل الأَسْوَدِ يَقولُ : « ما الَّذي تَفْعَلُهُ هُنا ، يا سَيِّدي ؟»

وَ ذَهَبَ إلى النَّافِذَةِ ، وَأَمْسَكَ بِذِراعِ رُوپِرت ، وَقالَ غاضِباً :

« إنَّ الخَنْدَقَ يُمْكِنُ أنْ يَتَّسِعَ لأكْثَرَ مِنَ المَلِكِ !»

سَأَلَ رُوپِرت بِجَسارَةٍ : « أَ تُهَدِّدُني سُمُوُّكَ ؟»

أجابَهُ مايْكِل : « إنَّ التَّهْديدَ تَحْذيرٌ أكْبَرُ مِنْ أنْ يَنالَهُ مِنِّي مُعْظَمُ النَّاسِ !»

« وَمَعَ ذَلِكَ فَإنَّ رُودُلْف راسَنْدِل تَلَقَّى تَهْديداتٍ كَثيرَةً ، وَلا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ .»

« أَ مُخْطِئٌ أنا لأنَّ خَدَمي يَقْتَرِفونَ أخْطاءً سَخيفَةً ؟»

قالَ رُوپِرت مُتَهَكِّماً : « إنَّ سُمُوَّكَ لَمْ تُجازِفْ حَتَّى الآنَ بارْتِكابِ أخْطاءٍ .»

كانَ بِكَلامِهِ يَصِفُ الدُّوقَ بِالجُبْنِ ، وَلَكِنَّ مايْكِل الأسْوَدَ تَمالَكَ نَفْسَهُ ، وَقالَ بِنَبَراتٍ هادِئَةٍ : « كَفى ، كَفى ! يَنْبَغي ألا نَتَشاجَرَ ، يا رُوپِرت . هَلْ ديتْشارْد وَبيرسونين في مَكانَيْهِما ؟»

« إنَّهُما في مَكانَيْهِما ، يا سَيِّدي .»

« لَسْتُ بِحاجَةٍ إلَيْكَ الآنَ .»

قالَ رُوپِرت : « إنَّني لَسْتُ مُتْعَباً .»

« أتْرُكْنا مِنْ فَضْلِكَ ، يا سَيِّدي ؛ فَسَوْفَ يُسْحَبُ الجِسْرُ المُتَحَرِّكُ خِلالَ عَشْرِ دَقائِقَ ، وَأعْتَقِدُ أنَّكَ لا تُريدُ أنْ تَصِلَ إلى فِراشِكَ سِباحَةً !»

وَاخْتَفى خَيالُ رُوپِرت ، وَسَمِعْتُ البابَ يُفْتَحُ ثُمَّ يُغْلَقُ ، وَلَمْ أعُدْ أرى مايْكِل وَأنطوانيت ، ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ رُوپِرت آتِياً مِنْ أقْصى الجِسْرِ :

« دي غوتيه ، إنْ لَمْ تَكُنْ راغِباً في أخْذِ حَمَّامٍ قَبْلَ النَّوْمِ ، فَلْتَأْتِ !»

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ اجْتازَ الرَّجُلانِ الجِسْرَ المُتَحَرِّكَ ، وَما إنِ ابْتَعَدا عَنْهُ حَتَّى رُفِعَ ، وَدَقَّتِ السَّاعَةُ مُعْلِنَةً الواحِدَةَ وَالرُّبْعَ .

وَانْقَضَتْ عَشْرُ دَقائِقَ ، سَمِعْتُ بَعْدَها صَوْتاً خافِتاً بِجِواري وَراءَ الماسورَةِ ؛ وَتَلَفَّتُّ فَدُهِشْتُ عِنْدَما رَأَيْتُ رُوپِرت أمامَ مَدْخَلِ القَلْعَةِ القَديمَةِ . وَأقْبَلَ نَحْوي ، ثُمَّ هَبَطَ عِدَّةَ دَرَجاتٍ مَنْحوتَةٍ في الجِدارِ لَمْ أكُنْ لاحَظْتُها مِنْ قَبْلُ ، وَراحَ يَسْبَحُ وَقَدْ وَضَعَ سَيْفَهُ بَيْنَ أسْنانِهِ .
لَوْ كانَ الأمْرُ يَتَعَلَّقُ بِحَياتي وَحْدي لَسَبَحْتُ لأُلْقاهُ ، فَقَدْ كُنْتُ أوَدُّ أنْ أُنازِلَهُ عَلى الفَوْرِ ، وَلَكِنِّي مَنَعْتُ نَفْسي ، لأنَّ مُهِمَّتي هُنا أنْ أُنْقِذَ حَياةَ المَلِكِ .

وَسَبَحَ عَبْرَ الخَنْدَقِ بِهُدوءٍ وَيُسْرٍ ، وَارْتَقى في الجانِبِ الآخَرِ دَرَجاتٍ أُخْرى إلى بَوّابَةِ القَلْعَةِ الجَديدَةِ ، وَسَمِعْتُهُ يَفْتَحُ البابَ ثُمَّ يَخْتَفي داخِلَهُ . وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّ ثَمَّةَ خُطَطًا أُخْرى غَيْرَ خُطَّتي تُنَفَّذُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ في القَلْعَةِ .

وَخَطَرَ لي فَجْأَةً أَنَّهُ أَيًّا كانَ الشَّرُّ الَّذي يَنْتَويهِ رُوبِرت ، فَإِنَّ وُجودَهُ خارِجَ القَلْعَةِ القَديمَةِ يُعَدُّ مِيزَةً لي ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ أَمامي ثَلاثَةُ رِجالٍ فَقَطْ عَلَيَّ أَنْ أَتَوَلّى أَمْرَهُمْ . آهِ لَوْ كانَتْ لَدَيَّ المَفاتيحُ !

كانَ الضَّوْءُ لا يَزالُ ظاهِرًا في نافِذَةِ أنطوانيت ، عَلى حينِ كانَتْ نافِذَةُ مايْكِل مُعْتِمَةً ، وَلا شَكَّ أَنَّهُ كانَ مُسْتَغْرِقًا في النَّوْمِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ. ثُمَّ سَمِعْتُ ، عَبْرَ الخَنْدَقِ ، صَوْتَ بابٍ يُفْتَحُ بِالمِفْتاحِ بِبُطْءٍ وَهُدوءٍ . وَدارَ في نَفْسي تَساؤُلٌ عَمّا يَحْدُثُ ، وَعَرَفْتُ الإجابَةَ ؛ فَقَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ أَصْدِقائي مِنَ البابِ الرَّئيسيِّ لِلْقَلْعَةِ الجَديدَةِ ، وَقَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ يوهان في الذَّهابِ لِفَتْحِهِ – سَمِعْتُ صَوْتَ تَحَطُّمٍ مُفاجِئٍ في غُرْفَةِ أنطوانيت ، وَبَدا كَأَنَّ شَخْصًا أَلْقى بِمِصْباحٍ عَلى الأَرْضِ ، وَفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها أَظْلَمَتِ الغُرْفَةُ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ في هُدوءِ اللَّيْلِ صَرْخَةٌ مُدَوِّيَةٌ :

« النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ، يا مايْكِل !»

وَكِدْتُ أُجَنُّ لِعَجْزي عَنْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ، فَارْتَقَيْتُ الدَّرَجاتِ الحَجَرِيَّةَ ، وَ وَقَفْتُ في مَدْخَلِ القَلْعَةِ القَديمَةِ ، وَأَصْبَحَ في مَقْدوري أَنْ أَرى مَنْ يَدْخُلُ أَوْ يَخْرُجُ .

وَأَطْلَقَتْ أنطوانيت صَرْخَةً أُخْرى ، وَعِنْدَئِذٍ انْفَتَحَ بابُ غُرْفَةِ مايْكِل بِعُنْفٍ ، وَسَمِعْتُ الدُّوق يَصيحُ : « افْتَحي البابَ ! بِاللهِ عَلَيْكِ ما الخَطْبُ ؟ » وَجاءَني صَوْتُ مَقْبِضِ البابِ يُدارُ بِعُنْفٍ ، وَصاحَتْ أنطوانيت تُجيبُهُ بِالكَلِماتِ نَفْسِها الَّتي كَتَبْتُها لَها في رِسالَتي :

« النَّجْدَةَ ، يا مايْكِل ! إِنَّهُ رُوبِرت هِنْتساو !»

وَسَمِعْتُ البابَ يُفْتَحُ عَلى مِصْراعَيْهِ ، ثُمَّ صَليلَ سَيْفَيْنِ يَلْتَقِيانِ ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ فُتِحَتْ نافِذَةٌ فَوْقَ رَأْسي ، وَانْطَلَقَ صَوْتُ دي غوتيه صائِحًا : « ما الخَطْبُ ؟»

وَقَعَتْ تِلْكَ الأَحْداثُ كُلُّها بِسُرْعَةٍ هائِلَةٍ ، حَتّى إِنَّهُ يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَحْكِيَها بِوُضوحٍ ، وَ وَقَعَتْ كُلُّها في وَقْتٍ واحِدٍ . وَفُتِحَتْ نافِذَةُ أنطوانيت عَلى مِصْراعَيْها ، وَسَمِعْتُ صَرْخَةَ رَجُلٍ جَريحٍ ، ثُمَّ ظَهَرَ رُوبِرت لِلْعِيانِ وَظَهْرُهُ لِلنّافِذَةِ ، وَكانَ يُقاتِلُ بِشَراسَةٍ ، وَفَجْأَةً قالَ :

« هَذِهِ لَكَ ، يا يوهان ! هَيَّا ، يا مايْكِل ! »

إذًا كان يوهان هُناكَ ، وَقَدْ جاءَ لِنَجْدَةِ الدُّوقِ ! كَيْفَ سَيَتَسَنَّى لَهُ أنْ يَفْتَحَ البابَ ؟

وَصاحَ الدُّوقُ بِصَوْتٍ ضَعيفٍ خافِتٍ : « العَوْنَ ! »

وَسَمِعْتُ وَقْعَ أقْدامٍ خَلْفي عَلى السُّلَّمِ ، وَلَكِنْ قَبْلَ أنْ يَأتِيَ أحَدٌ ، رَأيْتُ رُوبِرت وَمَعَهُ خَمْسَةُ رِجالٍ أوْ سِتَّةٌ . وَفَجْأةً قَفَزَ إلى النّافِذَةِ وَبَقِيَ عَلَيْها ثَوانِيَ وَهُوَ يَضْحَكُ كالمَجْنونِ المُنْتَشي بِمَنْظَرِ الدَّمِ ، ثُمَّ ألْقى بِنَفْسِهِ في الخَنْدَقِ .

وَفي اللَّحْظَةِ ذاتِها ظَهَرَ وَجْهُ دي غوتيه في البابِ الَّذي بِجانِبي ، فَضَرَبْتُهُ بِكُلِّ قُوَّتي فَخَرَّ صَريعاً أمامَ البابِ . وَفَتَّشْتُ جُيوبَهُ بِدِقَّةٍ وَسُرْعَةٍ بَحْثاً عَنِ المَفاتيحِ ، وَأخيراً وَجَدْتُها ، وَكانَ عَدَدُها ثَلاثَةً . وَجَرَّبْتُ مِفْتاحاً مِنْها في البابِ المُؤَدّي إلى غُرْفَةِ المَلِكِ ، فَوَجَدْتُهُ مِفْتاحَها . وَفَتَحْتُ بِهِ البابَ بِقَدْرِ ما أمْكَنَني مِنْ هُدوءٍ ، وَدَخَلْتُ ثُمَّ أعَدْتُ غَلْقَ البابِ خَلْفي بِالمِفْتاحِ . وَكانَ ثَمَّةَ دَرَجاتٌ أمامي أبْصَرْتُها في ضَوْءِ مِصْباحٍ مُعَلَّقٍ عَلى الجِدارِ ، فَتَناوَلْتُهُ و وَقَفْتُ أصْغي .

وَسَمِعْتُ أسْفَلَ السُّلَّمِ صَوْتًا يَقولُ مِنْ وَراءِ البابِ المُقابِلِ لي :

« تُرى ما هَذا ؟ »

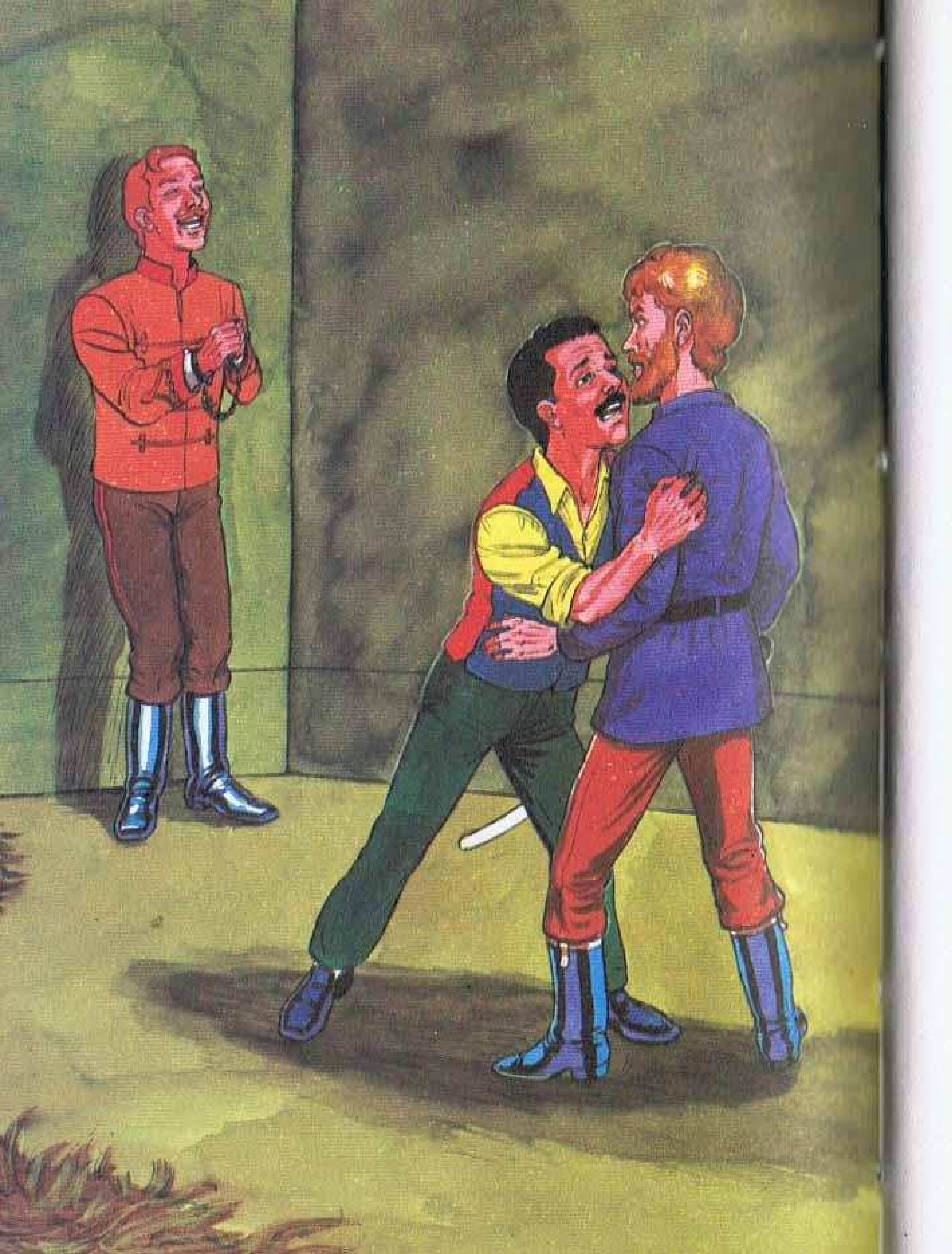
أجابَهُ صَوْتٌ آخَرُ : « هَلْ نَقْتُلُهُ ؟ »

وَأعْقَبَتْ ذَلِكَ لَحْظَةُ صَمْتٍ شَعَرْتُ أنَّها رَهيبَةٌ ، ثَمَّ سَمِعْتُ ديتْشارْد يَقولُ : « اِنْتَظِرْ لَحْظَةً ، وَإلا سَتَحْدُثُ مَتاعِبُ لَوْ نَفَّذْنا قَبْلَ الأوانِ . »

وَفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ سَمِعْتُ صَوْتَ البابِ يُفْتَحُ بِالمِفْتاحِ ، فَأطْفَأتُ المِصْباحَ ، وَأعَدْتُهُ إلى مَكانِهِ عَلى الجِدارِ . وَسَمِعْتُ بيرسونين يَقولُ: « إنَّ الظَّلامَ دامِسٌ ، لأنَّ المِصْباحَ مُطْفَأً . أعْطِني المِصْباحَ الآخَرَ . »

لَقَدْ حانَتِ اللَّحْظَةُ الحاسِمَةُ .

نَزَلْتُ الدَّرَجَ مُنْدَفِعاً ، وَألْقَيْتُ بِنَفْسي عَلى البابِ ، فانْفَتَحَ عَلى مِصْراعَيْهِ ؛ وَإذ بي أجِدُ بيرسونين واقِفاً أمامي وَسَيْفُهُ بِيَدِهِ ، وَكانَ ديتْشارْد جالِساً عَلى أريكَةٍ . وَانْدَفَعْتُ كالمَجْنونِ نَحْوَ بيرسونين البَلْجيكِيِّ فَتَراجَعَ في اتِّجاهِ الحائِطِ . وَكان شُجاعاً ، غَيْرَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُجيدُ اسْتِعْمالَ السَّيْفِ ، وَسَرْعانَ ما تَمَدَّدَ عَلى الأرْضِ أمامي. وَالْتَفَتُّ فَلَمْ أجِدْ ديتْشارْد ، فَقَدْ كانَ أميناً في تَنْفيذِ الأوامِرِ ، وَلَمْ يُخاطِرْ بِالقِتالِ مَعي ، وَإنَّما أسْرَعَ رَأساً إلى غُرْفَةِ المَلِكِ الدّاخِلِيَّةِ ،



وَأغْلَقَ البابَ خَلْفَهُ بِالمِفْتاحِ ، لِيَقومَ بِمُهِمَّتِهِ في الدّاخِلِ .

مِنَ المُؤَكَّدِ أنّهُ كانَ سَيَقْتُلُ المَلِكَ، ولَعَلَّهُ كانَ سَيَقْتُلني أنا أيْضاً ، لَوْلا أنَّ رَجُلاً مُخْلِصاً فَدى المَلِكَ بِحَياتِهِ ؛ فَعِنْدَما اقْتَحَمْتُ البابَ دارَ أمامي المَشْهَدُ الآتي :

كانَ المَلِكُ يَقِفُ في رُكْنِ الغُرْفَةِ وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ الضَّعْفُ بِسَبَبِ مَرَضِهِ ، وَكانَ عاجِزاً عَنْ أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً بِخِلافِ تَحْريكِ يَدَيْهِ المُقَيَّدَتَيْنِ إلى أعْلى وَإلى أسْفَلَ بِلا جَدْوى ؛ وَكانَ يَضْحَكُ كَمَنْ مَسَّهُ الجُنونُ . وَكانَ ديتْشارْد وَالطَّبيبُ وَسَطَ الغُرْفَةِ ، وَقَدْ رَمى الطَّبيبُ بِنَفْسِهِ عَلى ديتْشارْد السَّفّاحِ وَأمْسَكَ بِذِراعَيْهِ إلى جانِبَيْهِ لَحْظَةً ، غَيْرَ أنَّ ديتْشارْد تَحَرَّرَ مِنْهُ وَطَعَنَهُ طَعْنَةً نافِذَةً أثْناءَ دُخولي الغُرْفَةَ .

وَعِنْدَئِذٍ الْتَفَتَ إلَيَّ صائِحاً : « أخيراً ! »

وَالْتَقى سَيْفانا ، وَمِنْ يُمْنِ طالِعي لَمْ يَكُنْ هُوَ أوْ بيرسونين يَحْمِلُ مُسَدَّسَهُ ؛ وَقَدْ وَجَدْتُهُما فيما بَعْدُ فَوْقَ رَفٍّ بِجِوارِ البابِ ؛ وَقَدْ حالَ اقْتِحامي المُفاجِئُ الغُرْفَةَ دونَ وُصولِ الرَّجُلَيْنِ لِمُسَدَّسَيْهِما . وَكُنّا رَجُلاً في مُواجَهَةِ رَجُلٍ ، وَبَدَأنا نَتَقاتَلُ في صَمْتٍ وَعُنْفٍ . وَكانَ أمْهَرَ مِنّي في اسْتِخْدامِ السَّيْفِ ، فَأجْبَرَني بِبُطْءٍ عَلى التَّراجُعِ إلى الجِدارِ . وَرَأيْتُ ابْتِسامَةً تَرْتَسِمُ عَلى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أصابَني بِجُرْحٍ في

ذِراعيَ اليُسْرى .

لَيْسَ لي أنْ أفْخَرَ بِالفَوْزِ في هَذا القِتالِ ، فَقَدْ كانَ أمْهَرَ مَنْ رَأيْتُ في القِتالِ بِالسَّيْفِ ، وَمِنَ المُؤَكَّدِ أنَّهُ كانَ سَيَقْتُلُني ثُمَّ يَغْتالُ المَلِكَ لَوْ بَقينا وَحْدَنا في الغُرْفَةِ . غَيْرَ أنَّ المَلِكَ الضَّعيفَ نِصْفَ المَجْنونِ راحَ يَتَواثَبُ صائِحاً :

« إنَّهُ أخي رُودُلْف ! سَأساعِدُكَ ، يا أخي رُودُلْف !» وَالْتَقَطَ مَقْعَداً وَتَقَدَّمَ نَحْوَنا .

صِحْتُ : « تَقَدَّمْ ! تَقَدَّمْ ! اقْذِفْ بِالمَقْعَدِ بَيْنَ ساقَيْهِ .»

ضَحِكَ المَلِكُ ، وَتَقَدَّمَ حامِلاً المَقْعَدَ أمامَهُ .

وَ وَثَبَ ديتْشارْد إلى الوَراءِ صائِحاً في غَضَبٍ ، وَقَبْلَ أنْ أدْرِكَ ما كانَ يَفْعَلُهُ ، حَوَّلَ سَيْفَهُ نَحْوَ المَلِكِ ، وَطَعَنَهُ بِعُنْفٍ ، فَصَرَخَ المَلِكُ وَسَقَطَ عَلى الأرْضِ . وَعادَ إلَيَّ ديتْشارْد ، وَلَكِنْ بِعَوْدَتِهِ جَنى عَلى نَفْسِهِ ؛ فَقَدْ خاضَ بِرْكَةَ الدَّمِ الَّذي سالَ مِنَ الطَّبيبِ القَتيلِ ، فانْزَلَقَتْ قَدَماهُ وَ وَقَعَ ، وَقَبْلَ أنْ يَثوبَ إلى نَفْسِهِ انْقَضَضْتُ عَلَيْهِ بِسَيْفي ، فَلَقِيَ مَصْرَعَهُ بِجِوارِ جُثَّةِ الطَّبيبِ الوَفِيِّ .

تُرى هَلْ قُتِلَ المَلِكُ ؟ كانَ ذَلِكَ أوَّلَ ما خَطَرَ لي ، فانْدَفَعْتُ إلى حَيْثُ كانَ يَرْقُدُ ، وَحاوَلْتُ أنْ أسْمَعَ نَبَضاتِ قَلْبِهِ ، غَيْرَ أنّي سَمِعْتُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ صَوْتاً جَعَلَني أنْهَضُ واقِفاً عَلى قَدَمَيَّ في

ثانِيَةً ، وَكانَ ذَلِكَ صَوْتَ إنْزالِ الجِسْرِ المُتَحَرِّكِ ؛ إذاً سَأقَعُ مِثْلَ الفأرِ في المِصْيَدَةِ ، وَيَقَعُ مَعي المَلِكُ إذا كانَ لا يَزالُ حَيًّا . يَنْبَغي أنْ تُتاحَ لَهُ الفُرْصَةُ الآنَ .

وَأثْناءَ مُروري بِالغُرْفَةِ الأخْرى ، وَقَعَتْ عَيْنايَ عَلى المُسَدَّسَيْنِ ، فَأخَذْتُ واحِداً مِنْهُما ، وَ وَقَفْتُ بِبابِ الغُرْفَةِ الخارِجِيَّةِ أتَنَصَّتُ . تُرى مَنِ الَّذي أنْزَلَ الجِسْرَ المُتَحَرِّكَ ؟ هَلْ هُمْ أصْدِقائي ؟ كُنْتُ مُسْتَعِدًّا أنْ أتَنازَلَ عَنِ الدُّنيا بِأسْرِها كَيْ أسْمَعَ صَوْتَ سابْت . وَ وَقَفْتُ أحاوِلُ أنْ ألْتَقِطَ أنْفاسي وَأضَمِّدَ الجُرْحَ في ذِراعي بِشَريطٍ اقْتَطَعْتُهُ مِنْ قَميصي .

وَرَأيْتُ أنَّني أسْتَطيعُ الذَّوْدَ عَنِ البابِ الضَّيِّقِ المَوْجودِ أعْلى السُّلَّمِ أفْضَلَ مِنْ هَذا البابِ ، فَصَعِدْتُ وَ وَقَفْتُ أنْصِتُ مَرَّةً أخْرى.

وَبَلَغَ مِسْمَعي صَوْتٌ غَريبٌ لا يَتَّفِقُ وَالزَّمانَ أوِ المَكانَ ؛ وَكانَتْ ضِحْكَةً هادِئَةً ساخِرَةً أطْلَقَها الفَتى رُوبِرت هِنْتساو . وَلَمْ أكُنْ لأصَدِّقَ أنَّ إنْساناً مُتَّزِناً يَضْحَكُ هَكَذا ، وَلَكِنَّني أدْرَكْتُ مِنَ الضِّحْكَةِ أنَّ رِجالي لَمْ يَصِلوا ، وَإلا كانوا أطْلَقوا عَلَيْهِ النّارَ وَأرْدَوْهُ قَتيلاً . وَدَقَّتِ السّاعَةُ مُعْلِنَةً الثّانِيَةَ وَالنِّصْفَ . يا إلَهي ! إنَّ البابَ لَمْ يُفْتَحْ ! لَقَدْ ذَهَبوا إلى المَكانِ حَيْثُ كانَ مَفْروضاً أنْ ألْتَقِيَ فريتز وَلَمْ يَجِدوني ! إنَّني أعْتَقِدُ أنَّهُمْ عادوا الآنَ إلى تارْلِنْهايْم بِنَبَإِ مَوْتِ المَلِكِ وَمَوْتي .

الفصل الثاني عشر

وَجهًا لِوَجْهٍ في الغابَةِ

اِرْتَمَيْتُ لَحْظَةً عَلى البابِ مُثَبَّطَ الهِمَّةِ ، ثُمَّ تَمالَكْتُ نَفْسي عِنْدَما سَمِعْتُ رُوبِرْت يَصيحُ بِسُخْرِيَةٍ :

« لَقَدْ أَنْزِلَ الجِسْرُ ! هَيّا إِلَيْهِ ! أَرِنا شَجاعَتَكَ ، يا مايْكِل الأَسْوَدُ ! تَراجَعوا ، أَيُّها الكِلابُ ! أَقْبِلْ ، يا مايْكِل ، وَقاتِلْ مِنْ أَجْلِها ! »

كانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَهَيَّأَ لِلْمَعْرَكَةِ المُرْتَقَبَةِ ؛ لِذا فَتَحْتُ البابَ الرَّئيسِيَّ بِالمِفْتاحِ وَأَطْلَلْتُ مِنْهُ .

كانَ مَشْهَدًا غَريبًا ؛ فَفي أَقْصى الجِسْرِ وَقَفَ جَمْعٌ مِنْ خَدَمِ الدُّوقِ ، يَحْمِلُ بَعْضُهُمُ المَشاعِلَ ، وَيَحْمِلُ البَعْضُ الآخَرُ أَسْلِحَةً عَتيقَةً مِنَ الصُّلْبِ . وَكانوا شاحِبي الوُجوهِ خائِفينَ مِنْ رُوبِرْت ، الَّذي وَقَفَ في مُنْتَصَفِ الجِسْرِ مُشْهِرًا سَيْفَهُ .

وَرَأَيْتُ في آخِرِ هَذا الجَمْعِ يوهان مُمْسِكًا بِمِنْديلٍ وَيَضَعُهُ فَوْقَ

جُرْحٍ في وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَيٌّ مِنْهُمْ عَلى أَنْ يَخْطُوَ خُطْوَةً واحِدَةً إِلى الأَمامِ .

وَأُتيحَتْ لي فُرْصَةٌ مُدْهِشَةٌ لأَسَيْطِرَ عَلى المَوْقِفِ ؛ فَلَمْ يَعْتَرِضْني أَحَدٌ مِنْ هَؤُلاءِ الجُبَناءِ ، وَلَمْ يَجْسُروا عَلى مُهاجَمَةِ رُوبِرْت ؛ وَما كانَ عَلَيَّ سِوى أَنْ أَرْفَعَ مُسَدَّسي وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ النّارَ فَأَقْتُلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْري بِوُجودي .

وَلَكِنّي لَمْ أَفْعَلْ ، وَلا أَعْرِفُ حَتّى الآنَ لِماذا لَمْ أُطْلِقِ عَلَيْهِ النّارَ. وَلَعَلَّ السَّبَبَ أَنَّني قَتَلْتُ رَجُلاً مِنَ الخَلْفِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَآخَرَ بِالحَظِّ وَلَيْسَ بِالمَهارَةِ . وَحَتّى إِذا كانَ رُوبِرْت نَذْلاً ، فَإِنَّني لَمْ أُرِدْ أَنْ أَكونَ واحِدًا مِنْ جَماعَةٍ ضِدَّهُ ، وَلَكِنْ بِدافِعٍ قَوِيٍّ مِنَ الفُضولِ أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ ما سَيَحْدُثُ .

صاحَ رُوبِرْت : « مايْكِل ، أَيُّها الكَلْبُ ! إِنْ كُنْتَ تَسْتَطيعُ الوُقوفَ ، فَتَعالَ ! »

وَجاءَ الرَّدُّ في صورَةِ صَرْخَةٍ حادَّةٍ أَطْلَقَتْها امْرَأَةٌ : « لَقَدْ ماتَ ! يا إِلَهي ، لَقَدْ ماتَ ! »

صاحَ رُوبِرْت : « ماتَ ! كانَتْ ضَرْبَتي أَبْرَعَ مِمّا أَعْرِفُ .» وَضَحِكَ ضِحْكَةَ المُنْتَصِرِ ، ثُمَّ مَضى يَقولُ : « أَلْقوا أَسْلِحَتَكُمْ ! إِنَّني سَيِّدُكُمُ الآنَ . أَقولُ أَلْقوا أَسْلِحَتَكُمْ ! »



وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ أطاعوهُ ، وَلَكِنْ عَلى حينِ كانَ يَتَكَلَّمُ إِذْ وَقَعَتْ أَحْداثٌ جَديدَةٌ ؛ فَقَدْ سَمِعْتُ أَوَّلاً صَيْحاتٍ بَعيدَةً وَطَرَقاتٍ مِنَ الجانِبِ الآخَرِ لِلْقَلْعَةِ الجَديدَةِ . وَ وَثَبَ قَلْبي فَرَحاً ؛ فَلا بُدَّ أَنَّهُمْ رِجالي قَدْ جاءوا لِلْبَحْثِ عَنّي رَغْمَ أَوامِري .

وَاسْتَمَرَّ الضَّجيجُ ، وَلَكِنَّ أَحَداً لَمْ يَكْتَرِثْ ؛ وَإِذا بِأَنطوانيت نَفْسِها تَشُقُّ طَريقَها وَسْطَ الخَدَمِ وَتَصِلُ إِلى الجِسْرِ . وَكانَتْ تَرْتَدي ثَوْباً أَبْيَضَ فَضْفاضاً ، وَكانَ شَعْرُها الأَسْوَدُ مُسْتَرْسِلاً عَلى كَتِفَيْها ، وَ وَجْهُها شَديدَ الشُّحوبِ ، وَعَيْناها تَبْرُقانِ في وَحْشِيَّةٍ . وَكانَتْ تُمْسِكُ مُسَدَّساً بِيَدَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ ، وَرَفَعَتْهُ وَأَطْلَقَتْهُ عَلى رُوبِرت وَلَكِنَّ الطَّلْقَةَ أَخْطَأَتْهُ وَأَصابَتِ البابَ الخَشَبِيَّ فَوْقَ رَأْسي .

قالَ رُوبِرت ضاحِكاً : « في الواقِعِ ، يا سَيِّدَتي ، لَوْ لَمْ تَكُنْ عَيْناكِ أَشَدَّ خُطورَةً مِنِ اسْتِخْدامِكِ المُسَدَّسَ ، لَما كُنْتُ في هَذا المَوْقِفِ ، وَلَما ماتَ مايْكِل الأَسْوَدُ اللَّيْلَةَ ! »

وَحاوَلَتْ أَنْ تَتَمالَكَ نَفْسَها ، وَصَوَّبَتْ إِلَيْهِ المُسَدَّسَ بِثَباتٍ . وَكانَ مِنَ الجُنونِ أَلا يَتَحَرَّكَ وَأَنْ يُخاطِرَ بِحَياتِهِ ، فَتَوَقَّعْتُ أَنْ يَجْرِيَ نَحْوي ؛ لِذا صَوَّبْتُ إِلَيْهِ مُسَدَّسي .

وَلَكِنَّهُ صاحَ قائِلاً : « لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَقْتُلَ مَنْ قَبَّلْتُ ! » وَقَفَزَ مِنْ فَوْقِ الجِسْرِ إِلى الخَنْدَقِ المائِيِّ ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ سَمِعْتُ وَقْعَ أَقْدامٍ ، وَصَوْتاً أَعْرِفُهُ ، وَكانَ صَوْتَ سابْت وَهُوَ يَصيحُ : « يا إِلَهي !

إِنَّهُ الدُّوقُ .. مَيِّتٌ !»

وَعِنْدَئِذٍ أَدْرَكْتُ أَنَّ المَلِكَ لَمْ يَعُدْ يَحْتاجُني ، فَأَلْقَيْتُ مُسَدَّسي وَقَفَزْتُ إِلى الجِسْرِ ، فَانْطَلَقَتْ مِنْ مَجْموعَةِ الخَدَمِ صَيْحَةُ دَهْشَةٍ : « المَلِكُ !» فَقَفَزْتُ إِلى الخَنْدَقِ في إِثْرِ رُوبِرْت .

وَرَأَيْتُهُ يَتَقَدَّمُني بِأَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ أَمْتارٍ ، وَكانَ يَسْبَحُ بِسُهولَةٍ وَبَراعَةٍ ، وَكُنْتُ مُتْعَباً وَجَريحاً ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَسْبَحَ بِسُرْعَةٍ . وَلكِنْ عِنْدَما وَصَلْنا إِلى ناصِيَةِ القَلْعَةِ صِحْتُ بِهِ : « تَوَقَّفْ ، يا رُوبِرْت ، تَوَقَّفْ !»

وَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ مِنْ فَوْقِ كَتِفِهِ ، دونَ أَنْ يَتَوَقَّفَ أَوْ يَعْرِفَني في الظَّلامِ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ مَخْرَجٌ مِنَ الخَنْدَقِ سِوى تَسَلُّقِ الحَبْلِ الَّذي رَبَطْتُهُ إِلى الشَّجَرَةِ ؛ وَقَدْ يَعْثُرُ عَلَيْهِ رُوبِرْت ، وَقَدْ لا يَعْثُرُ . وَكُنْتُ سَأَعْرِفُ في الحالِ .

وَسَمِعْتُهُ يَتَساءَلُ : « كَيْفَ جاءَ هذا إِلى هُنا ، بِحَقِّ الجَحيمِ ؟» وَأَطْبَقَ عَلى الحَبْلِ بِيَدَيْهِ وَتَسَلَّقَهُ خارِجاً ، وَفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها وَصَلْتُ ، فَأَبْصَرَني .

صاحَ بِدَهْشَةٍ : « مَنْ هُنا ؟ إِنَّهُ المُمَثِّلُ ! كَيْفَ جِئْتَ إِلى هُنا ، أَيُّها الرَّجُلُ ؟»

أَمْسَكْتُ بِالحَبْلِ ، وَلكِنّي تَمَهَّلْتُ ؛ فَقَدْ كانَ يَقِفُ عَلى ضِفَّةِ الخَنْدَقِ وَالسَّيْفُ بِيَدِهِ ، وَكانَ في مَقْدورِهِ أَنْ يَقْطَعَ رَأْسي وَأَنا أَصْعَدُ .

قُلْتُ : « لا عَلَيْكَ ، وَلكِنّي ما دُمْتُ هُنا ، فَأَعْتَقِدُ أَنَّني سَأَبْقى .»

اِبْتَسَمَ وَهُوَ يُطِلُّ عَلَيَّ ، وَشَرَعَ يَقولُ : « هؤُلاءِ النِّساءُ ...» وَفَجْأَةً راحَ جَرَسُ القَلْعَةِ الكَبيرُ يَدُقُّ بِعُنْفٍ ، وَبَلَغَتْ سَمْعَيْنا صَيْحَةٌ عالِيَةٌ مِنَ الخَنْدَقِ ، فَلَوَّحَ لي رُوبِرْت بِيَدِهِ ، وَقالَ وَهُوَ يَنْطَلِقُ مُبْتَعِداً :

« إِنّي أَتوقُ إِلى أَنْ أُقاتِلَكَ ، وَلكِنَّ المَوْقِفَ مُتَأَزِّمٌ .»

وَفي لَحْظَةٍ تَسَلَّقْتُ الحَبْلَ وَصَعِدْتُ ، فَرَأَيْتُهُ عَلى مَبْعَدَةِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرينَ مِتْراً ، يَجْري كَالغَزالِ لِيَحْتَمِيَ بِالغابَةِ . إِنَّها المَرَّةُ الأُولى الَّتي يُؤْثِرُ فيها رُوبِرْت الحِكْمَةَ عَلى الجَسارَةِ . وَانْدَفَعْتُ وَراءَهُ أُناديهِ كَيْ يَتَوَقَّفَ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ . وَكانَ يَزْدادُ بُعْداً عَنّي في كُلِّ خُطْوَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُصاباً ، وَكانَ قَوِيّاً . وَلكِنّي نَسيتُ كُلَّ شَيْءٍ في الدُّنْيا فيما عَداهُ وَفيما عَدا عَطَشي لِدِمائِهِ . وَواصَلْتُ تَعَقُّبَهُ ، وَسَرْعانَ ما ابْتَلَعَتْنا ظِلالُ غابَةِ زِنْدا الكَثيفَةِ .. اِبْتَلَعَتْنا نَحْنُ الاثْنَيْنِ : المُطارَدَ وَالمُطارِدَ .

كانَتِ السّاعَةُ آنَذاكَ الثّالِثَةَ ، وَبَدَأَ نورُ النَّهارِ يَنْبَلِجُ ، وَكُنْتُ أَجْري فَوْقَ دَرْبٍ طَويلٍ مُسْتَقيمٍ تَكْسوهُ الحَشائِشُ ، وَكانَ رُوبِرْت يَجْري أَمامي عَلى مَسافَةِ تِسْعينَ مِتْراً . وَنَظَرَ إِلَيَّ مِنْ فَوْقِ كَتِفِهِ وَلَوَّحَ بِيَدِهِ ساخِراً ، لأَنَّهُ رَأى عَدَمَ قُدْرَتي عَلى أَنْ أَلْحَقَ بِهِ . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ اخْتَفى عَنْ عَيْنَيَّ ، فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِ انْتَهى

وَانْهَرْتُ عَلى الأَرْضِ مِنْ فَرْطِ الإِنْهاكِ ، وَلَكِنّي سَمِعْتُ صَرْخَةً جَلْجَلَتْ في الغابَةِ ، وَكانَتْ صَرْخَةَ امْرَأَةٍ ؛ فَاسْتَجْمَعْتُ آخِرَ قُوايَ وَعَدَوْتُ . وَرَأَيْتُهُ مَرَّةً أُخْرى ، وَكانَ يُحاوِلُ إِنْزالَ فَتاةٍ عَنْ جَوادِها ، وَهِيَ الفَتاةُ الَّتي أَطْلَقَتِ الصَّرْخَةَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّها ابْنَةُ أَحَدِ المُزارِعينَ ، وَكانَتْ في طَريقِها إِلى سوقِ زِنْدا . وَقَدْ عامَلَها رُوبِرْت بِرِقَّةٍ ، وَأَعْطاها بَعْضَ النُّقودِ ، وَأَخَذَ جَوادَها وَاعْتَلاهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ بِهِ بَلْ وَقَفَ يَنْتَظِرُني ، وَعِنْدَما اقْتَرَبْتُ مِنْهُ سَأَلَني :

« ماذا كُنْتَ تَفْعَلُ في القَلْعَةِ ؟»

أَجَبْتُهُ : « كُنْتُ أَقْتُلُ ثَلاثَةً مِنْ أَصْدِقائِكَ .»

« يا لَلْعَجَبِ ! هَلْ وَصَلْتَ إِلى غُرْفَةِ المَلِكِ ؟»

« نَعَمْ ، وَأَرْجو أَنْ يَكونَ حَيًّا . وَقَدْ قَتَلْتُ ديتْشارْد .»

قالَ بِسُرورٍ : « يا لَكَ مِنْ أَحْمَقَ !»

« وَفَعَلْتُ شَيْئاً آخَرَ ؛ إِذْ أَبْقَيْتُ عَلى حَياتِكَ ؛ فَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ وَراءَكَ عَلى الجِسْرِ مُمْسِكاً بِمُسَدَّسي .»

« لَقَدْ كُنْتُ – إِذاً – بَيْنَ نارَيْنِ ؟»

قُلْتُ : « تَرَجَّلْ عَنْ ظَهْرِ جَوادِكَ ، وَقاتِلْ كَرَجُلٍ .»

قالَ هازِئاً : « ماذا ؟ أَمامَ سَيِّدَةٍ ؟»

وَانْدَفَعْتُ نَحْوَهُ غاضِباً أَكادُ أَعي ما أَفْعَلُ ، فَتَراجَعَ . وَ وَجَّهْتُ لَهُ ضَرْبَةً بِسَيْفي هَوَتْ عَلى وَجْهِهِ ، فَدَهِشَ مِنْ عُنْفِ هُجومي . وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيَّ وَيَقْتُلَني سَمِعْتُ صَيْحَةً مِنْ وَرائي ، وَرَأَيْتُ عِنْدَ مُنْعَطَفِ الدَّرْبِ رَجُلاً يَمْتَطي جَواداً يَعْدو بِسُرْعَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ سِوى فريتز ڤون تارْلِنْهايم . وَأَدْرَكَ رُوبِرْت أَنَّ اللُّعْبَةَ انْتَهَتْ ، فَصاحَ :

« إِلى اللِّقاءِ ، يا راسِنْدِل .»

وَانْحَنى لي وَالدَّمُ يَسيلُ مِنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِجَوادِهِ بِأَقْصى سُرْعَةٍ . وَأَطْلَقَ فريتز عَلَيْهِ النّارَ ، وَلَكِنَّهُ أَصابَ سَيْفَهُ فَسَقَطَ عَلى الأَرْضِ . وَأَخَذَ يَبْتَعِدُ بِجَوادِهِ وَأَنا أَرْقُبُهُ ، وَكانَ يَضْحَكُ ، وَالْتَفَتَ مَرَّةً لِيُلَوِّحَ بِيَدِهِ . وَهَكَذا اخْتَفى غَيْرَ مُبالٍ وَلَكِنْ بِحِرْصٍ ، رَشيقاً وَقِحاً ، وَسيماً أَثيماً ، شِرّيراً لا يُغْلَبُ .

أَلْقَيْتُ بِسَيْفي عَلى الأَرْضِ صائِحاً بِفريتْز أَنْ يَتَعَقَّبَهُ ، غَيْرَ أَنَّ فريتْز أَوْقَفَ جَوادَهُ ، وَقَفَزَ مِنْ فَوْقِهِ وَجَرى نَحْوي . وَالحَقُّ أَنَّهُ جاءَني في الوَقْتِ المُناسِبِ ، لأَنَّ الجُرْحَ الَّذي أَصابَني بِهِ ديتْشارْد أَخَذَ يَنْزِفُ ثانِيَةً .

صِحْتُ : « أَعْطِني إِذاً الجَوادَ . » وَحاوَلْتُ أَنْ أَقِفَ ثابِتاً ، غَيْرَ أَنّي سَقَطْتُ عَلى الأَرْضِ ، فَجَثا فريتْز بِجِواري .

قُلْتُ : « فريتْز ! »

أَجابَني بِرِقَّةٍ شَديدَةٍ : « نَعَمْ ، يا صَديقي . »

« هَلِ المَلِكُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ؟ »

وَأَخْرَجَ مِنْديلَهُ وَمَسَحَ بِهِ شَفَتَيَّ ، وَقالَ بِلُطْفٍ : « إِنَّ المَلِكَ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، وَهَذا بِفَضْلِ أَشْجَعِ رَجُلٍ يَحْيا بَيْنَنا . »

وَكانَتِ الفَتاةُ الرّيفِيَّةُ تَقِفُ بِالقُرْبِ مِنّا تَبْكي مِنَ الفَزَعِ وَالدَّهْشَةِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أُطَمْئِنَها بِكَلِمَةٍ فَلَمْ أَسْتَطِعْ . وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِالإِرْهاقِ وَالبَرْدِ ، فَأَسْنَدْتُ رَأْسي بَيْنَ ذِراعَيْ فريتْز ، وَاسْتَغْرَقْتُ في النَّوْمِ .

* * *

عَلِمْتُ فيما بَعْدُ بِالقِصَّةِ الكامِلَةِ لِما حَدَثَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ في قَلْعَةِ زِنْدا ؛ فَقَدْ رَوَتْ أنطوانيت كَيْفَ كانَتْ ثَمَّةَ مُشاجَراتٌ بِسَبَبِها بَيْنَ روپِرْت وَمايْكِل مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المُشاجَرَةُ الأَخيرَةُ سِوى واحِدَةٍ مِنْ كَثيرٍ . وَقَدْ دَفَعَها روپِرت ، بِمَجيئِهِ إِلى غُرْفَتِها عِنْدَما عَلِمَ بِانْصِرافِ مايْكِل ، إِلى أَنْ تَصْرُخَ طالِبَةً النَّجْدَةَ قَبْلَ المَوْعِدِ المُحَدَّدِ . وَقَدْ بَدا أَوَّلَ الأَمْرِ أَنَّ تِلْكَ الصَّرْخَةَ قَدْ حَطَّمَتْ آمالَنا ، وَلَكِنَّها أَعانَتْ عَلى تَحْقيقِها ؛ فَقَدْ تَقاتَلَ روپِرت وَمايْكِل ، غَيْرَ أَنَّ الأَوَّلَ قَفَزَ مِنَ النّافِذَةِ دونَ أَنْ يَدْرِيَ أَنَّهُ قَتَلَ سَيِّدَهُ .

أَمّا سابْت وَفريتْز فَقَدْ وَصَلا إِلى بابِ القَلْعَةِ حَسَبَ الخُطَّةِ ، وَبَقِيا يَنْتَظِرانِ حَتّى الثّانِيَةِ وَالنِّصْفِ . وَطِبْقاً لأَوامِري ذَهَبَ فريتْز لِيَبْحَثَ عَنّي عَلى ضَفَّةِ الخَنْدَقِ ، وَلَمْ أَكُنْ هُناكَ ، فَعادَ مُسْرِعاً وَأَخْبَرَ سابْت الَّذي أَرادَ أَنْ يَعودَ كَما نَبَّهْتُ إِلى تارْلِنْهايم بِأَقْصى سُرْعَةٍ ، وَلَكِنَّ فريتْز لَمْ يَسْتَجِبْ ؛ لِذا أَرْسَلَ إِلى تارْلِنْهايم فِرْقَةً مِنَ الرِّجالِ لاسْتِدْعاءِ المارْشال ، عَلى حينَ قامَتْ بَقِيَّةُ الرِّجالِ بِالهُجومِ عَلى بابِ القَلْعَةِ الجَديدَةِ ، وَاقْتَحَموها في الوَقْتِ الَّذي كانَتْ أنطوانيت تُطْلِقُ فيهِ النّارَ عَلى روپِرت . وَكانَ أَوَّلَ بابٍ يَدْخُلونَهُ هُوَ بابُ غُرْفَةِ مايْكِل ، وَبِداخِلِها وَجَدوهُ قَتيلاً .

وَقامَ سابْت وَفريتْز بَعْدَ ذَلِكَ بِعُبورِ الجِسْرِ وَهُما لا يَعْلَمانِ بِما

حدَثَ لي أوْ لِلمَلِكِ ، لأنَّ أنطوانيت لَمْ تَستَطِعْ أنْ تُخبِرَهما بِشَيْءٍ أكْثَرَ مِنْ أنَّها شاهَدَتْني فَوْقَ الجِسْرِ . وَأخيراً بَلَغا الغُرْفَةَ الخارِجيَّةَ فَعثَرا عَلى بيرسونين البِلْجيكِيِّ قَتيلاً ، فَقالَ سابْت : « الحَمْدُ للهِ ! لَقَدْ كانَ هُنا .» وَعِنْدَما عثَرا على ديتشارْد وَالطَّبيبِ مَيِّتَيْنِ ، وَالمَلِكِ وَكانَ يَبْدو أيْضاً مَيِّتاً ، ظَنّا أنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِ انْتَهى . وَلَكِنَّ سابْت ، وَكانَ يَعْرِفُ عَنِ الجُروحِ وَدَلائِلِ المَوْتِ أكْثَرَ مِنِّي ، أدْرَكَ أنَّ إصابَةَ المَلِكِ لَيْسَتْ خَطيرَةً ، وَسَيَتَماثَلُ لِلشِّفاءِ سَريعاً .

عِنْدَئِذٍ أرْسَلَ سابْت فريتز لِلْبَحْثِ عَنّي ، لأنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلى أنْ يُرْسِلَ أحَداً غَيْرَهُ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ قَبْلُ كَيْفَ عَثَرَ عَلَيَّ عِنْدَما دَلَّتْهُ الصَّيْحَةُ الَّتي أطْلَقْتُها مُطالِباً رُوبِرْت بِالتَّوَقُّفِ . وَأعْتَقِدُ أنَّهُ ما مِنْ رَجُلٍ فَرِحَ بِالعُثورِ عَلى أخيهِ حَيّاً قَدْرَ فَرَحِ فريتز بِعُثورِهِ عَلَيَّ .

لَمْ يَتَبَقَّ بَعْدَ ذَلِكَ سِوى أنْ نَتأكَّدَ مِنْ أنَّ السِّرَّ مُصانٌ ، فأقْسَمَتْ أنطوانيت وَأقْسَمَ يوهان ألا يَبوحا بِشَيْءٍ . وَقيلَ إنَّ فريتز قَدْ ذَهَبَ لِيَبْحَثَ عَنْ صَديقِ المَلِكِ الَّذي سَجَنَهُ الدّوقُ في قَلْعَةِ زِنْدا ، وَبَعْدَ أنْ أنْقَذَ المَلِكُ صَديقَهُ أصيبَ إصابَةً بالِغَةً ، وَهُوَ يَرْقُدُ في القَلْعَةِ . وَبَقِيَتِ الأميرَةُ في تارْلِنْهايم في انْتِظارِ مَجيءِ المَلِكِ . وَهَذِهِ هِيَ قِصَّةُ سابْت الَّتي ذاعَتْ وَصَدَّقَها الجَميعُ . وَالشَّيْءُ الوَحيدُ الَّذي قَلَبَ هَذا التَّدْبيرَ هُوَ القُوَّةُ الَّتي غالِباً ما تَقْهَرُ أشَدَّ الخُطَطِ دَهاءً ،

وَأعْني مَشاعِرَ المَرْأةِ .

لَقَدْ خالَفَتِ الأميرةُ فلاڤيا أوامِرَ المَلِكِ (أوْ سابْت) ، وَرَفَضَتْ أنْ تَبْقى في تارْلِنْهايم وَحبيبُها مُصابٌ في زِنْدا ؛ لِذا رَكِبَتْ عَرَبَتَها وَتَبِعَتِ المارشالَ شْتراكِنْتس ، الَّذي حاوَلَ - دونَ جَدْوى - أنْ يُثْنِيَها عَنْ عَزْمِها . وَهَكَذا وَصَلَتْ إلى حُدودِ الغابَةِ حَيْثُ كُنْتُ أرْقُدُ . وَما إنْ أفَقْتُ مِنْ غَشْيَتي حَتّى رَأيْتُها ، وَأدْرَكْتُ في الحالِ ما يَنْبَغي عَلَيَّ أنْ أفْعَلَهُ ، فَحاوَلْتُ أنْ أخْتَبِئَ وَراءَ دَغَلٍ . وَكُنّا قَدْ نَسينا ابْنَةَ المُزارِعِ الَّتي انْدَفَعَتْ نَحْوَ الأميرَةِ صائِحَةً :

« إنَّ المَلِكَ هُنا ، يا سَيِّدَتي .. وَراءَ الدَّغَلِ .»

قالَ المارشالُ شْتراكِنْتس العَجوزُ : « هَذا غَيْرُ صَحيحٍ ، يا بُنَيَّتي ؛ فالمَلِكُ يَرْقُدُ مُصاباً بِجُرْحٍ هُناكَ في القَلْعَةِ .»

قالَتِ الفَتاةُ : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي ، أعْرِفُ أنَّهُ مُصابٌ بِجُرْحٍ ، وَلَكِنَّهُ هُنا مَعَ الكونت فريتز ڤون تارْلِنْهايم ، وَلَيْسَ في القَلْعَةِ .»

وَ رَوَتِ الفَتاةُ ما شاهَدَتْهُ ، فابْتَسَمَتْ لَها فلاڤيا ، وَنَزَلَتْ مِنْ عَرَبَتِها لِتَرى مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذي يُشْبِهُ المَلِكَ . وَ وَصَلَ سابْت في تِلْكَ اللَّحْظَةِ قادِماً مِنَ القَلْعَةِ ، وَحاوَلَ أنْ يُقْنِعَ الأميرَةَ بِمُواصَلَةِ رِحْلَتِها ، فَقالَ : « إنَّ كُلَّ رَجُلٍ وَسيمٍ هُوَ مَلِكٌ في نَظَرِ كُلِّ فَتاةٍ

مِثْلِ هذِهِ .»

صاحَتِ الفَتاةُ بِدَهْشَةٍ : « لِمَ لا ، وَهُوَ يُشْبِهُ المَلِكَ كَما تَتَشابَهُ فِلْقَتا حَبَّةِ الفولِ !»

وَبَدَتْ عَلى وَجْهِ المارشالِ تَساؤُلاتٌ لَمْ يُفْصِحْ عَنْها ، وَ راحَتْ فلاڤْيا تَنْظُرُ إلى المُحيطينَ بِها ، وَسادَ الشَّكُّ بَيْنَهُمْ بِسُرْعَةٍ .

قالَتْ فلاڤْيا : « سَأرى هَذا الرَّجُلَ .»

هَمَسَ سابْت : « إذاً تَعالَيْ بِمُفْرَدِكِ .»

وَأذْعَنَتْ لِنَبْرَتِهِ الغَريبَةِ ، فَطَلَبَتْ إلى المارشالِ وَالباقينَ أنْ يَنْتَظِروا . وَتَقَدَّمَتْ هِيَ وَسابْت سَيْراً عَلى الأقْدامِ نَحْوَ المَكانِ الَّذي كُنْتُ أرْقُدُ فيهِ . وَأشارَ سابْت لابْنَةِ المُزارِعِ كَيْ تَبْتَعِدَ . وَلَمْ أسْتَطِعْ أنْ أنْظُرَ إلى الأميرَةِ ، فَدَفَنْتُ وَجْهي بَيْنَ يَدَيَّ . وَجَثا فريتز عَلى رُكْبَتَيْهِ بِجواري ، وَ وَضَعَ يَدَهُ عَلى كَتِفي.

صاحَتْ فلاڤْيا بِفَرَحٍ يَشوبُهُ الخَوْفُ : « إنَّهُ هُوَ ! أ مُصابٌ أنْتَ ؟» وَجَلَسَتْ بِجِواري عَلى الأرْضِ ، وَأزاحَتْ بِرِفْقٍ يَدَيَّ عَنْ وَجْهي .

قالَتْ : « إنَّهُ المَلِكُ ! لِماذا حاوَلْتَ ، أيُّها العَقيدُ ، خِداعي ؟»

وَلَمْ تَتَلَقَّ رَدّاً مِنْ أحَدٍ ، فَظَلِلْتُ أنْظُرُ إلى الأرْضِ ، وَعِنْدَئِذٍ وَضَعَتْ ذِراعَها فَوْقَ ذِراعي ، وَشَرَعَتْ تَقولُ : « رُودُلْف ...»

قالَ سابْت بِصَوْتٍ رَقيقٍ : « إنَّهُ لَيْسَ المَلِكَ .»

وَأنْبَأها وَجْهُ فريتز الشّاحِبُ أنَّها الحَقيقَةُ .

صاحَتْ : « وَلٰكِنَّهُ رُودُلْف حَبيبي .»

« إنَّهُ حَبيبُكِ ، يا سَيِّدَتي ، وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ المَلِكَ ؛ فالمَلِكُ يَرْقُدُ هُناكَ في قَلْعَةِ زِنْدا .»

صاحَتْ : « أنْظُرْ إلَيَّ ، يا رُودُلْف . لِماذا تَسْمَحُ لَهُمْ بِأنْ يَقولوا مِثْلَ هَذا الكَلامِ ؟»

عِنْدَئِذٍ قُلْتُ وَأنا أنْظُرُ في عَيْنَيْها : « لِيَغْفِرْ لِيَ اللهُ ، يا سَيِّدَتي ! فَأنا لَسْتُ المَلِكَ .»

اِزْدادَ شُحوبُ وَجْهِها ، وَنَظَرَتْ إلى سابْت ، ثُمَّ فريتز ، وَنَظَرَتْ إلَيَّ ثانِيَةً ، ثُمَّ سَقَطَتْ عَلى وَجْهِها مَغْشِيّاً عَلَيْها . وَأرْقَدْتُها بِلُطْفٍ عَلى الأرْضِ وَأنا ألْعَنُ قَدَري ؛ لأنَّ سَيْفَ رُوپِرت أبْقاني حَيّاً لأتَحَمَّلَ هَذا المَشْهَدَ .

الفصل الثالث عشر

لَوْ كانَ الحُبُّ كُلَّ شَيْءٍ !

كانَ الوَقْتُ لَيْلاً ، وَ وَجَدْتُني في الغُرْفَةِ الصَّغيرَةِ حَيْثُ كانَ المَلِكُ سَجيناً ، وَكانَ فريتز قَدْ جاءَ بي إِلَيْها سِرًّا . وَأَحْضَرَ لي يوهان العَشاءَ ، وَحكى لي ما جرى في القَلْعَةِ ، وَأَنَّ الأَميرَةَ رَأَتِ المَلِكَ ، وَأَنَّها وَسابْت وَفريتز اشْتَرَكوا مَعَ المارْشالِ – الَّذي أَخْبَروهُ بِالقِصَّةِ – في حَديثٍ طَويلٍ .

وَانْتَشَرَتْ في الخارِجِ كُلُّ أَنْواعِ الأَقاصيصِ عَنْ سَجينِ زِنْدا الَّذي يَكْتَنِفُهُ الغُموضُ ، فَقالَ فَريقٌ إِنَّهُ ماتَ ، وَقالَ فَريقٌ ثانٍ إِنَّهُ اخْتَفى ، وَقالَ فَريقٌ ثالِثٌ إِنَّهُ صَديقٌ لِلْمَلِكِ ساعَدَهُ في إِنْجِلْترا أَثْناءَ رِحْلاتِهِ إِلَيْها .

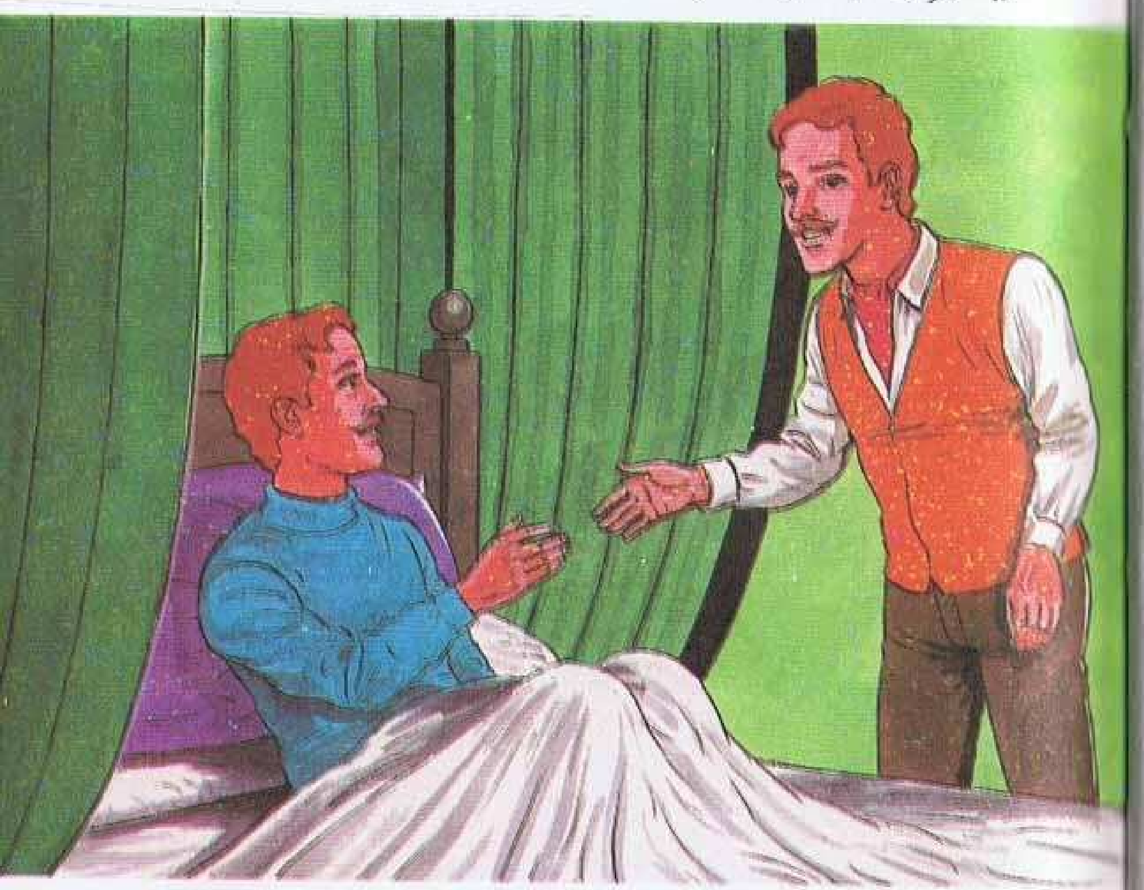
وَاكْتَفَيْتُ بِهَذا القَدْرِ مِنْ حَديثِ يوهان ، فَصَرَفْتُهُ . وَجاءَ فريتز لِزِيارَتي ، وَأَخْبَرَني أَنَّ المَلِكَ يُريدُ أَنْ يَراني ؛ لِذا عَبَرْنا الجِسْرَ

المُتَحَرِّكَ ، وَدَخَلْنا الغُرْفَةَ الَّتي كانَتْ لِمايْكِلِ الأَسْوَدِ .

وَكانَ المَلِكُ يَرْقُدُ في الفِراشِ ، وَطَلَبَ مِنّا الطَّبيبُ – وَهُوَ صَديقُ فريتز مِنْ تارْلِنْهايم – أَلا نُطيلَ الزِّيارَةَ . وَمَدَّ المَلِكُ يَدَهُ وَصافَحَني ، وَذَهَبَ فريتز وَالطَّبيبُ نَحْوَ النّافِذَةِ . وَخَلَعْتُ خاتَمَ المَلِكِ مِنْ إِصْبَعي وَ وَضَعْتُهُ في إِصْبَعِهِ قائِلاً :

« لَقَدْ حاوَلْتُ أَلا أُسيءَ إِلَيْهِ ، يا مَوْلايَ .»

قالَ بِصَوْتٍ واهِنٍ : « لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ كَثيراً . لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُبْقيَكَ هُنا مَعي ، وَلَكِنَّ سابْت وَالمارْشال يَقولانِ إِنَّهُ مُسْتَحيلٌ ، وَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَصونَ السِّرَّ .»



« إنَّهما صُبيانِ ، يا مَوْلايَ . دَعْني أذْهَبْ ؛ فَقَدْ أنْجَزتُ مَهمّتي هُنا .»

« نَعَمْ أنْجزْتَها ، ولَمْ يكُنْ لِغيْرِكَ أنْ يُنْجِزَها كما أنْجزْتَها أنْتَ . وَعِنْدَما يرانِيَ النّاسُ أكونُ قَدْ أطَلْتُ لِحْيَتي ، وَبَدا عَلَيَّ التَّغْيِيرُ مِنْ آثارِ المَرَضِ ، ولَكِنّي سأسْعى لأُرِيَهُمْ أنَّ التَّغْيِيرَ لَمْ يُصِبْ سِوى مَظْهَري . لَقَدْ بَيَّنْتَ لي كَيْفَ أكونُ مَلِكًا .»

وأغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، فَقَدْ كانَ مُرْهَقًا ، وَقَبَّلْتُ يَدَهُ . وَجاءَ فريتز لِيَقودَني إلى الخارِجِ . ولَمْ أرَ المَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ أبَدًا .

وَفي الخارِجِ لَمْ يَسْلُكْ فريتز الطَّريقَ الَّذي جِئْنا مِنْهُ ، ولَكِنَّهُ سَلَكَ غَيْرَهُ ، فَسَألْتُهُ : « إلى أيْنَ نَحْنُ ذاهِبانِ ؟»

« لَقَدْ أرْسَلَتْ في طَلَبِكَ ؛ فَعُدْ إلى الجِسْرِ بَعْدَ أنْ يَنْتَهِيَ اللِّقاءُ وَسأنْتَظِرُكَ هُناكَ .»

سَألْتُهُ مُنْبَهِرًا : « ماذا تُريدُ مِنّي ؟» فَهَزَّ رَأسَهُ .

« هَلْ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ ؟»

« نَعَمْ ، تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ .»

فَتَحَ بابًا ، ثُمَّ دَفَعَني بِرِفْقٍ وَتَرَكَني . وَكانَتْ غُرْفَةً فاخِرَةَ

الأثاثِ ، وَكانَتِ الأميرَةُ تَقِفُ في وَسَطِها . وَسِرْتُ إلَيْها ، وَجَثَوْتُ أمامَها على رُكْبَةٍ واحِدَةٍ ، وَقَبَّلْتُ يَدَها . وَقَبْلَ أنْ أدْرِكَ ما أقولُهُ انْطَلَقَتْ مِنْ فَمي الكَلِمَةُ :

« فلاڤيا !»

وارْتَجَفَتْ قَليلاً وأنا أنْهَضُ على قَدَمَيَّ وأواجِهُها ، وَصاحَتْ : « لا تَقِفْ ! لا تَقِفْ ! يَجِبُ ألا تَقِفَ ، فأنْتَ مُصابٌ . اِجْلِسْ هُنا عَلى هَذِهِ الأريكَةِ .»

وَأجْلَسَتْني بِرِفْقٍ ، وَ وَضَعَتْ يَدَها فَوْقَ جَبيني قائِلَةً : « كَمْ رَأسُكَ ساخِنٌ !»

كُنْتُ قَدْ جِئْتُ لألْتَمِسَ مِنْها الصَّفْحَ ، وَلَكِنَّ الحُبَّ ، بِطَريقَةٍ ما ، يَهَبُ الرَّجُلَ ، حَتّى لَوْ كانَ غَبِيًّا ، الفَهْمَ لِيَعْرِفَ مَكْنونَ قَلْبِ حَبيبِهِ ؛ لِذا لَمْ أقُلْ سِوى :

« إنّني أحِبُّكِ بِكُلِّ قَلْبي وَروحي !»

ماذا أزْعَجَها وَجَعَلَها تَخْجَلُ ؟ لَمْ يَكُنْ حُبُّها لي ، وَإنَّما خَوْفُها مِنْ أنْ أكونَ قَدْ تَظاهَرْتُ بِأنّني أحِبُّها كَما تَظاهَرْتُ بِأنّني المَلِكُ .

أعَدْتُ قَوْلي : « إنّني أحِبُّكِ ، وَلَنْ يَكونَ لي أبَدًا امْرَأةٌ سِواكِ .

وَلَكِنْ لِيَغْفِرْ لِيَ اللَّهُ الخطأَ الَّذي اقْتَرَفْتُهُ .»

قالَتْ بِسُرْعَةٍ : « لَقَدْ دَفَعوكَ إلى اقْتِرافِهِ ، وَلَنْ يكونَ ثَمَّةَ فَرْقٌ لَوْ أَنَّني عَلِمْتُ . لَقَدْ كُنْتَ أَنْتَ الَّذي أَحْبَبْتُهُ دائِماً وَلَيْسَ المَلِكَ .»

« لَقَدْ حاوَلْتُ أَنْ أُخْبِرَكِ – أَ تَذْكُرينَ عِنْدَما قاطَعَنا سابْت لَيْلَةَ حَفْلِ الرَّقْصِ في سْتْرِلْساو ؟»

أَجابَتْني بِصَوْتٍ خَفيضٍ : « أَعْرِفُ ذَلِكَ ؛ فَقَدْ أَخْبَروني بِكُلِّ شَيْءٍ .»

قُلْتُ : « سَأَرْحَلُ اللَّيْلَةَ .»

« لا ، لا ! لَيْسَ اللَّيْلَةَ !»

« يَنْبَغي أَنْ أَرْحَلَ قَبْلَ أَنْ يَزْدادَ عَدَدُ الَّذينَ رَأَوْني . وَكَيْفَ لي أَنْ أَبْقى ... ؟»

هَمَسَتْ قائِلَةً : « لَوْ أَسْتَطيعُ أَنْ آتِيَ مَعَكَ !»

صِحْتُ بِخُشونَةٍ وَأَنا أَبْتَعِدُ عَنْها : « لا تَقولي هَذا !»

قالَتْ : « إِنَّكَ مُصيبٌ ، يا عَزيزي رودلف . لَوْ كانَ الحُبُّ كُلَّ شَيْءٍ لَذَهَبْتُ مَعَكَ إلى أَقْصى العالَمِ في أَسْمالٍ بالِيَةٍ . وَلَكِنْ هَلِ الحُبُّ هُوَ الشَّيْءُ الوَحيدُ ؟ لَوْ كانَ الحُبُّ كَذَلِكَ لَتَرَكْتَ المَلِكَ

يَموتُ في سِجْنِهِ .»

هَمَسْتُ قائِلاً : « لَقَدْ تَرَكْتُهُ تَقْريباً ، يا فلافْيا .»

« لَقَدْ حالَ الشَّرَفُ دونَ أَنْ تَتْرُكَهُ . وَالشَّرَفُ يُقَيِّدُ المَرْأَةَ أَيْضاً ، يا رُودُلْف . وَشَرَفي أَنْ أَكونَ مُخْلِصَةً لِبِلادي . سَأُبْقي خاتَمَكَ دائِماً في إِصْبَعي .»

أَجَبْتُها : « وَخاتَمُكِ سَيَظَلُّ في إِصْبَعي .» ثُمَّ وَدَّعْتُها وَمَضَيْتُ ، وَسَمِعْتُها تُرَدِّدُ اسْمي مِراراً .

وَأَسْرَعْتُ نَحْوَ الجِسْرِ حَيْثُ وَجَدْتُ سابْت وَفريتز ، وَكانا قَدْ أَحْضَرا لي بَعْضَ المَلابِسِ فَارْتَدَيْتُها ، ثُمَّ سَتَرْتُ وَجْهي كَما فَعَلْتُ مِراراً مِنْ قَبْلُ . وَرَكِبْنا جِيادَنا ، وَاخْتَرَقْنا الغابَةَ ، وَ وَصَلْنا إلى مَحَطَّةٍ صَغيرَةٍ لِلسِّكَكِ الحَديدِيَّةِ عَلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الحُدودِ ، وَكانَ عَلَيْنا أَنْ نَنْتَظِرَ القِطارَ . وَأَخَذْنا نَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ عَنْ أَشْياءَ مُخْتَلِفَةٍ ، وَفَجْأَةً خَلَعَ فريتز قُبَّعَتَهُ وَأَمْسَكَ يَدي وَقَبَّلَها قَبْلَ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ مَنْعِهِ .

قالَ مُحاوِلاً الضَّحِكَ : « إِنَّ السَّماءَ لا تَجْعَلُ دائِماً مِنَ الرِّجالِ الأُمَناءِ مُلوكاً .»

وَلَوى سابْت العَجوزُ فَمَهُ وَهُوَ يُصافِحُني قائِلاً : « إِنَّ لِلشَّيْطانِ

نَصيباً في أغلَبِ الأمورِ .»

وَجاءَ القِطارُ ، ورَكِبْتُهُ . وكانَ ثَمَّ عدَدٌ قَليلٌ مِنَ النّاسِ ، راحوا يَنْظُرونَ إلَيْنا بِفُضولٍ عِنْدَما خلَعَ سابْت وَفريتز قُبَّعَتَيْهِما و وَدَّعاني ، وَلَعَلَّ هَؤُلاءِ النّاسَ ظَنّوا أنَّ شَخْصاً عَظيماً يُسافِرُ سِرًّا . وكانوا سَيَشْعُرونَ بِالخَيْبَةِ لَوْ عَلِموا أنَّ هَذا الشَّخْصَ لَيْسَ إلا أنا – رُودُلْف راسَنْدِل ، الابْنَ الأصْغَرَ لأسْرَةٍ إنْجليزيَّةٍ . وَبِصَرْفِ النَّظَرِ عَمّا أكونُهُ الآنَ ، فَقَدْ كُنْتُ مَلِكاً طَوالَ ثَلاثَةِ أشْهُرٍ ؛ غَيْرَ أنّي لَمْ أُفَكِّرْ كَثيراً في هَذِهِ التَّجْرِبَةِ ، لأنَّهُ عِنْدَما كانَ القِطارُ يَنْطَلِقُ مُبْتَعِداً عَنْ رُوريتانْيا ، أحْسَسْتُ بِصَيْحَةِ حُبٍّ امْرأةٍ تَشُقُّ الفَضاءَ وَتُدَوّي في أُذُنَيَّ وَأعْماقِ قَلْبي : « رُودُلْف ! رُودُلْف ! رُودُلْف !»

إنّي أسْمَعُها الآنَ .

إنَّ تَفاصيلَ عَوْدَتي إلى الوَطَنِ لَيْسَتْ بِذاتِ أهَمِّيَّةٍ ؛ فَقَدْ ذَهَبْتُ رَأساً إلى جِبالِ الألْبِ ، وَهُناكَ أمْضَيْتُ عَشَرَةَ أيّامٍ في هُدوءٍ ، ثُمَّ أرْسَلْتُ إلى أخي روبرت – بِإهْمالٍ – بِطاقَةً بَريدِيَّةً أبْلَغْهُ فيها بِقُرْبِ عَوْدَتي ، وَأطْلَقْتُ لِحْيَتي مَرَّةً أخْرى .

وَفي طَريقِ عَوْدَتي مَرَرْتُ بِباريس ، وَالْتَقَيْتُ صَديقي مَرَّةً أخْرى. وَكانَ موقِناً مِنْ أنّني زُرْتُ رُوريتانْيا لألْحَقَ بِأنْطوانيت دي مُوبان ،

الَّتي عادَتْ إلى باريس ، كَما قالَ لي . وَأرادَ أنْ يَعْرِفَ مِنّي قِصَّةَ مُهاجَمَةِ مايْكِل الأسْوَدِ لِلْمَلِكِ ، لأنَّهُ أخْبَرَني أنْ لا أحَدَ يُصَدِّقُ ما جاءَ في الصُّحُفِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ مِنّي عَلى أيَّةِ مَعْلوماتٍ .

وَعِنْدَما عُدْتُ إلى البَيْتِ وَجَدْتُ رُوز شَديدَةَ الاسْتِياءِ لأنّني لَمْ أؤَلِّفِ الكِتابَ ، بَلْ لَمْ أجْمَعْ أيَّةَ مَعْلوماتٍ .

قالَتْ : « لَقَدْ أنْفَقْنا وَقْتاً طَويلاً في مُحاوَلَةِ العُثورِ عَلَيْكَ .»

قُلْتُ : « إنَّني أعْرِفُ ذَلِكَ . وَلَكِنْ ما السَّبَبُ ؟ يُمْكِنُني أنْ أعْنى بِنَفْسي .»

أجابَتْ : « لَيْسَ هَذا هُوَ السَّبَبَ ؛ وَلَكِنّي أرَدْتُ أنْ أخْبِرَكَ بِأنَّ سير جاكُوب بوروديل سَيُعَيَّنُ سَفيراً ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ أنْ يَأخُذَكَ لِلْعَمَلِ مَعَهُ مُلْحَقاً .»

« إلى أيْنَ سَيَذْهَبُ ؟»

قالَتْ رُوز : « إلى سترِلْساو ، وَأعْتَقِدُ أنَّها مَدينَةٌ جَميلَةٌ جِدًّا .»

قُلْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الإصْرارِ : « لا أرى أنَّني راغِبٌ في الذَّهابِ .»

قالَتْ تَحُثُّني : « أنْتَ نَفْسُكَ قَدْ تُصْبِحُ سَفيراً .»

« لا أريدُ أنْ أصْبِحَ سَفيراً .»

قالَتْ وَقَدْ ضايَقَها رَفْضي : « هَذا أكْثَرُ مِمَّا سَتَصِلُ إلَيْهِ في أيِّ وَقْتٍ .»

مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَكونَ هَذا صَحيحاً ، وَلَكِنَّ فِكْرَةَ أنْ أكونَ سَفيراً لَمْ تَسْتَهْوِني ؛ فَقَدْ كُنْتُ مَلِكاً !

اِنْصَرَفَتْ رُوز ، وَالْتَقَطَ أخي روبرت صَحيفَةً مُصَوَّرَةً كانَ مَنْشوراً بِها صورَةٌ لِحَفْلِ التَّتْويجِ في سْترِلْساو . وَجَلَسْتُ أنْظُرُ إلَيْها صامِتاً ، وَكانَ يَظْهَرُ فيها سابْت بِجانِبي ، وَالمارْشال وَفريتْز في الخَلْفِ ، وَرَأيْتُ كَذَلِكَ مايْكِل الأسْوَدَ وَالأميرَة .

قالَ أخي وَهُوَ يَنْظُرُ مُتَعَجِّباً إلَيَّ ثُمَّ إلى صورَةِ المَلِكَ : « إنَّهُ تَشابُهٌ غَريبٌ !»

وَلَمْ أقُلْ شَيْئاً ؛ فَرَغْمَ أنَّ روبرت واحِدٌ مِنْ أفْضَلِ أصْدِقائي في الدُّنْيا ، وَأسْتَطيعُ أنْ أفْضِيَ إلَيْهِ بِأيِّ سِرٍّ ، فَإنَّ هَذا السِّرَّ لَيْسَ سِرِّي ؛ لِذا لا أسْتَطيعُ أنْ أبوحَ بِهِ .

وَعِشْتُ مُنْذُ ذَلِكَ الحينِ عيشَةً هادِئَةً ؛ وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أذْهَبُ مَرَّةً كُلَّ عامٍ إلى بَلْدَةٍ صَغيرَةٍ عَلى حُدودِ رُوريتانيا ، حَيْثُ ألْتَقي فريتْز الَّذي تَزَوَّجَ الكُونْتيسَّةَ هيلْغا ، وَنَقْضي أسْبوعاً مَعاً . وَأعْرِفُ مِنْهُ أخْبارَ سْترِلْساو ، وَكَثيراً ما نَتَكَلَّمُ عَنْ سابْت وَالمَلِكِ وَالشّابُّ رُوپِرت.

وَفي المَساءِ نَتَكَلَّمُ أخيراً عَنْ فلاڤْيا ، فَقَدْ كانَ فريتْز يَأتي لي مِنْها بِوَرْدَةٍ حَمْراءَ تُحيطُ بِها قُصاصَةٌ مُدَوَّنٌ عَلَيْها هَذِهِ الكَلِماتُ :

« رُودُلف – فلاڤْيا – دائِماً »

وَأرْسِلُ لَها – بِدَوْري – الشَّيْءَ نَفْسَهُ . وَقَدْ أصْبَحَتِ الآنَ مَلِكَةَ رُوريتانْيا ، وَسَوْفَ تَظَلُّ دائِماً مَليكَةَ قَلْبي .

إنَّني لا أزالُ أتَمَرَّسُ عَلى اسْتِخْدامِ السَّيْفِ ، فَلَدَيَّ إحْساسٌ بِأنَّني سَألْتَقي الشّابَّ رُوپِرت مَرَّةً أخْرى ، وَسَنُنْهي القِتالَ الَّذي انْقَطَعَ في غابَةِ زِنْدا البارِدَةِ المُظْلِمَةِ .

مَنْ يَدْري ؟



المغامرات المثيرة

١ – مغامرة في الأدغال
٢ – مغامرة في الفضاء
٣ – مغامرة أسيرين
٤ – مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ – مغامرة على الشاطئ
٦ – الجاسوس الطائر
٧ – لصوص الطريق
٨ – حمد الغواص الشجاع
٩ – اللصان الغبيان
١٠ – مطاردة لصوص السيارات
١١ – مغامرات السندباد البحري
١٢ – لعبة خطرة
١٣ – الحشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤ – اللؤلؤة السوداء
١٥ – سر الجزيرة
١٦ – مغامرة في النهر
١٧ – شبح الحديقة وقصص أخرى
١٨ – سر الدرجات التسع والثلاثين
١٩ – الجاسوس و قصص أخرى
٢٠ – مغامرات توم سوير
٢١ – المختطف
٢٢ – الكمبيوتر الرهيب
٢٣ – الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
٢٤ – موسيقى الليل وقصتان أخريان
٢٥ – الناب الأبيض
٢٦ – موبي دِك
٢٧ – سر القط الفرعوني
٢٨ – سجين زندا
٢٩ – مغامرات هكلبري فِن
٣٠ – الفرسان الثلاثة

مكتبة لبنان ناشرون

زوق مصبح، كسروان – لبنان

رقم الكتاب 01C 198229